المؤامرة الكبرى

في صدر الإسلام

الأسباب الخفية لاغتيال عمر وعثمان وعلي والحسين

ونشأة السبئية والخوارج في صدر الإسلام

علاء الدين المدرس

دار الرقيم للنشر والتوزيع

بغداد/ العراق

الطبعة الثانية

٢٠٠٥ م – ١٤٢٦ هـ

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م

الطبعة الثانية

٢٠٠٥ م — ١٤٢٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَبِما رحمة من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر

فإذا عزمتَ فتوكل على الله إن الله يحبُّ المتوكلين﴾

سورة آل عمران: ١٥٩

﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم

ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾

سورة الكهف: ٢٠

﴿ولَنْ ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتّبعَ مِلّتهم

قُلْ إن هدى الله هو الهدى ولَئِنْ اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم

مالك من الله من وليّ ولا نصير﴾

سورة البقرة: ١٢٠

الإهداء

إلى الذين استمسكوا بالعروة الوثقى واعتصموا بحبل الله واستلهموا تعاليم القرآن الكريم وهدي المصطفى ﷺ ومحبة أهل البيت والصحابة.

وإلى دعاة القرآنية والمحبة والأخوة والتقريب.

وإلى من غشيتهم الخصومة والطائفية، وأصابهم الغلو والتعصب، فباتوا أداة بيد الأعداء من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ليعرفوا خطر الفرقة ودور الأعداء، لكي لا يقعوا في حبائلهم ويستمرئوا دسّهم وسمومهم تحت أي ستار...

وإلى والدتي العزيزة –رحمها الله– التي ألهمتني حب الناس جميعاً..

أهدي هذه الصفحات..

شكر وتقدير

لا يسعني، وأنا أقف على نهاية هذا البحث المتواضع، بعد جهد وانشغال غير يسير، أن اعبّر عن شكري وتقديري لكل من أسهم معي وشاركني هذا العمل، وذلل لي الصعاب والعقبات من خلال التدقيق والتنقيح والإرشاد، فضلاً عن توفير المصادر والتسهيلات الأخرى، واخص بالذكر أساتذتي: الدكتور حسام ألنعيمي والأستاذ وليد الاعظمي والدكتور إبراهيم العبيدي والدكتور بهجت الحديثي وغيرهم من الأساتذة الأفاضل، الذين لم تثنهم كثرة مشاغلهم ومسؤولياتهم عن تقديم يد العون والمساعدة لي، لإخراج هذا البحث بشكله الحالي، ولا أنسى دور زوجتي البارة في الوقوف إلى جانبي في المراجعة والتدقيق والبحث في المصادر وغير ذلك مما يتطلبه البحث، كما اشكر الأخوة القائمين على مكتبة حمدي الاعظمي لما أبدوه من تسهيلات لإتمام البحث..

سائلاً المولى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى..

انه نعم المولى ونعم النصير

المؤلف

مُقَدِّمَة

لم يكن اغتيال ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة وقتلهم غيلة وغدراً مصادفة أو حادثاً عرضياً طبيعياً -كما قد يتوهم البعض- والإسلام في أوج قوته وشدة سطوعه على العالم القديم، مع انتشار تعاليم القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف في معظم أرجاء المعمورة بعد وفاة الرسول الكريم بعقد من الزمن أو يزيد قليلاً.. وذلك حينما زلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، فبات العالم يحلم بنور اللّه يضيء القلوب والأصقاع وراية الحق تخفق في المشرق والمغرب، والخليفة الراشد يسجد لله شاكراً نعمة النصر وانتشار الإسلام، حتى قال عنه ذلك الغريب الذي دخل المدينة المنورة، ووجد الخليفة عمر ﷺ نائماً على الأرض تحت شجرة دونما حراسة أو حجاب: عدلت فأمنت فنمت.. ولكن ما أن هدأ النور الساطع حتى بدأت الحشرات والأفاعي والوحوش بالظهور، لتبث السم من جديد، ولتقف أمام ذلك النور، محاولة كتم مصدره والقضاء على الراعي الذي يمده ويغذيه، لإيقاف زحفه، محاولين إعادة بناء ذلك المجد الزائف والبنيان الذي تصدع وانهار بمولد النور وانطلاقه منذ مبعث المصطفى ﷺ وبدء رسالة الإسلام، حين قاد الصحابة هذا الفتح المبين ووصلوا إلى الصين شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً. فتنادت فلول من المجوس في المشرق، والروم في المغرب معهم حفنة من اليهود المندسين بين هؤلاء وهؤلاء، يوسوسون لبعض أهل النفاق والفجور والمصالح من البلاد المفتوحة حديثاً للعمل في الخفاء، لتقويض دولة الإسلام المتعاظمة، أو على الأقل لإيقاف زحفه وإضعافه، وحرف أهله عن رسالته المجيدة لتحرير العالم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وقد أثمرت هذه المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام، أول ثمرة شوهاء، باغتيال عمر الفاروق، ثم تلا ذلك العديد من الثمر المسموم، في ساحة الإسلام العظيم، فكان هذا التحالف الخفي، هو السبب الرئيس للمحنة السياسية التي حدثت في عهد عثمان ﷺ، وانتهت بمقتله، ثم استمر هذا التآمر في عهد علي ﷺ، حتى قام الغلاة باغتياله، ثم توالت المحن وتأصل التشتت والتشرذم والفرقة بعد مقتل الحسين وابن الزبير، فلم تجتمع كلمة المسلمين إلى اليوم، ولا يزال هذا التحالف قائماً في وجه الإسلام، يقوده اليوم الغرب المستعمر والصهيونية البغيضة والشعوبية الحاقدة

ومطيتهم في داخل المجتمع المسلم أهل الغلو والتطرف والنفاق ﴿ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين﴾[1].

إن هذا التحالف نفسه –كما سنرى– كان وراء الفتن والمحن المعروفة في التاريخ الإسلامي وعلى رأسها اغتيال الخلفاء والعديد من عظماء الإسلام، وحريٌّ بنا أن نعرف عدونا ونشخصه بغية مجابهته ومنعه من المزيد من التآمر، وتوحيد الصفوف وترصين الأمة لبناء مجد الإسلام من جديد، وفسح المجال لتعاليم القرآن وهدي المصطفى ﷺ لتفعل فعلها في الحياة وفي الواقع المعاصر لنحيا في ظل القرآن، ولكي ترفرف راية القرآن في الآفاق من جديد رغم انف الأعداء والمتجبرين.

قال تعالى: ﴿واعدّوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللّه وعدّوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم اللّه يعلمهم﴾[2].

واللّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل

١ رمضان ١٤١٩هـ

علاء الدين شمس الدين المدرس الكيلانـي

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

نبـذة تاريخيـة

العالم القديم وصراع القطبين

لقد شهد العالم القديم في حياة النبي ﷺ (٥٧٠-٦٣٢ م) آخر وأعنف حربين دارت رحاهما بين الروم البيزنطينيين والفرس الساسانيين وذلك في السنوات ٥٧٢-٥٩١ و ٦٠١-٦٢٨ م.

ففي سنة ٥٧٢ م نشبت حرب بين الفرس بقيادة كسرى الأول (انو شروان) والروم بقيادة الملك جستنيان، وهي الحرب التي استمرت حتى سنة ٥٩٢ م، وانتهت بخلع ابن كسرى وخليفته هرمز الرابع واغتياله، وقد أتاحت النقمة الشعبية للحرب، الفرصة أمام النبلاء الفرس للعودة إلى النفوذ، واغتصب العرش نبيل ثائر، ولكن موريس إمبراطور الروم أعاد كسرى الثاني، وهو ابن هرمز الرابع إلى عرش آبائه. وقد كافأه كسرى على ذلك بأن عقد صلحاً مع موريس (٥٩١ م) وتنازل له عن النصف الغربي من أرمينية الفارسية، وعندها تمكن موريس من نقل جيش الإمبراطورية إلى أوربا، وشن حرباً هجومية على السلاف والافار، وقد نجحت حملته الهجومية بحيث أن الرومان عادوا، في سنة ٦٠٢ م إلى الضفة الشمالية للدانوب الأدنى.. وبعد هذا الانتصار الروماني في الغرب أمر موريس الجنود بأن يشتوا فيما وراء الدانوب، فأدى ذلك إلى عصيان دفع موريس ثمنه عرشه وحياته، ورمى الإمبراطورية في أحضان الفوضى[٣].

وفي سنة ٦٠٤ م هاجم كسرى الثاني دولة الروم بحجة الانتقام لموريس، الذي كان كسرى مديناً له بالكثير. والحرب التي تلت ذلك كانت أشرس الحروب التي دارت رحاها بين الرومان والفرس، وقد احتل الفرس سورية وفلسطين ومصر وبرقة.. ولما قام الروم بالهجوم المضاد وصلوا شرقاً إلى أبعد مما وصل إليه أي جيش روماني منذ سنة ١١٧ م، وفي سنة ٦٢٨ م كاد الحاكم الروماني هرقل (تولى العرش ٦١٠ م) أن يصل إلى أسوار المدائن (طيسفون) ثم انتهت الحرب، كما توقفت الحرب السابقة لها (٥٧٢-٥٩١)، بخلع الإمبراطور الساساني ووفاته.

(٣) أرنولد توينبي: تاريخ البشرية: ج٢، ص ٤٥.

وعقدت الدولتان صلحاً سنة ٦٢٨ م على أساس الوضع السابق للحرب، وأخذت الفوضى العنيفة برقاب الإمبراطورية الساسانية، على نحو ما أصاب الإمبراطورية الرومانية بين سنة (٦٠٢ و ٦١٠) إلا أن الإمبراطورية الفارسية، على عكس الرومانية، لم تنهض من كبوتها .

كانت الدولتان الرومية والفارسية، في سنة ٦٢٨ م، قد بلغ منهما الجهد غايته، وكانت الدولة الثالثة الفتية هي الدولة الإسلامية التي أنشأها النبي ﷺ في المدينة المنورة سنة (٦٢٢ م). وكان لظهورها بشكل مذهل وتوسعها اثر بالغ في انهيار دولتي الفرس والروم.

ففي سنة (٦٣٣ م) أرسل الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ الجيوش نحو دولتي فارس والروم الواقعتين إلى الشمال الشرقي والشمال الغربي في وقت واحد، وقد سقطت الإمبراطورية الفارسية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، أما دولة الروم فقد استمر وجودها، إلا أن أملاكها كانت قد تقلصت تدريجياً، بحيث اقتصرت في النهاية على آسيا الصغرى والقسطنطينية وبعض الجزر وجسور برية على الساحل الآسيوي الشمالي للبحر المتوسط.

القرآن وغلبـة الروم

لقد اخبر القرآن الكريم عن انتصار الروم على الفرس. والمسلمون في مكة قلة مستضعفون في مواجهة طغيان المشركين من قريش، فحينما دارت الحرب بينهما سنة ٦٠٤ م حتى سنة ٦١٦ م كان انتصار الفرس على الروم ساحقاً، وفي تلك الأثناء نزلت الآيات الأولى من سورة الروم التي تبشر بانتصار الروم على الفرس الوثنيين بعد بضع سنين. قال تعالى: ﴿ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده. ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٤]

من هذه الآيات نرى أن القرآن الكريم أخبر بأن الروم غَلبوا، ثم أخبر أنهم سيغلبون في بضع سنين – والبضع في لغة العرب من الثلاثة إلى التسعة – وان المؤمنين سيفرحون بهذا النصر، ثم قال: وهذا وعد قاطع لا يتخلف. وقد تم ذلك.

فبعد بضع سنين من نزول هذه الآيات انتصر الروم على الفرس، كما أخبر القرآن وقطع به، بالرغم من أن كل الدلائل كانت لا تشير إلى ذلك، حيث يروي التاريخ الفوضى السياسية التي كانت تعيشها دولة الروم، فضلا عن محاصرة عاصمتها القسطنطينية من قبل الفرس.

وقد ذكر المؤرخ الغربي (أدورد جين) في كتابه (تاريخ سقوط واندحار الإمبراطورية الرومانية) في الجزء الخامس من الوقائع المتعلقة بهذا الحادث فقال:

كان ملك الروم (موريس) في أواخر القرن السابع الميلادي ملكاً ضعيفاً، ولذلك قاد جيشه ثورة ضده، بقيادة (فوكاس) وأصبح فوكاس ملك الروم بعد نجاح الثورة والقضاء على العائلة الملكية بطريقة وحشية، وأرسل سفيراً له إلى كسرى (ابرويز الثاني) وهو ابن (انو شروان) المعروف. وكان كسرى هذا مخلصاً للملك (موريس)، إذ كان قد لجأ إليه عام ٥٩٠ م، بسبب مؤامرة داخلية في الدولة الفارسية، وقد عاونه (موريس) بجنوده لاستعادة العرش، ويروى أن كسرى تزوج بنت (موريس) أثناء إقامته ببلاد الروم ولذلك كان يدعوه (الأب).

وأغار كسرى (ابرويز) على بلاد الروم، وزحفت جحافله عابرة نهر الفرات إلى الشام، ولم يتمكن (فوكاس) من مقاومة جيوش الفرس التي استولت على مدينتي

---

[٤] سورة الروم/ ١–٦.

(أنطاكيا والقدس) فاتسعت حدود الإمبراطورية الفارسية فجأة إلى وادي النيل، وكانت بعض الفرق المسيحية -كالنسطورية واليعقوبية- حاقدة على النظام الجديد في روما، فناصرت الفاتحين الجدد، وتبعها اليهود، مما سهل غلبة الفرس، وأرسل بعض أعيان الروم، رسالة سرية إلى الحاكم الرومي في شمال أفريقية (قرطاجة) يناشدونه إنقاذ الإمبراطورية، فأرسل الحاكم جيشاً كبيراً بقيادة ابنه الشاب (هرقل)، فسار بجيشه في الطريق البحرية بسرية تامة، حتى ان (فوكاس) لم يشعر بهم إلا بعد وصول الأساطيل وهي تقترب من السواحل الرومانية. واستطاع (هرقل) -دون مقاومة تذكر- أن يستولي على الإمبراطورية، وقتل (فوكاس) المتآمر. بيد أن هرقل لم يتمكن من إيقاف طوفان الفرس.. فضاع من الروم كل ما ملكوا في البلاد في شرقي العاصمة وجنوبها، ولم يعد العلم الصليبي يرفرف على الشام وفلسطين ومصر وآسيا الصغرى، بل علتها راية الفرس، وتقلصت الإمبراطورية الرومانية في عاصمتها، وسدت عليها جميع الطرق في حصار اقتصادي قاس، وعم القحط، وتفشت الأمراض الوبائية، ولم يبق من الإمبراطورية غير جذور شجرها العملاق، وكان الشعب في العاصمة خائفاً يترقب ضرب الفرس للعاصمة ودخولهم فيها، وترتب على ذلك أن أغلقت جميع الأسواق وكسدت التجارة، وتحولت معاهد العلم والثقافة إلى مقابر موحشة مهجورة .

وبدأ عباد النار يستبدون بالرعايا الروم للقضاء على المسيحية.. فبدأوا يسخرون علانية من الشعائر الدينية المقدسة، ودمروا الكنائس وأراقوا دماء غزيرة من المسيحيين المسالمين، وأقاموا بيوت عبادة النار في كل مكان، وأرغموا الناس على عبادة الشمس والنار، واغتصبوا الصليب وأرسلوه إلى المدائن عاصمة الدولة الفارسية .

ويعلق المؤرخ (جين) على حقيقة نوايا الفرس فيقول: ولو كانت نوايا (كسرى) طيبة في حقيقة الأمر لكان اصطلح مع الروم، بعد قتلهم (فوكاس) ولاستقبل (هرقل) كخير صديق أخذ بثأر حليفه وصاحب نعمته (موريس) بأحسن طريقة، لكنه أبان عن حقيقة نواياه، حينما قرر مواصلة الحرب، ويمكن قياس الهوة الكبرى التي حدثت بين الروم والفرس من خطاب وجهه (كسرى) إلى (هرقل) من بيت المقدس، قائلاً: (من لدن الإله كسرى، الذي هو أكبر الآلهة، وملك الأرض كلها، إلى عبده اللئيم الغافل (هرقل): انك تقول، انك تثق في إلهك! فلماذا لا ينقذ إلهك (القدس) من يدي ؟!.

واستبد اليأس والقنوط بهرقل من هذه الأحوال السيئة، وقرر العودة إلى قصره الواقع على الساحل الأفريقي في (قرطاجة).. وأُرسلت السفن الملكية إلى البحر وخرج هرقل في طريقه ليستقل إحدى هذه السفن إلى منفاه الاختياري. وفي هذه الساعة الحرجة تحايل كبير أساقفة الروم باسم الدين والمسيح، ونجح في إقناع هرقل بالبقاء، وذهب مع الأسقف إلى كنيسة (سانت صوفيا) يعاهد اللّه تعالى على أنه لن يعيش أو يموت إلا مع الشعب الذي اختاره اللّه له.

أرسل هرقل سفيراً إلى كسرى طالباً منه الصلح، فرفض كسرى الطلب بشدة، وقال: لن أصالح (الرومي) حتى يهجر إلهه ويعبد الشمس آلهتنا.

وبعد مضي ستة أعوام على الحرب (٦١٦ م) وافق كسرى أن يصالح هرقل على شروط صعبة، ويصف جين هذه الشروط بأنها مخزية دون شك، وكان من الممكن أن يقبلها هرقل، لولا المدة القصيرة التي أتيحت له لدفع الأموال المطلوبة لها من المملكة المنهوبة، والمحدودة الأرجاء، ولذلك آثر أن يستعمل هذه الثروة كمحاولة أخيرة ضد أعدائه.

وبينما سيطرت على العاصمتين الفارسية والرومية هذه الأحداث، فقد سيطرت على شعب العاصمة المركزية في جزيرة العرب، مكة المكرمة، مشكلة مماثلة! كان الفرس مجوساً من عباد الشمس والنار، وكان الروم من المؤمنين بالمسيح، وبالوحي وبالرسالة، وباللّه تعالى، وكان المسلمون مع الروم –نفسياً– يرجون غلبتهم على الكفار والمشركين، كما كان كفار مكة مع الفرس، لكونهم من عباد المظاهر المادية، وأصبح الصراع بين الفرس والروم، رمزاً خارجياً للصراع الذي يدور بين أهل الإسلام وأهل الشرك في مكة، وكأنه كان كل من الفريقين يشعر بأن نتيجة هذا الصراع الخارجي هو نفس مآل صراعهما الداخلي، فلما انتصر الفرس على الروم عام ٦١٦م واستولوا على جميع المناطق الشرقية والجنوبية من دولة الروم، انتهزها المشركون مراصد للسخرية من المسلمين قائلين: لقد غلب (الفرس) إخواننا على إخوانكم، وكذلك سوف نقضي عليكم، اذا لم تصطلحوا معنا تاركين دينكم الجديد.. وكان المسلمون بمكة في أضعف وأسوأ أحوالهم المادية، وفي تلك الحالة من الضيق، نزلت تلك الآيات الكريمة من سورة الروم.

ويذكر (جين) تعليقاً على هذه النبوءة فيقول: في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعاً، لأن السنين ألاثنتي عشرة الأولى من حكم (هرقل) كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية[٥].

وبعد بضع سنين فقط لم تتجاوز السبعة من هذه البشرى التي نزل بها الأمين جبريل على قلب النبي ﷺ، تغير الحال على الساحة بين الروم والفرس، وأخذ انقلاب يظهر على ساحة الإمبراطورية الرومانية ! فيذكر المؤرخ (جين) عن ذلك فيقول: إنها من أبرز البطولات التاريخية تلك التي نراها في (هرقل)، فقد ظهر هذا الإمبراطور غاية في الكسل والتمتع بالملذات وعبادة الأوهام في بداية حكمه، كان يبدو كما لو كان متفرجاً أبله، استسلم لمصائب شعبه، ثم تحول في النصف الثاني من حكمه من (ارقاديوس القصور) إلى (قيصر ميدان حرب) فجأة، واستطاع أن يستعيد مجد الروم خلال ستة حروب شجاعة شنها ضد الفرس، ولم تكن هناك دوافع سياسية وراء هذه البطولة، بل كانت نتيجة غريزة هرقل الذاتية، فقد انقطع عن كافة الملذات، حتى انه هجر (مارتينا) (ابنة أخته التي تزوجها لشدة هيامه بها خلافاً للتشريع المسيحي)، هرقل هذا وضع خطة عظيمة لقهر الفرس، وعندما خرج مع جنوده، بدا للكثير من سكان (القسطنطينية) أنهم يرون آخر جيش في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. وكان هرقل يعرف أن قوة الفرس البحرية ضعيفة، ولذلك أعد بحريته للإغارة على الفرس من الخلف، وسار بجيوشه عن طريق البحر الأسود إلى (أرمينيا)، وشن هجوماً مفاجئاً، ولم يستطع الفرس مقاومة هذه الغارة المفاجئة، فلاذوا بالفرار.

وكان الفرس يملكون جيشاً كبيراً في (آسيا الصغرى) ولكن هرقل فاجأهم بأساطيله مرة أخرى، وأنزل بهم هزيمة فادحة، وبعد إحراز هذا النصر الكبير عاد هرقل إلى عاصمته عن طريق البحر، وعقد معاهدة مع الآفار واستطاع بنصرتهم أن يسد سيل الفرس عن الشمال. وبعد هذين الحربين، شن هرقل ثلاثة حروب أخرى ضد الفرس في السنوات ٦٢٣،٦٢٤،٦٢٥ واستطاع أن ينفذ إلى أراضي العراق القديم عن طريق البحر الأسود واضطر الفرس إلى الانسحاب من جميع الأراضي تحت السيطرة الرومية نتيجة هذه الحروب. وأصبح هرقل في وضع يسمح له بالتوغل

---

(٥) انظر كتاب: النبوءة والإعجاز في القرآن والسنة/ المؤلف، ص٩٤.

في قلب الإمبراطورية الفارسية، وكانت آخر هذه الحروب المصيرية، تلك الحرب التي خاضها الفريقان في (نينوى) على ضفاف دجلة في أيلول عام ٦٢٧م.

وساءت الأحوال السياسية داخل العاصمة الفارسية، مما أدى إلى مقتل كسرى (ابرويز) بعد سجنه من قبل ابنه (شيرويه) وقتل معه ثمانية عشر من أبناء أبيه أمام عينيه، وحاول شيرويه أن يتصالح مع هرقل، ولكنه قتل أيضاً على يد أحد أشقائه، وهكذا بدأ القتال داخل البيت الملكي، وتولى تسعة ملوك زمام الحكم في غضون أربعة أعوام، ونتيجة لهذا الوضع المتدهور، أرسل (قياد الثاني) ابن (ابرويز الثاني) يرجو الصلح، وأعلن تنازله عن الأراضي الرومية..، ورجع هرقل إلى عاصمته (القسطنطينية) في آذار سنة ٦٢٨م بعد أن ظل يحارب ست سنوات كاملة دون انقطاع، واستقبلته الجماهير وهم يحملون أغصان الآس، وجرت له احتفالات واسعة خارج العاصمة.. وهكذا صدق ما اخبر به القرآن الكريم عن غلبة الروم بعد اندحارهم أمام الفرس، في مدته المقررة، بضع سنين، أي في أقل من عشر سنوات!. وهرقل هذا هو الذي أرسل له الرسول الكريم ﷺ رسالة يدعوه فيها للإسلام في عاصمته (القسطنطينية).

من خلال هذه النبوءة القرآنية، وهذه المتابعة التاريخية للصراع والحروب التي دارت رحاها بين الروم والفرس بعد البعثة النبوية، وقبيل ظهور الإسلام وانتشاره في الأرض، أردنا أن نعطي صورة مجملة عن الوضع الدولي للعالم القديم في عصر الرسالة، وعن هاتين الدولتين اللتين كانتا أعظم دولتين على الأرض آنذاك، دولة فارس في الشرق والتي كانت تسيطر على مساحة واسعة تمتد من حدود جزيرة العرب وبلاد الشام من الشمال الغربي والخليج واليمن من الجنوب الغربي، وتتوغل في الشرق حتى حدود الصين والهند، وكانت تدين بالمجوسية الوثنية، وكان أشهر مذاهبها ومدارسها الدينية الزرادشتية والمانوية والمزدكية. وكانت دولة الروم في الغرب، والتي تضم فضلاً عن أجزاء من أوربا، بلاد الشام ومصر وبقية الشمال الأفريقي. وتدين بالنصرانية بمذاهبها المعروفة آنذاك، الكاثوليكية والآريوسية والنسطورية وغيرها، وكان اليهود بعد حرب السبعين (٧٠م) وقمع الرومان لهم قد تفرقوا في بعض أنحاء الدولتين العظيمتين النائية، وفي الحبشة واليمن، ونزحوا إلى بعض مناطق جزيرة العرب الشمالية، مثل تيماء وخيبر ويثرب .

انتصار الإسلام في ظل الدولة الإسلامية العظمى

﴿إذا جاء نصر اللّه والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين اللّه أفواجاً، فسبّح بحمد ربك واستغفره، انه كان توابا﴾[٦].

يؤكد المؤرخ الغربي أرنولد توينبي: إن سرعة الفتوح التي تمت في عصر الخلافة الراشدة وصدر الإسلام، ومداها، أمران يدعوان إلى الإعجاب، فقد انتزع المسلمون من الإمبراطورية البيزنطية سورية والجزيرة الفراتية وفلسطين ومصر إلى سنة (٢٠ هـ)، وكان المسلمون قد فتحوا العراق (١٦ هـ) في عهد الخليفة عمر ﷺ وبلاد فارس بكاملها حتى مرو سنة (٧٠ هـ).

وقد انتهى أمر الإمبراطورية الساسانية في سنة (٣٠ هـ). وفي سنة (٣٢هـ) فتح المسلمون بلاد الأرمن وجورجيا التي كانت تمثل المناطق الشمالية المشتركة لدولتي الروم وفارس، وبين سنتي ٢٦ هـ و ٧٧ هـ حرر المسلمون شمال غرب أفريقية من البيزنطيين، وفي السنوات ٨٩-٩١ هـ اجتازوا البحر إلى شبه جزيرة ايبريا (الأندلس) وقضوا على مملكة القوط، واحتلوا أملاكها حتى الواقعة في جنوب غرب بلاد الغال، ولم يبق خارج سلطانهم سوى الزاوية الشمالية الغربية من أسبانية، وفي الوقت نفسه كان المسلمون يفتحون (سنة ٩٠ هـ) حوض السند ومنطقة البنجاب الجنوبية في أقصى الشرق[٧].

وبين سنتي (٤٠-٥٠ هـ) فتح المسلمون شمال غرب أفغانستان (طخارستان) التي كانت جزء من الإمبراطورية الساسانية، مما مهد للدولة الإسلامية أن تسيطر على الطريق البري الواصل بين الهند والصين عبر حوض نهري سيحون وجيحون، وحاول المسلمون فتح ما وراء النهر مرتين، إلا أنهم فشلوا في الأولى (إلى سنة ٩٤ هـ) ونجحوا في الأخرى (١١٨-١٢٠ هـ)، إذ فتحوها بأكملها نهائياً. وبعد هذه الشحنة الروحية الهائلة، وهذا الفتح المبين، الذي جعل الخلفاء المسلمون يجلسون على عرش أكبر دولة عرفها التاريخ، لقي العرب والمسلمون من أوقفهم عن استمرار

---

[٦] سورة النصر.

(٧) أي أن المسلمين فتحوا نصف العالم القديم خلال ربع قرن، وفتحوا معظم النصف الثاني خلال نصف قرن آخر، في فتوحات مستمرة خلال هذه الحقبة، ولم تتوقف هذه الفتوحات إلا نادرا، بسبب الفتن الداخلية والمؤامرات التي حاكها الأعداء بالتنسيق مع الجهلة والغلاة والمرتزقة داخل الدولة الإسلامية، كما حدث في أواخر عصر الخلافة الراشدة وبداية العصر ونهايته، والصراعات الشعوبية في العصر العباسي.

الفتح على جبهات أربع، فقد توقفت الفتوح الإسلامية في الشمال الشرقي سنة (١٢٠ هـ) عند جبال أمانوس. وقد كان المردة سكان أمانوس خصوم المسلمين، يعتبرون موالين في نظر البيزنطيين، والجبهة الثانية، أنهم لم يستطيعوا احتلال القسطنطينية[٨] رغم قربها من قلب الدولة الإسلامية، إلا بعدِ قرون طويلة (في زمن محمد الفاتح العثماني)، وكان معاوية (٤٠-٦٠ هـ) قد تنبه إلى أن القضاء على الإمبراطورية البيزنطية يقتضي احتلال العاصمة، وان سبيلٍ ذلك هو انتزاع القوة البحرية في البحر المتوسطِ من أيدي البيزنطيين. فأنشأ أسطولاً (٤٨ هـ) وحاصرت قواته القسطنطينية بحراً وبراً (٥٣-٥٧ هـ) إلا أن الحصار لم يؤدِ إلى شيء، لأن الأسطول الرومي كان مزوداً بالنار اليونانية وبالآلة اللازمة لرميهاَ (المنجنيق)، وقد حاصر المسلمون القسطنطينية ثانية (٩٦-٩٧ هـ) ولم يفلحوا أيضاً. والجبهة الثالثة كانت في الأندلس وبلاد الغال (فرنسا) ففي سنة (١١١ هـ) ردوا في معركة بلاط الشهداء، إذ نكب المسلمون بأكثر من سبعين ألف شهيد، على رأسهم قائدهم عبد الرحمن الغافقي، والجبهة الرابعة كانت عجزهم عن فتح إمبراطورية الخزر بين نهري الفولغا والدون (في روسيا الحالية) في سنة ١١٧ هـ[٩].

وهكذا توقفت الفتوحات الإسلامية عند حدود معينة، إلا أنها كانت فتوحات سريعة وواسعة في مجالها. لقد تحدى المسلمون، في هذا الفتح المبين، إمبراطوريتي الروم وفارس في وقت واحد، وأثاروا نوعين من ردة الفعل. فدولة الروم قاومت وبقيت، على الرغم من اقتطاع جزء مهم منها. أما دولة الفرس، فقد خضعت وانتهى أمرها. ومع ذلك فقد أصاب الفرس والروم -على السواء - نوع من الإحياء بسبب هذه التجربة المؤلمة، ولو أنه جاء بأسلوبين مختلفين. ومع أن البلاد المفتوحة قد دخلت الإسلام أفواجاً. فقد بقي قسم منهم على مجوسيته أو نصرانيته أو يهوديته، أو تظاهر البعض بالإسلام وأبطن معتقده، فبقيت فلول قليلة في أقصى الشرق من خراسان محتفظة بالمجوسية ومحصورة في أماكن محدودة، وقد حافظ على الزرادشتية والمانوية والمزدكية مهاجرو الشتات إلى غرب الهند، وبقيت لهم عيون وأيادي خفية ضئيلة في وسط المجتمع الإيراني، وكان هؤلاء هم مروجو الغلو

---

(٨) القسطنطينية، وهي الأستانة التي أصبحت فيما بعد عاصمة الدولة العثمانية لقرون عديدة، بعد أن فتحها السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣م، وتسمى اليوم إسلام بول (اسطنبول) وتقع في الجزء الأوربي من تركيا الحالية.

(٩) أرنولد توينبي، تاريخ البشرية: ج٢، ص٢٢.

والعقائد الهدامة في المشرق الإسلامي، ورعاة النفس الشعوبي الحاقد على العروبة والإسلام خلال العصر والعباسي وما بعده. أما رعايا دولة الإسلام في الأمصار التي كانت رومية، فقد كانوا أقل استعداداً لقبول الإسلام من الرعايا الإيرانيين، ذلك لأنهم أهل كتاب وأصحاب رسالة، وقد ضمن لهم الإسلام حقوقهم الدينية، وان القرآن الكريم نص على أنه يجب أن يكونوا موضع التسامح والحماية، إذا قبلوا بالحكم الإسلامي ودفعوا الجزية، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على اليهود، غير أن هؤلاء سرعان ما تبعوا غيرهم من رعايا الدولة الإسلامية في الدخول في الدين الجديد، كان على رأسهم العرب في بلاد الشام وغيرهم، وحافظ آخرون على وجودهم الديني ضمن دولة الإسلام ليكونوا مع الزمن طوائف وأقليات تتعايش مع المسلمين. وكان من البديهي وجود فئة ثالثة مندسة تتظاهر بالإسلام وتمتهن التجسس لصالح أعداء دولة الإسلام، وعلى رأسهم دولة الروم، التي بقيت محافظة على وجودها السياسي، وظلت في صراع مع الدولة الإسلامية قروناً طويلة، فكان هذا التيار الخفي يلتقي مع التيار الشعوبي المتحامل على دولة الإسلام التي قضت على كيانهم ودولتهم وعقيدتهم، ومع النفس اليهودي الخبيث الذي ما انفك يبث سمومه في كل دعوة حق تظهر على وجه الأرض لتطهر النفوس والأرواح من الظلمات والفساد والشر، فكان لابد لهذه القوى والتيارات أن تلتقي وتتآزر لوقف الزحف الإسلامي والقضاء على نوره المبين، والتآمر على إقصاء حكم القرآن وحضارته التي عمت المعمورة آنذاك(١٠).

رد الأعداء باغتيال عظماء الإسلام

لم تكن مصادفة في التاريخ الإسلامي أن يموت ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة غيلة وغدراً -كما ذكرنا- والدولة الإسلامية في أوج عظمتها وانتصاراتها، إلا

---

(١٠) وهناك أمثلة عديدة تبين متابعة وترقب الروم لدولة الإسلام الفتية المتنامية منذ عصر الرسالة، منها قصة الثلاثة الذين خلّفوا عن غزوة جيش العسرة (تبوك) وقصة الصحابي كعب بن مالك خاصة، إذ أرسل ملك الروم رسالة إلى كعب، يقول له فيها: إن صاحبك قد جفاك فالحق بنا نواسيك. فرمى كعب الرسالة في النار، وقال: هذه من الفتنة. وما يستوقفنا في هذه القصة التي رويت في كتب السيرة هو سرعة وصول أخبار المسلمين في المدينة إلى الروم، ومن هم هؤلاء الجواسيس الذين أوصلوا الخبر إليهم ثم أرسلوا الرسالة إلى كعب، علماً بان الوقت الذي استغرقته الحادثة وعقوبة المقاطعة للثلاثة الذين تخلفوا عن الغزوة، أربعين يوماً ؟، إن سرعة وصول الخبر والرسالة تشير إلى قوة الجواسيس حتى في عصر النبي r، وتشير روايات السيرة التي تروي الحادثة، إن الذي سلم الكتاب إلى كعب بن مالك، نبطي من نصارى الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه في المدينة.
(راجع كتاب: الرسول القائد/ محمود شيت خطاب، بغداد ١٩٦٥، ص ٢٩٣ و ص٣٢٩).

إذا افترضنا جازمين وجود أصابع خفية من أعداء الأمة وعلى رأسهم، اليهود والمجوس والروم، بحيث كان وراء تلك الأحداث، التخطيط العميق والتنفيذ الدقيق لإيقاف الزحف الإسلامي ونشر نوره في العالم اجمع، وذلك باغتيال أعظم رجاله والحيلولة دون نشر الفتنة والاختلاف والاضطراب في صفوف المجتمع الإسلامي، وكان من ثمرة ذلك التخطيط مقتل عظماء الإسلام وانتشار التحزب والطائفية والخصومة بين المسلمين، وكان من ابرز ملامح ذلك –بعد مقتل عثمان ﷺ–، انتشار الأفكار السبئية والباطنية والحروب العديدة بين المسلمين، واستشهاد العديد من أئمة أهل البيت وأبناء الصحابة في العهدين والعباسي، كما حدث في الطف والحرة ومكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق وغيرها.

ولكي نكشف دور هذه الأصابع الخفية وهذا التآمر على الإسلام والقوى المعادية التي تقف وراءه لابد من نبذة تاريخية عن اغتيال الخلفاء الثلاثة، كما ترويه المصادر التاريخية، ليكون ذلك حافزاً لنا نحو التصحيح والتصدي لأعداء الأمة الحقيقيين مهما تخفوا واظهروا الإيمان بالإسلام والعمل بمنهجه.. فان كشف خطط الأعداء وقراءة أفكارهم وأساليبهم، وتطهير التراث الإسلامي من الروايات المدسوسة من أهم الوسائل الناجحة، نحو بناء أمة قوية موحدة، للسير نحو توحيد الأمة وتقريب وجهات نظرها في المسائل الخلافية والمذهبية وغيرها.

اغتيال عمر ﷺ

يجمع المؤرخون المسلمون على إن اغتيال عمر بن الخطاب ﷺ كان نتيجة خطة يهودية مجوسية رومية، نفذت على يد أبي لؤلؤة الفيروز العبد المجوسي، وحيكت في الظلام بأيدي مجموعة من ألد أعداء الإسلام. ويروي الطبري في تاريخه حادثة استشهاد الفاروق التي اختصرها الشيخ محمد الخضري في كتابه تاريخ الأمم الإسلامية، فيقول:

كان المسلمون يسبون من أبناء فارس ومن جاورهم من العجم الوثنيين ويتخذونهم لأنفسهم عبيداً، وقد أحضروا عدداً منهم إلى المدينة وكان ذلك أثناء فتح العراق وفارس في عهد عمر ﷺ، وكان بعض هؤلاء يختلفون إلى الهرمزان (أحد قواد كسرى الفرس) الذي أضاع عمر ملكه وأقامه في المدينة كواحد من الناس. ومن هؤلاء السبايا رجل اسمه فيروز، ويكنى بأبي لؤلؤة، وهو غلام (عبد) للمغيرة بن شعبة وكان مجوسياً... فبينما عمر يطوف يوماً في السوق لقيه ذلك الغلام فقال يا أمير المؤمنين علي خراج كثير، قال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم، قال عمر: وما حرفتك؟ قال: نجار ونقاش وحداد، قال: فما أرى خراجك للمغيرة بكثير.. وقد بلغني انك يمكن أن تعمل رحى تطحن بالريح، قال: نعم، قال: فأعمل لي رحى قال: إن عشت لأعملن لك رحى يتحدث بها من في المشرق والمغرب، ثم انصرف عنه، فقال عمر: لقد توعدني العبد... فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار، فقال: يا أمير المؤمنين أعهد فانك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال أجده في كتاب اللّه التوراة. قال عمر: واللّه انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكن أجد صفتك وحليتك وانه قد فني أجلك، وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً. ثم جاءه كعب الأحبار في اليوم الثاني والثالث ليؤكد عليه تلك النبوءة ! ولو صحت هذه الحكاية ما ترددنا لحظة في أن لكعب يداً في مقتل عمر. (وكان كعب يهودياً اسلم في عهد عمر، وهو ممن أفاض علينا ثروة في الأخبار الإسرائيلية التي لا ندري حقيقتها).

وفعلاً نفذ أبو لؤلؤة الفيروز وعيده وقتل الإمام العادل عمر بن الخطاب ﷺ في صلاة الفجر في أواخر شهر ذي الحجة لسنة ٢٣ هـ، حيث طعنه بخنجر ست طعنات إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه في الصلاة، ونادى عمر عبد الرحمن بن عوف وقال له: تقدم فصل

بالناس وعمر طريح، ثم احتمل فأدخل داره، وقال: من الذي قتلني؟ فقال عبد اللّه بن عمر: قتلك أبو لؤلؤة، فحمد اللّه أن لم يقتله رجل سجد لله سجدة. وكانت وفاته في الأول من المحرم لسنة ٢٤ هـ، وقد طعن في ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ.

وشاع بين المسلمين عقب طعن عمر، أن قتله لم يكن عمل أبي لؤلؤة وحده بل كان هناك أشخاص اشتركوا في دمه، فقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق غداة طعن عمر: مررت على أبي لؤلؤة أمس ومعه جفينة [١١] والهرمزان وهم نجي، فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل عمر، فجاؤا بالخنجر الذي ضرب به أبو لؤلؤة، فإذا هو على الصفة التي وصفها عبد الرحمن، وكان رجل من تيم قد تبع أبا لؤلؤة فقتله واخذ منه الخنجر [١٢]، فلما رأى ذلك عبيد اللّه بن عمر أمسك حتى مات عمر. ثم اشتمل على سيفه فأتى الهرمزان فقتله، ثم مضى حتى أتى جفينة فقتله.

ولما سمع بذلك صهيب، وهو القائم مقام الخليفة، أرسل إليه من أتى به وسجنه، حتى يتم أمر الاستخلاف وينظر في أمره، فحكم عثمان في هذه القضية بعد التشاور، أن جعلها دية واحتملها من ماله، لصعوبة التحقق من دور الجناة في قتل عمر وحجم ذلك الدور، ولتسرع عبيد اللّه بن عمر إلى قتلهم دون الرجوع إلى القضاء، وهو أول قضاء في قضية نظر فيها عثمان في عهده [١٣].

---

(١١) هو جفينة العبادي من نصارى الحيرة، أقدمه سعد بن أبي وقاص المدينة لتعليم المسلمين الكتابة .

(١٢) تاريخ الطبري/ ج٤ ص ١٩. وفي رواية أخرى انه انتحر بعد أن قتل ثلاثة عشر رجلاً من المسلمين في المسجد النبوي بعد طعن عمر ﷺ أثناء الصلاة.

(١٣) تاريخ الأمم الإسلامية/ الشيخ محمد الخضري بك/ج٢، ص٢٠-٢٥، تاريخ الطبري/ ج٤، ص١٩٠-١٩٥.

اغتيال عثمان ﷺ

لقد شهد عهد عثمان ﷺ في آخره، نوعاً من الاضطرابات والخروج والفتن، بعد أن كان عهده عهد فتوح واستقرار ورخاء خلال السنوات العشر الأول من حكمه الذي دام اثنتي عشرة سنة، وكان مصدر هذه القلاقل والفتن جموع من البصرة والكوفة ومصر، معترضين على عدة أمور في سياسة عثمان، ويجمع المؤرخون على أن ذلك الخروج كان يضم فيما يضم بعض رؤوس الغلو والنفاق من أعداء الإسلام، وبتخطيط ومتابعة من اليهود والمجوس والروم وخطوطهم الخفية، وكان على رأس هؤلاء رجل يهودي يدعى عبد اللّه بن سبأ، أصله من اليمن، تظاهر بالإسلام وركب موجة الخروج على الخليفة وآثار الفتنة، ورغم إننا لا ندعي إن هذه الفتنة كانت بتفاصيلها من صنع هذا اليهودي وأعوانه، فان للفتنة أسبابا عديدة سنوجزها أدناه، غير أن إنكار وجود ابن سبأ لا يقل شططاً من تضخيم دوره وأفعاله وجعله السبب الأوحد لهذه الفتنة الكبيرة التي أدت في النهاية إلى مقتل الخليفة نفسه، والى انقسام المسلمين إلى طوائف وفرق متناحرة ومتصارعة.

أما أهم أسباب الفتنة في عهد عثمان ﷺ فيمكن أن نوجز بعضها بما يأتي:

١- اتساع رقعة الدولة الإسلامية بعد الفتوح العظيمة، وصعوبة السيطرة على أرجائها، ودخول العديد من الشعوب والممالك والأمصار في دار الإسلام، وهؤلاء الداخلين كانوا حديثي عهد بمبادئ القرآن، منهم المغرضين ومنهم من لم تكن لديه التربية القرآنية للفهم الشمولي للإسلام، وكيفية التعامل مع الإمام، فوقعوا بجاهليتهم بكيد المغرضين.

٢- التغير النوعي في المجتمع الإسلامي بعد وفاة واستشهاد الكثير من الصحابة وأبنائهم، وانتشار البعض الأخر في الأمصار، إذ كان عمر لا يسمح لهم بالخروج من المدينة المنورة، وسمح لهم عثمان في عهده.

٣- أثر شخصية الخليفة عثمان المتسامحة الرحيمة اللينة، بعد أن كان عهد عمر عهد حزم وعزيمة وكان أسلوبه في الحكم أسلوبا مركزياً متصلباً، مما جعل البعض يشعر بالفرق بين العهدين وشجع البعض الأخر للانفلات والاعتراض.

٤- تجرؤ اليهود والمجوس والروم على توهين قوة دولة الإسلام المتعاظمة بعد نجاحهم في قتل الخليفة عمر على يد أبي لؤلؤة الفيروز المجوسي بالتنسيق مع الهرمزان وجفينة النصراني، ومن المظاهر الأخرى لقوة هذه الأصابع الخفية ونموها، ظهور ابن سبأ وأتباعه في مصر والكوفة والبصرة، ومحاولة نشر أفكار الغلو وتشجيع الفتنة والعصيان على الخليفة.

٥- اعتماد الخليفة عثمان ﷺ على بعض أقاربه وأصحابه في إدارة شؤون الدولة وتعيين الولاة منهم، بعد أن لمس التغير النوعي في المجتمع ودخول شعوب جديدة في الإسلام وتعقيد الوضع السياسي للدولة وأمصارها المترامية الأطراف، مما اوجد حالة من صعوبة السيطرة على الأمصار بالأسلوب السابق، نتيجة التغير الاجتماعي والسياسي الهائل الذي حدث في أواخر عهده، وفي عهد علي أيضا، مما دفع علياً أيضا لانتهاج نفس السياسة في تقريب ذوي رحمه واستخدامهم في إدارة شؤون الدولة، فقد عين الخليفة علي ﷺ ضعف العدد من ذويه مما استخدمه الخليفة عثمان من أقاربه كما هو معروف في كتب التراث والتاريخ لدى الفريقين[١٤].

٦- الرخاء والترف الذي عم كافة أرجاء الدولة الإسلامية في عهد عثمان بعد اتساع الفتوح الإسلامية، مما أدى إلى الركون إلى النعيم والبذخ والتنافس على مباهج

---

[١٤] الطبري/ ج٥، ص ١٥٠، وكتاب العواصم من القواصم، القاضي ابن العربي،ص ١٦٠.

الحياة، مما ولد تيارين مختلفين في فهم الدين وتطبيقه، تيار الزهد والكفاف، وتيار التمتع بالمباحات والميل إلى الترف والبذخ أحيانا، مثلها بعض الأغنياء الذين كانوا يحاولون إيجاد حالة من التوازن بين التمتع بالنعيم وأداء الحقوق والواجبات الشرعية المترتبة على وفرة المال.

كان مقتل عثمان ﷺ بداية تصدع عصر الوحدة والأخوة والتلاحم بين المسلمين، ولا شك أن من أسباب مقتله الرئيسية ودوافعه وجود تلك الأصابع الخفية، من بقايا الأنظمة التي قضى عليها الإسلام في فارس والروم، وحقد أصحاب العقائد المقهورة أمام قوة الإسلام المتعاظمة، ولا شك إن هناك أسبابا أخرى منها، التطور السريع في المجتمع الإسلامي ونموه السياسي والاقتصادي أعلاه-، كما إن للأخطاء البشرية التقليدية لبعض الولاة دوراً في تفاقم الأزمة واستفحالها ومن ثم انتهائها بتلك الصورة المفجعة، التي أتت على استقرار النظام السياسي للدولة، الذي استمر أكثر من ربع قرن. أما الفرقة والتطرف والعصبية فما يزال أثرها لحد الآن، وصدق عثمان ﷺ حين تنبأ أثناء حصاره، إن قتله سيفتحِ باب الفرقة والتحزب. عن أبي ليلي الكندي قال: شهدت عثمان وهو محصور فأطّلع من كوة وهو يقول: يا أيها الناس لا تقتلوني، فو اللّه لئن قتلتموني لا تصلون جميعاً أبدا، ولا تجاهدون عدواً جميعاً أبدا ، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم قال: يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد..

وإذا رجعنا إلى حادث استشهاده ومحاصرة بيته، نرى إن هذه الأمور كانت تجري وفق خطة مسبقة ومعدة لإضعاف الدولة الإسلامية وتمزيقها، وإثارة الفتنة التي أدت -فيما بعد- إلى مقتل العديد من أهل البيت والصحابة وأبنائهم وعلى رأسهم علي وطلحة والزبير والحسين وعبد الله بن الزبير وغيرهم من عظماء الإسلام يقول الشيخ محمد الخضري عن حادثة مقتل عثمان:

ابتدأت الفتنة بعد أن أعلن الغوغاء والغلاة(١٥) في مصر والبصرة والكوفة الثورة على عثمان وانتقاد حكمه وتقريبه لأهل بيته وتجريح ولاته تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي رفعه ابن سبأ وأتباعه بغية إثارة الفتنة بين

(١٥) يعرف الغلو في الدين، بأنه التعمق في الرأي والتنازع فيه والزيغ والشقاق. أي إن الغلو يبنى على أربع شعب كل واحدة منها تؤدي إلى الهلكة والتشتت والتعصب المنبوذ. انظر الحر العاملي: وسائل الشيعة ٦/ ٢٧١ وهو يورده على لسان الإمام عليﷺ.

المسلمين، وقرر هؤلاء إعلان الثورة والعصيان، وجعلوا من موسم الحج سبباً للقائهم وإعلان مطالبهم، وتوالت الأحداث بوصول وفود الثائرين من مصر والبصرة والكوفة، وانتهوا بعد سلسلة من الأحداث خلال سنة ٣٥هـ إلى التضييق على عاصمة الخلافة في المدينة ومحاصرة الخليفة عثمان في داره ثم قتله بعد ذلك.

استمر الحصار على عثمان واشتد عليه حتى منعوه الماء، فكان لا يصل منه إليه شيء إلا خفية، وكان عثمان يطل عليهم من آن لآخر ويعظهم فلا تؤثر فيهم الموعظة، ثم شددوا عليه الحصار لما بلغهم أن جنداً من الأمصار أقبلت لنصرة عثمان، وأراد المحاصرون التعجيل بالأمر خوفاً من خطر يفاجئهم، فأحرقوا أبواب الدار، ومنهم من تسور دار أبي حزم الأنصاري وكان جاراً له، ولما رأى ذلك عثمان ﷺ استسلم للقضاء، وأمر من يريد الدفاع عنه أن ينصرف، ودخل عليه جماعة، فتقدم احدهم، فضربه رجل يدعى الغافقي بحديده كانت معه، وجاء سودان بن حمران ليضربه فأكبت على عثمان زوجته البارة نائلة بنت الفرافصة واتقت السيف بيدها فتغمدها وقطعت أصابع يدها، ثم هوى عليه بعضهم فضرب عنقه، وانتبهوا ما في البيت واخرجوا من فيه، ثم أتوا بيت المال فانتهبوه، وأذاعوا بالمدينة خبر قتله، وكانت مدة حصاره اثنين وعشرين يوماً، وكان قتله يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ وذلك بدء افتتاح التاريخ المشؤوم[١٦].

في خضم أحداث الفتنة يبدو للناظر بأول وهلة، إن دار الخلافة والخليفة نفسه، كانا وكأنهما بدون حماية كافية لدرء مثل هذه الأخطار عن الدولة الإسلامية، وان العاصمة كانت تبدو وكأنها خالية من الجند، ورغم تفاقم الأحداث والشغب في مصر والبصرة والكوفة في السنوات الأخيرة من حكم عثمان ﷺ، حتى حصار المدينة، لم تتخذ الاحتياطات اللازمة لقمع التمرد والحفاظ على الأمن والنظام، كما يبدو أن هذا الوضع كان يتكرر مع بقية خلفاء العصر الراشد. وهو يدل على إن الصحابة رغم تقلدهم أعلى المناصب والمواقع في إدارة الدولة، التي كانت تمثل اكبر دولة في العالم آنذاك، لم يستشعروا إنهم قد غنموا مغنماً أو حصلوا على امتياز يميزهم عن غيرهم من الرعية، ويستدعي حمايتهم وإحاطتهم بهالة من الحجب والمظاهر أو القداسة والتعالي غير المشروع، فلم يرغبوا في تطبيق النظم والضوابط الإدارية والأمنية التي كانت سائدة ومعروفة في الدول غير الإسلامية المجاورة، بل

---

(١٦) تاريخ الطبري: ٣٩٦/٤،تاريخ الأمم الإسلامية/محمد الخضري/ ج٢، ص٤٢.

كانوا يتأسون بقدوتهم النبي المصطفى ﷺ في البساطة والتواضع والزهد في الدنيا والملك، وقد اضطر ذلك الوضع، معاوية وغيره من الخلفاء الذين جاءوا من بعده، إلى سد تلك الثغرة الأمنية التي استغلها الأعداء لاغتيال عظماء الإسلام، واتخاذ الحرس والحجاب والوسائل الأمنية الضرورية للمحافظة على حياة الخليفة ورموز الدولة وهياكلها الأخرى.. وقد شجعت تلك الثغرة قتلة عمر ﷺ إلى المضي بخطوات واثقة لتنفيذ خطتهم الجبانة وقتله في المسجد النبوي وبين وزراءه من صحابة الرسول ﷺ[١٧]. وفي عهد عثمان استغل الغوغاء موسم الحج لتنفيذ خطتهم الأثيمة، فشجعهم تجمع المسلمين لأداء فريضة مقدسة، للتوافد إلى المدينة والتآمر على الخليفة وحصاره ثم قتله، والأمر نفسه حدث مع الخليفة الرابع – فيما بعد – حينما خطط ونفذ الخوارج قتله بأيسر السبل، فقتل في صلاة الفجر في مسجد الكوفة[١٨]. ومما زاد في عزلة الخليفة عثمان وساعد على تسهيل مهمة المتآمرين، إن جيش الخلافة كان منتشرا على الثغور على حدود الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، إذ كان النصف الأول من عهد عثمان عهد فتوح وجهاد ورخاء واستقرار[١٩]، كما كان بقية الجند بإمرة ولاة الأمصار، وقد حاول معاوية نصرة المدينة وفك الحصار عن الخليفة[٢٠]، وأرسل جيشاً من الشام إلى المدينة، لكنه لم يصل في الوقت المناسب، إذ أن أهداف المتآمرين لم تكن واضحة في بداية الحصار، وذلك لتوافق الأحداث مع موسم الحج، فما أن انتهى الموسم، حتى شدد المحاصرون الخناق، وفي ١٨ ذي الحجة كان الخليفة قد استشهد، فرجع جيش الشام إدراجه حين سمع بمقتل الخليفة قبل وصوله المدينة بأيام[٢١]. وأثناء الحصار لم يكن

---

(١٧) إننا نشير هنا إلى سيادة القانون وحصانة الفرد في الدولة الإسلامية، وعدم استساغة كبار الصحابة والخلفاء لتشجيع الصيغ العرفية في التعامل مع الرعية حتى أثناء الفتن ووجود تهديد للأمن عموماً، أما مبدأ حماية الإمام وحراسته، فهو موجود في السيرة، وكان الصحابة يقومون بحراسة النبي ﷺ حتى عصمه الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ياءيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ سورة المائدة: ٦٧. فقال الرسول ﷺ للصحابة: لا حاجة لي بالحراسة بعد اليوم، فقد عصمني الله عز وجل.

(١٨) وقد اختلفت القناعات حول أيهما أولى بالحفظ والحماية، عظماء الإسلام (الخلفاء والعلماء والدعاة) أم المبادئ التي بشر بها الإسلام، وعلى رأسها إقامة العدل وعدم الأخذ بالشبهات وعدم تميز الراعي عن الرعية.

(١٩) لقد كان عهد عثمان الأول مشرقاً وحافلاً بالاستقرار والانتصار، يذكر البلاذري: ان عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميرا، فمكث ست سنين لا ينقم الناس عليه، وانه أحب إليهم من عمر، لشدة عمر ولين عثمان. (انساب الإشراف/ ٥/٢٥.)

(٢٠) ومما أخر وصول الجيش، موقف الخليفة عثمان t الرافض لإراقة الدماء وعدم طلبه النصرة من احد.

(٢١) الطبري/ ج٦، ص ٣١٨، وابن كثير/ ج ٧، ص ١٨٥. والمسعودي/ مروج الذهب/ ج٢ ص ٢٣٣.

موقف علي ﷺ أفضل من ظرف ابن عمه وعديله وصاحبه عثمان ﷺ، إذ حاول جاهداً أن يفك الحصار عن الخليفة، بإقناع المتمردين بالعدول عن طوقهم الغاشم حول المدينة، ولكنه لم يفلح، وقد ساهم مع بقية الصحابة بإيصال الماء إلى دار عثمان، وأرسل ابنيه الحسن والحسين مع بقية أبناء الصحابة للدفاع عنه، وبينما كان الصحابة وعلى رأسهم علي ﷺ يرجون انفراج الأزمة بعد انتهاء موسم الحج وعودة الحجيج إلى أمصارهم ومجيء الجند إلى المدينة، استبق المتمردون الأمر وفعلوا فعلتهم المشئومة بقتل الخليفة ثم التمثيل به ونهب بيته وبيت مال المسلمين(٢٢)، فتوترت الأحوال بعد مصرع عثمان، الذي لم يكن يتوقعه الصحابة، وعلى رأسهم علي وطلحة والزبير، وكانت المدينة تعج بالمتمردين الذين تصفهم بعض الروايات بأنهم من شر الناس وأراذل الناس وان عددهم يصل إلى عشرة آلاف شخص وفدوا من مصر والبصرة والكوفة(٢٣).

اغتيال طلحة والزبير ﷺ ودور الغلاة في معركتي الجمل وصفين

في تلك الأثناء ذهب طلحة والزبير ﷺ إلى مكة ليتدارسوا الأمر مع بقية الصحابة الذين كانوا في مكة لأداء فريضة الحج، وأبرزهم السيدة عائشة زوج النبي ﷺ التي هالها التجرؤ على مقام الخلافة ومقتل الخليفة، وغاظها تجرؤ الغوغاء والجهلة على عثمان، والاستهانة بدمه بعد حصاره. وكان خبر استشهاد عثمان صاعقاً لأهل مكة أيضاً. فقرر طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم ملاحقة القتلة في أمصارهم والذهاب إلى البصرة، وثم إلى الكوفة، للقصاص من قتلة عثمان مباشرة، وكان طلحة والزبير ﷺ قبل ذلك، قد حضرا ملابسات اختيار خليفة جديد في المدينة بعد عثمان ﷺ، وكان القتلة يدركون أن بقاء المسلمين بدون خليفة يشكل خطراً

---

(٢٢) تاريخ الطبري / ج٤ ص ٣٦٥-٣٩٦، ابن كثير / ج٧ ص ١٨٥. ومهما يقال بشأن التمرد والثورة على عثمان وأسبابها، وما اخذ عليه فانه من الصعب تحديد عامل واحد لها، سواء كان عامل دور الغلاة أو ردها إلى سياسة عثمان الإدارية اللينة، إذ تداخلت معها بعض العصبيات القبلية مع عوامل اقتصادية واجتماعية نتيجة التطور السريع للدولة والمجتمع، مع أمور دينية واجتهادية أخرى، هذه الأسباب مجتمعة هيأت أجواء التمرد والعصيان والثورة، وأخصبت التربة لمن كان ينتظر مثل هذه الفرصة من الأعداء، ليعمل على تحقيق ما يصبو إليه من بث روح الشقاق بين المسلمين. وكانت السبئية من أبرز تلك القوى التي استثمرت هذه الظروف والأحداث السياسية ووجهتها لمصلحتها في تفجير الصراع الدموي الذي كان باكورته بعد قتل عثمان حروب الجمل وصفين والنهر وان وما جرى بعدها من أحداث مؤلمة وتصدع حاد على الجبهة الإسلامية عموماً.

(٢٣) ابن كثير/ ج٧، ص ١٧٥، البلاذري/ انساب الأشراف، ص ٤١٢، وانظر الملل والنحل: ابن حزم، ١٦١/٤.

عليهم ونذير فوضى هم أول ضحاياها، فقرروا أن لا يتركوا المدينة حتى ينتخبوا خليفة، وكان المرشحون الثلاثة لذلك، هم كبار الصحابة، علي وطلحة والزبير[٢٤]، فوقع اختيارهم أخيرا على علي ﷺ، وتذكر بعض الروايات أن طلحة والزبير قد اجبرا من قبل المتمردين على المبايعة لان المدينة كانت شبه محتلة من قبلهم، وقد أجاب طلحة والزبير علياً حين راسلهما وذكرهما بالبيعة أنهم كانا مكرهين[٢٥] ولم يكن الإكراه من جهة الخليفة، ولكن من قتلة عثمان. أما علي ﷺ فلم يستجب أول الأمر لفكرة انتخابه خليفة، وقال لهم ولبقية منتخبيه من المهاجرين والانتصار: أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[٢٦] مذكّراً بدوره البارز في عهد الشيخين أبي بكر وعمر ﷺ ذلك لأنه كان يدرك حجم الفتنة وخطر هؤلاء الأعراب والغلاة والغوغاء القادمين من الأمصار، ولكنه استجاب في النهاية لرغبة الأكثرية الساحقة -كان على رأسهم عدد من الصحابة وأبنائهم- التي لم تجد غيره كفأً لخلافة المسلمين في ذلك الظرف الصعب، ورأى هو -من جهته- أن قبوله للخلافة واجب يمليه عليه الشرع الحنيف وظرف الفتنة الخطير. وحاول الإمام علي -منذ البدء- أن يتخلص من هؤلاء المتمردين، ويحثهم للعودة إلى أمصارهم[٢٧]، لأن في وجودهم ضمن جيش الخلافة إثارة للفتنة، ودليل اتهام له وللدولة في قتل عثمان ﷺ، الذي يعتبره علي ﷺ قد قتل مظلوماً، ولكنه لم يستطع أن يقتص من قتلته لكثرتهم وتغلغلهم في كيان الدولة، ولكن الغلاة رفضوا الانصياع لأمر الخليفة الجديد -عدا بعض الأعراب-، وآثروا البقاء ضمن جيش الخلافة، لضمان أمنهم، وللحفاظ على قدرتهم في التأثير على سياسة الدولة والسيطرة على الخليفة وحركته، وقد صدق حدس الإمام علي -فيما بعد- إذ أصبح هؤلاء القتلة يمثلون ما يسمى تاريخياً ثمن قميص عثمان، وأعطوا

---

[٢٤] الطبري: ج٣، ص ٣٥٨-٣٨٦، وابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٣ ص ١٥٤.

[٢٥] تاريخ الطبري: ج٦ ص ٣٠٧٠-٣٠٧٢، وتاريخ ابن كثير: ج٧ ص ٢٣٨.

[٢٦] يذكر ابن أبي الحديد في شرحه (ج٧/٣٣) والطبري في تاريخه (ج٦/٣٠٦٦) جواب الإمام علي ﷺ، حين عرض عليه أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار منصب الخلافة وهو يقول: (دعوني والتمسوا غيري، وان تركتموني فأنا كأحدكم، ولعليِّ أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً). فألحوا عليه ولم يتركوه حتى أذعن لرغبتهم، وتمت البيعة في المسجد، ولا تعارض في التقاء رغبة قتلة عثمان مع رغبة الصحابة في انتخاب خليفة، لان ذلك أمر طبيعي، لكن الخطر في وجودهم في المدينة أثناء انتخاب الخليفة وبعده. ويعقب القاضي ابن العربي على بيعة علي ﷺ فيقول: لم يتخلف عن بيعته أحد، وأما نصرته فتخلف عنها قوم لأنها كانت مسألة اجتهادية) (العواصم من القواصم، ص ١٤٧).

[٢٧] تاريخ الطبري: ٣٠٨٠/٦، وشرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: ٧/٤، وابن الأثير: ١٩٦/٣.

المبرر الكافي لخصوم الخليفة ومخالفيه لإحراجه في مسألة القصاص وتسليم القتلة، وتسببوا في إرباك سياسة الخليفة وإثارة الفتنة في جيشه فيما بعد، وكان من نتائج وجود هؤلاء مع جيش الخليفة خروج طلحة والزبير عليه في البصرة، وهما من أقرب أصحابه وأحبابه، وخروج معاوية عليه في الشام للمطالبة بدم عثمان .وهكذا ابتدأ عهد علي ﷺ باستمرار الفتنة التي أدت إلى نشوب حرب الجمل، ثم بعدها حرب صفين، ثم النهروان وأخيرا مقتله.

قرر الإمام علي ﷺ الذهاب إلى البصرة بهدف أقناع طلحة والزبير ﷺ بالعودة إلى بيعته والتعاون معه لإخماد الفتنة، والتريث في أمر قتلة عثمان ﷺ، وفعلاً اجتمع الفريقان في البصرة، واتفقوا على تصفية الخلافات، وترك أمر القصاص للخليفة، يحدد وقته المناسب وفق مبدأ أخف الضررين، ولكنه القتلة أدركوا ما في هذا الاتفاق بين الصحابة من خطر على حياتهم، فقاموا في الليلة نفسها بأنشاب القتال بين الفريقين، وذلك بالهجوم –تحت جنح الظلام– على جيش عائشة ﷺ فاشتعلت الحرب، مؤذنة ببدء معركة الجمل[٢٨] التي قتل فيها الكثير من

---

(٢٨) روى الطبري عن أحداث معركة الجمل ومقتل طلحة والزبير روايات عديدة، نذكر منها: عن الصعب بن عطية عن أبيه، قال: لما أمسى الناس – يوم الجمل – وتقدم عليٌّ وأحيط بالجمل ومن حوله، وعقره بجير بن دلجة ليحمي السيدة عائشة من النبل، الذي علا هودجها حتى صار كأنه قنفذ وقال علي : إنكم آمنون، كف بعض الناس عن بعض.

وروى عن حكيم بن جابر، قال : قال طلحة يومئذ : اللّهم أعط عثمان مني حتى يرضى، فجاء سهم غرب وهو واقف، فخلّ ركبته بالسرج، وثبت حتى امتلأ موزجه (خلفه) دماً، فلما ثقل قال لمولاه : إردفني وابلغني مكاناً لا أعرف فيه، فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً مني، فركب مولاه وامسكه وجعل يقول: لحقنا القوم، حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة، وأنزله في فيئها، فمات في تلك الخربة، ودفن ﷺ في بني سعد.

وعن جرير بن أشرس، قال : كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير، فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح، فلم يفاجئها إلا الناس، فأحاطت بها مضر، ووقف الناس للقتال.. فأخذ كعب بن سور مصحف عائشة وعلي فبدر بين الصفين يناشدهم اللّه في دمائهم.. فرشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه، وشدوا عليهم والتحم القتال، فكان أول مقتول بين يدي عائشة . وعن الشعبي، قال: أخذ الخطام يوم الجمل سبعون رجلاً من قريش كلهم يقتل وهو آخذ بالخطام ..

وعن ميسرة وطلحة : إن محمد بن أبي بكر الصديق وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل، فقطعا غرضة الرحل، واحتملا الهودج، فنحياه وانتهى إليها عليٌّ، فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : بخير، قال : يغفر اللّه لنا ولكم، قالت : غفر اللّه لنا ولكم. وقال علي لهما : أدخلاها البصرة، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعي. وكانت وقعت الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

وعن الوليد بن عبد الله، عن أبيه، قال : لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، ومضى الزبير ﷺ حتى مرَّ بعسكر الأحنف، فقال الأحنف حين سمع به: من يأتينا بخبره؟ فقال: عمرو بن جرموز: أنا، فلما لحقه نظر إليه الزبير – وكان شديد الغضب – قال: ما وراءك؟ قال: إنما أردت أن أسألك، فقال غلام الزبير: انه معدٌّ

المسلمين الأبرياء من الطرفين، وكان طلحة والزبير ﷺ قد قتلا غيلة وغدراً خارج ساحة المعركة، عند انسحابهما من المعركة بعد اتفاقهم مع الخليفة، فكانوا أيضاً من ضحاياً تلك الفتنة الدامية، والكيد الخبيث الذي دبره هؤلاء الغلاة(٢٩). وقد بشر الإمام علي ﷺ قاتل الزبير بالنار (٣٠)، وأكرم أبناءهما وحزن على مقتلهما أشد الحزن، فهما رفاق الجهاد والصحبة المباركة مع المصطفى ﷺ في غزواته وجهاده وهجرته وبناءه لدولة الإسلام، كما كانا يشاركونه الوزارة والمسؤولية والمشورة في عصر الخلافة الراشدة ومع الخلفاء السابقين أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ (٣١).

وفي حرب الجمل، لم يأخذ الإمام علي الغنائم ولم يسب الأسرى، وعالج الجرحى وأعادهم إلى أهليهم، وأعاد السيدة عائشة ﷺ إلى المدينة بصحبة حرس الخلافة، معززة مكرمة، وكانت السيدة عائشة ﷺ قد تصالحت مع الخليفة بعدما استبان للطرفين إن نشوب الحرب لم يكن بأمر من الخليفة، وإنما بكيد الغوغاء

للصلاة، فقال ابن جرموز: الصلاة، فقال : الزبير: الصلاة، فنزلا، واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه فقتله، واخذ فرسه وخاتمه وسلاحه، وخلى عن الغلام، فدفنه بوادي السباع (قرب البصرة)، ورجع إلى الناس بالخبر، ودخل الأحنف مع ابن جرموز على علي، فأخبره، فدعا بالسيف، فقال: سيف طالما جلّى الكرب عن وجه رسول اللّه ﷺ.. ثم أقبل على الأحنف فقال: تربصت، فقال: ما كنت أراني إلا قد أحسنت، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين، وأنت إلى غداً أحوج منك أمس، فأعرف إحساني، واستصف مودتي لغد، ولا تقولن مثل هذا، فاني لم أزل لك ناصحاً.

ويروي ابن سعد عن علي بن أبي طالب، حين جاءه ابن جرموز بخبر قتله للزبير، قال: بشروا قاتل ابن صفية بالنار، فرمى سلاحه وترك فرسه وفر هارباً من علي ﷺ. [انظر تاريخ الطبري/ ج ٤ ص ٥٣٤، وانظر أيضاً ابن كثير وابن الأثير وغيرهما.[

(٢٩) تاريخ الطبري: ج٤، ص ٥٠٠.

(٣٠) رواه ابن سعد في الطبقات عن علي بن أبي طالب ﷺ في ترجمته للزبير بن العوام ﷺ.

(٣١) انظر: النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة/ علاء الدين المدرس، إذ يذكر في ترجمة كل من علي وطلحة والزبير، ما يؤكد تلك الأواصر الطيبة والعلاقات الاجتماعية المباركة فضلاً عن الود والمحبة والجهاد المشترك بين الصحابة الكرام ومنهم هذه النخبة الطيبة التي ابتليت بالفتنة...فطلحة ﷺ ابن عم أبي بكر الصديق ﷺ وزوج بنته أم كلثوم وعديل النبي ﷺ في اثنين من نسائه، والزبير ﷺ هو ابن عمة النبي ﷺ وعلي ﷺ صفية بنت عبد المطلب، وزوج أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، وكان العباس بن عبد المطلب ﷺ يقول في الزبير لقربه من أهل البيت: (كنا نعد الزبير من أهل البيت حتى ولد عبد الله بن الزبير). كما إن عثمان ﷺ هو ذو النورين زوج اثنتين من بنات النبي ﷺ هما رقية ﷺ وأم كلثوم ﷺ، وابن عمة النبي ﷺ وعلي ﷺ إذ أمه أروى بنت كريز هي بنت البيضاء (أم حكيم) بنت عبد المطلب، وهو من بني عبد مناف وهو الجد الأقرب لعثمان ﷺ، والجد الرابع القريب للنبي ﷺ وعلي ﷺ والعباس ﷺ، وهكذا تتداخل الوشيجة والنسب والمصاهرة مع الصحبة والإيمان والجهاد المشترك، في عصر النبي ﷺ وعصر الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين. وهذه الأخبار ترويها كتب الفريقين. انظر أيضا الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة / علاء الدين المدرس، وعبارة عن روايات مختارة من كتب الأمامية المعتمدة فقط.

وتآمرهم، وبسبب خوفهم من الصلح بين المسلمين وأثر ذلك على مصيرهم[٣٢]. وكان عمار بن ياسر يزجر من يتكلم في خروج عائشة من الغلاة ويقول: أما إني لأشهد إنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة[٣٣].

توجه الإمام علي ﷺ بعد ذلك إلى الشام، لإخضاع معاوية وأتباعه من أهل الشام، وكان معاوية يشعر انه أحق من غيره بدم عثمان الذي ذهب هدراً وبترك الجناة دون عقاب، وهو ابن عم الخليفة المقتول وأقدم ولاته، إذ عين والياً على الشام في عهد عمر ﷺ، خلفاً لأخيه يزيد بن أبي سفيان الذي مات في طاعون عمواس أثناء أمارته على الشام[٣٤]. فجعل من نفسه ولياً لعثمان وله السلطان الشرعي للمطالبة بدمه والقصاص من قتلته، مستدلاً بنص القرآن، إذ يقول تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم اللّه إلا بالحق، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً، فلا يسرف في القتل انه كان منصورا﴾[٣٥].

ولكن الإمام علي ﷺ كان يرى انه هو الذي يحدد الجناة ووقت القصاص وفق ما يقرره الشرع، باعتباره الخليفة الشرعي، وصاحب السلطة القضائية والتنفيذية، وعلى معاوية –أولا– أن يبايع الخليفة المنتخب، ثم يقدم مطالبه وشكواه للخليفة، ولكي يحصل على أقرار الخليفة له بالولاية على الشام، ولقد كانت الهوة واسعة بين وجهتي النظر، فأدت في النهاية إلى تفجر الموقف بين معاوية والخليفة الجديد، مما حدا بالخليفة إلى عزله عن ولاية الشام واعتباره خارجاً عن الطاعة، وقد اعترض بعض أنصار الخليفة على قرار العزل، لكثرة أنصار معاوية في الشام، وخوفاً من تصدع وحدة الدولة الإسلامية، وكان من هؤلاء المعترضين ابن الخليفة، الحسن بن علي ﷺ[٣٦]، ولكن الخليفة رأى إن هذا الإجراء هو الحل المناسب لإخضاع الشام للسلطة المركزية، فأعلن معاوية –من جانبه– العصيان وعدم اعترافه بالخليفة الجديد وإعلان حالة الحرب على الخليفة الشرعي، بحجة المطالبة بدم عثمان ﷺ، فما كان من الخليفة إلا أن جهز جيشاً من عاصمته الجديدة (الكوفة) لقتال الشاميين، وذلك

---

(٣٢) تاريخ الطبري: ج٤،ص٥٢٠ .وانظر أيضاً الشيعة والتصحيح:د.موسى الموسوي ص٤٤.

(٣٣) رواه ابن سعد في الطبقات، ترجمة السيدة عائشة رضي الله عنها، وغيره.

(٣٤) تاريخ الطبري: ج٤، ص٦٢.

(٣٥) سورة الإسراء: ٣٣.

(٣٦) تاريخ ابن كثير: ج٧، ص٢٤٠.

لردع معاوية وعزله بالقوة. وكذلك استعد أهل الشام لذلك اللقاء. فالتقى الجيشان في صفين على ضفاف الفرات، وبعد معركة دامية بين جيش الخلافة وجيش معاوية، قتل فيها الكثير من المسلمين، وقبل أن ينكسر جيش الشام الذي انهار أمام جيش الخلافة، رفع أنصار معاوية المصاحف مطالبين بتحكيم القرآن فيما بينهم[٣٧]، وشعر الخليفة إن في الأمر خدعة، وان النصر المبين قد اقترب فرفض وقف الحرب، إلا أن أتباعه اختلفوا حول قبول التحكيم ورفضه، فخرج الخوارج عليه، وكانوا جزء من جيشه، وأجبروه على قبول التحكيم، فوافق عليه في النهاية، مذعناً لرأي الأكثرية، ولكن سرعان ما انقلب هؤلاء إلى رافضين لفكرة التحكيم، ومكفّرين كل من يقبل به، ورفعوا شعار (لا حكم إلا لله، وليس إلى الرجال)[٣٨]. فوقع الخلاف والتشتت والضعف في جيش الخلافة، وبعد ثمانية أشهر من موقعة صفين التي راح ضحيتها عدد من الصحابة كان على رأسهم عمار بن ياسر ﷺ، التقى الفريقان للتقاضي والتحكيم، وكان أبو موسى الأشعري ممثلاً عن علي ﷺ وأنصاره وعمرو بن العاص ممثلاً عن معاوية وأنصاره، فكان الحكم الذي أعلنه الحكمان، يقضي بعزل الإمام علي ومعاوية، وان يترك الأمر شورى بين المسلمين، ولما كان هذا الحكم غير شرعي ولم يستند إلى نص القرآن في الفصل فيما يطالب به معاوية من القصاص من قتلة عثمان ﷺ أو التريث في ذلك، رفضه الخليفة لأنه ساوى بين الخليفة الشرعي المنتخب والخارج عليه والباغي على حكمه بالاتفاق.

فرجع الخليفة بجيشه وهو أضعف حالاً وأكثر تشتتاً، ورجع معاوية بجيشه وهو أكثر قوة وتماسكاً[٣٩]، وواجه الخليفة أعداء أشداء جدد يناصبونه العداء، كانوا

---

(٣٧) تاريخ الطبري/ ج٥، ص٥٠، وابن كثير/ ج٧، ص ٢٨٠.

(٣٨) ابن مزاحم: صفين، ص ٥١٣، ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة.

(٣٩) في تلك الأثناء وبعد فشل التحكيم وتشتت أتباع الخليفة بعد أن أنهكتهم الفتنة التي طال أمدها، حتى بدت وكأنها لن تزول، لوجود من يغذيها.. يروي لنا المؤرخون خبراً يبين معدن الخليفة علي ﷺ وعمق إيمانه وثباته على المبدأ، فبعد فشل الخوارج في الضغط على الخليفة لإجباره على نقض اتفاق التحكيم، ليعود إلى حرب معاوية، ومطالبتهم له بالتوبة عن كفره ! (بقبول التحكيم) ليعودوا تحت إمرته، استغل الروم هذه الأوضاع، وأرسل ملك الروم رسولاً إلى الخليفة، يعرض عليه، أن يضع جيش الروم طوع يده، ويتحالف معه، ضد عدوهما المشترك معاوية، فيرد عليه الخليفة بالجواب الشافي الذي يسكته ويدخل الذعر في روعه فيقول: (واللّه يا رومي، لئن لن تكف عن مثل هذا الطمع والتدخل في شأن المسلمين، لأتفق أنا وابن عمي على قتالكم، ثم لا تجدون لكم ولياً ولا نصيراً، فنهلككم عن بكرة أبيكم.. (انظر العقاد: عبقرية الإمام علي).

وهكذا يهزم الخليفة الراشد الروم وشيطانهم وهو في اضعف أحواله السياسية، وتنتصر روح الإسلام على كل متاع الدنيا وأطماعها.

بالأمس من أنصاره، وهم الخوارج، فاعتزلوا في حروراء خارج الكوفة ثم في النهروان، فقاتلهم الخليفة في موقعة النهروان وشتتهم وقضى عليهم، ولكن أتباعهم ظلوا يعملون على تقويض دولة الخلافة وإضعاف سلطة الخليفة وتكفيره، حتى استطاعوا اغتياله على يد أحد أفرادهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي[٤٠]، لينتقل أمر الخلافة إلى ين، وأصبح معاوية أول خليفة أموي، بعد أن وصلت إليه الأمور، وأصبح الخليفة الشرعي، دون تعب أو جهد، بعد أن تنازل الحسن بن علي ﷺ له عن الخلافة، والجدير بالذكر إن معاوية كان سياسياً من طراز نادر، وقد استثمر – بحكمة ودهاء – النتائج التي لم يكن يتوقعها بعد التحكيم، ليرسي قواعد الحكم في الشام لحقبة من الزمن.

(٤٠) تاريخ الطبري: ج٥، ص ١٥٠، تاريخ ابن كثير: ج٧، ص٨، الأخبار الطوال: الدنيوري، ص ١٩٧.

اغتيال علي ﷺ

لم يكن اغتيال علي ﷺ إلا نتيجة طبيعية للتصدع والاضطراب الذي أصاب دولة الخلافة الراشدة بعد مقتل عثمان، وتسرب الغوغاء والغلاة في جسم المجتمع الإسلامي وصعوبة سيطرة الدولة عليهم، وإثارتهم للفتن والشغب وإشعال نار الحروب في عهد الخليفة الراشد الرابع، ومن ثم خروجهم عليه بعد التحكيم في صفين، وانتشار أفكار الغلو والتطرف والتحزب التي تبناها السبئيون، الذين انشقوا إلى تيارين متطرفين في عهد علي وما بعده –كما سنرى– هما الغلاة الباطنيون والخوارج.

ويشير الإمام علي ﷺ إلى تغير المجتمع بسبب التطورٍ الهائل الذي شهدته دولة الخلافة بعد الفتوح العظيمة، حين سأله أحد المنافقين قائلاً: يا أمير المؤمنين، لماذا كان عهد الشيخين عهد استقرار وخير، وعهدك عهد حروب واضطراب وفرقة، فأجابه إجابة حكيمة، فقال: يا هذا، لقد كانوا أمراء على مثلي، وأصبحت أميرا على مثلك.

وفي استشهاد علي ﷺ، يروي ابن سعد في طبقاته، عن أبي الطفيل يقول: دعا علي الناس إلى البيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي فرده مرتين، ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها، لتخضبن هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه، وعن أبي مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في مسجد الكوفة، فقال: احترِس فان ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وان الأجل جنة حصينة[٤١]. ويروي محمد بن سعد، قال: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا، ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي ومعاوية وعمرو بن العاص، ويريحن العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا

---

(٤١) إن مقدمات مقتل علي ﷺ تشبه مقدمات مقتل عمر ﷺ، حين اكتفى عمر بعد سماعه تهديد أبي لؤلؤة، بقوله: لقد توعدني العبد، ولم يتخذ أي إجراء ولم يسجن أبا لؤلؤة على الشك والظن، وكذلك فعل علي مع ابن ملجم حين قال: لتخضبن هذه من هذا، فوقع الاغتيال في الحالتين، وكذلك عثمان ﷺ نراه يمنع الصحابة وأبناءهم من الدفاع عنه حقناً لدماء المسلمين، وتضييقاً لنطاق الفتنة باجتهاده، ويبدو من ذلك، إن المبدأ والقانون وحصانة المسلم عند كبار الصحابة، كان أهم من أية قضية أخرى، حتى لو كانت حياة الخليفة نفسه، وتلك هي ميزة هذا الدين وروعته وفضله على ما سواه، وبقي التاريخ يروي لنا أحداثا أقرب إلى الخيال لعظمتها وسموها، رغم الثمن الباهظ الذي دفعه المسلمون باغتيال عمر وعثمان وعلي وبقية الصحب والتابعين من أهل البيت والصحابة وأبنائهم، لتدلل على سماحة وإنسانية هذا المنهج الفريد بين مناهج البشر، انه منهج خالق البشر ودينه القويم الهادي إلى سواء السبيل.

لكم بعلي. وقال البرك: وأنا لكم بمعاوية، وابن بكير لعمرو، فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا وتواثقوا لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمي ويتوجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وتواعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، ثم توجه كل رجل إلى المصر الذي فيه صاحبه، فجاء ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد، وتم له ما أراد، فمات علي بعد ثلاث من ضربة بسيف ابن ملجم فسال الدم على لحيته، فنادى علي ﷺ عليكم به، ومسك ابن ملجم وقدم عليٌّ جعدة بن هبيرة، فصلى بالناس صلاة الصبح وحملٍ علي إلى منزله[٤٢]، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر الطيار، ودفن سراً في مكان خارج الكوفة، حتى اكتشف قبره الخليفة العباسي هارون الرشيد وبنا له القبر المعروف الآن في مدينة النجف[٤٣]، أما معاوية وعمرو فقد أوكلا من ينوب عنهما في الصلاة في فجر تلك الليلة، فنجيا من الموت، وقتل خارجة نائب عمرو وجرح الأخر[٤٤].

أما الأسباب والدوافع وراء قتل الخوارجِ لعلي ﷺ فسيأتي الكلام عنها عند الكلام عن نشأة الخوارج وعلاقتهم بالسبئية لاحقاً[٤٥].

---

(٤٢) تاريخ ابن كثير: ج٧، ٣٢٨.

(٤٣) تاريخ الطبري: ج٥، ص ١٤٥.

(٤٤) لم ينتبه المسلمون إلى ضرورة بناء جهاز مخابرات له شأن حتى نهاية العصر العباسي، إذ لم يكن يعمل إلا في ظروف الحرب وإدارة المعارك، أما في السلم فلم يكن له اثر واضح، رغم الفتن والاغتيالات التي كانت تحدث، ويشير المؤرخون إلى إن من أسباب سقوط الدولة العثمانية عدم وجود جهاز مخابرات، ولم يتشكل هذا الجهاز إلا في وقت متأخر من حكم السلطان عبد الحميد الثاني.

(٤٥) انظر فصل الإمام علي والخوارج: ص ١٠٦.

اغتيال الحسين ﷺ

يجمع المؤرخون على أن يزيد استهل عهده بقتل الحسين ﷺ في معركة غير متكافئة في موقعة الطف في كربلاء سنة ٦١ هـ ثم تمادى في جوره على صحابة رسول اللّه وأبنائهم في المدينة المنورة في موقعة الحرة سنة ٦٣ هـ في أواخر حكمه القصير الذي لم يدم أكثر من ثلاث سنوات ونصف، وقتل في هاتين الواقعتين (٧٠) رجلا من أهل البيت وأنصارهم في كربلاء[٤٦] وقتل أكثر من ٣٠٠ رجل من المهاجرين والأنصار وأبنائهم في المدينة[٤٧] ليدلل بذلك على ظلمه وجوره على أهل البيت والصحابة، ولم يشابه فعله هذا أحداً من الخلفاء ممن سبقوه أو ممن جاءوا بعده. وكان عبيد الله بن زياد يقود جيشه في الطف، ومسلم بن عقبة في الحرة. وختم يزيد عهده بحصار مكة بعد موقعة الحرة مباشرة، إذ وصل نعيه إلى مسلم بن عقبة عند وصول جيش الشام إلى مكة لمحاصرتها بغية القضاء على عبد الله بن الزبير[٤٨] الذي أعلن نفسه خليفة بعد وفاة يزيد وانسحاب جيشه من مكة، وقد بايعه الناس في كافة الأمصار حتى في الشام نفسها، واستمر حكمه ثماني سنوات إلى أن قضى عليه عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ على يد قائده المشهور الحجاج بن يوسف الثقفي بعد حصار مكة لمدة ثلاثة أشهر[٤٩].

إذاً لا يستطيع أحد أن يبرئ يزيد من دم سبط النبي وحفيده المقدام الحسين سيد الشهداء، كما لا يمكن تبرئته من دماء بقية أهل البيت والصحابة في معركتي الطف والحرة. ولكن هل يتحمل يزيد دم الحسين وحده؟ وكيف كان مصرعه؟ ومن كان وراء استدراجه إلى الكوفة؟ ذلك السؤال يمكن الإجابة عنه، بعد استعراض واستقراء الأحداث الأليمة التي واكبت استشهاده.

ومن المسلمات الأخرى في استشهاد الحسين ﷺ وثورته، أنه خرج على يزيد من أجل مبادئ الإسلام الحنيف ودفاعاً عن الشورى، إذ كان لا يقر مبدأ الوراثة في

---

(٤٦) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٩٤، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة: ج٨ ص١٧١-١٩١، وتاريخ السيوطي: ص٢٠٧، والطف في كربلاء.

(٤٧) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٩٤، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة: ج١ ص٢١٠، وتاريخ السيوطي: ٢٠٩، والحرة: على بعد ثلاثة أميال من المدينة انظر معجم البلدان: ج٢ص٢٥٠.

(٤٨) تاريخ الطبري/ ج٥ ص٤٩٩. ويذكر إن في جيش الشام الذي أرسله يزيد إلى الطف والحرة، عدداً من نصارى الشام الذين كانوا تحت حكم الروم قبل الفتح الإسلامي، وربما كان بعضهم يعمل لصالح الروم، ويحاول الانتقام من المسلمين، بالمشاركة في قتل طليعتهم من أهل البيت والصحابة، وإثارة الفتنة بين المسلمين.

(٤٩) تاريخ الطبري/ج٦ ص١٨٧-١٩٣،وابن كثير: ٣٢٩/٨،وتاريخ السيوطي٢١٢.

الحكم الذي سار عليه ون ومن جاء بعدهم، كما كان لا يرى يزيد أهلاً للخلافة ولم يبايعه(٥٠). وخرج أثر تولي يزيد السلطة مع عبد الله بن الزبير ﷺ من المدينة إلى مكة سعياً وراء تصحيح هذا الخلل الذي استجد في عالم الإسلام..، مستذكراً حديث النبي ﷺ: (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، أولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة)(٥١). وهكذا بدأت رحلة الحسين لجمع الأتباع نحو الثورة والتصحيح والانتصار للشورى والمبادئ الكريمة. وهكذا كان استشهاده من أجل تلك المبادئ النبيلة.

وفي مقارنة سريعة بين استشهاد الحسين ﷺ واستشهاد عمر ﷺ نستنتج إن الأصابع الخفية التي أغرت ذلك العبد المجوسي (أبو لؤلؤة الفيروز) بقتل عمر بالتعاون مع الهرمزان وجفينة النصراني مع بقايا الروم واليهود، هي نفسها التي كونت تيار الغلاة فيما بعد –الذي أسهم في قتل عثمان وعلي– والذي قام بدورٍ بارزٍ في مراسلة الحسين واستمالته للمجيء إلى الكوفة ومن ثم التخلي عنه والانقلاب عليه، وقتله مع أهل بيته(٥٢)، وإذا كان استشهاد عمر في الأول من المحرم(٥٣)، فان

---

(٥٠) انظر كتاب تطور الفكر السياسي الشيعي/ احمد الكاتب، ق ١، وقد اعتمد العباسيون والعلويون نظام الحكم الوراثي بعد ين في حكمهم الذي تلا العصر ، وكذلك العثمانيون والصفو يون وقد ولد هذا الأسلوب العديد من الإفرازات السيئة، كان على رأسها الصراع السياسي على السلطة وكثرة الخروج والقيام على الحكام الذي اضعف استقرار الدولة في التاريخ الإسلامي عموماً.

(٥١) رواه احمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

(٥٢) لعل مسألة غدر أهل الكوفة بأهل البيت بحاجة إلى وقفة وربما إلى بحث وتقص، إذ كانوا السبب الرئيس في خذلان ومقتل العديد من أهل البيت وأبناء الصحابة، كان على رأسهم علي والحسين وزيد ومصعب بن الزبير زوج سكينة بنت الحسين الذي قتل في الكوفة أيضا، وربما كان من أسباب تلك الصفة، إن هذه المدينة أصبحت مركزاً للغلاة لا سيما بعد مقتل الإمام علي، وإنها منذ بنائها في عهد عمر كانت ملتقى الموالي والأعاجم والغلاة من أصحاب الفلسفات القديمة، وكذلك توافد الأعراب والبدو وقبائل العرب الذين جاؤوا مع جيش الفتح الإسلامي، ويمكن إضافة سبب آخر لنمو الغلو والمكر والغدر والنفاق فيها، هو قدم المنطقة، وارتباطها بالحضارات القديمة التي كانت بابل (المجاورة لها) مركزاً لتلك الحضارات. ونستطيع أن نستشف ذلك النفس الذي لمسه الأئمة من أهل البيت الواحد تلو الآخر من خلال احتكاكهم ومراسلاتهم لهم، لنعلم ما هو تقويم البيت العلوي لهؤلاء الغلاة ليتضح السبب الحقيقي للنكبات والمآسي التي مني بها عظماء الإسلام.

فهذا هو الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وهو يواجه جيش الشام بقيادة معاوية، يتذمر من جيشه الذي كان اغلبه من أهل الكوفة والبصرة وفيهم الغلاة من قتلة عثمان، وهو يقول فيهم ويضعهم في مكانهم المناسب: (يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنتين، صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدقٍ عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء، تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جمعت من جانبٍ تفرقت من جانب آخر..) (نهج البلاغة ج١ / ١٨٨).

استشـهاد الحسـين كـان فـي العاشـر منـه[٥٤]، فيكـون المحـرم الحـرام بـذلك هـو شـهر الهجرة النبوية المباركة وهو شهر استشهاد عمر والحسين.

وإذا كـان استشـهاد الحسـين فـي سـبيل المبـادئ وعلـى رأسـها الشـورى وتصـحيح الانحـراف والخلـل فـي المسـار الإسـلامي وشـجب الحكـم الـوراثي، وفـي سـبيل هـدم الباطـل الـذي أطـل علـى دولـة الإسـلام، فقد كـان استشـهاد عمـر والتـآمر علـى قتلـه، لاغتيـال رمـز دولـة الإسـلام العظمـى والعـدل الـذي لـم تشـهد البشـرية لـه مثيلاً، فلقد

وهذا الإمام الحسن ﷺ قد فضل معاوية على هؤلاء الغدرة المكرة وصالحه تخلصاً منهم وهو يقول: (يزعم هؤلاء إنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانتبهوا ثقلي واخذوا مالي، واللّه لان اخذ مني معاوية عهداً احقن به دمي وأؤمن في أهلي، خير من أن يقتلوني فيضيعوا أهل بيتي وأهلي، ولو قاتلت معاوية لا خذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه مسلماً) (الاحتجاج/ للطبرسي ج٢، ص١٠). ولنسمع الإمام الحسين ﷺ ماذا قال فيهم عندما غدروا به:

(تباً لكم أيتها الجماعة، وترحاً وبؤساً لكم، حين استصرختمونا ولهين، فاستصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا وحمشتم علينا ناراً اضر مناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم ويداً لأعدائكم.. ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم والجأش طاحن، والرأي لم يستحصف، ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهاً وضلة..، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر واكلة للغاصب، إلا لعنة اللّه على الظالمين الناكثين الذين ينقضون الإيمان بعد توكيدها..) (الاحتجاج / للطبرسي ج٢، ص ٢٤).

أما سكينة بنت الحسين ﷺ، فقد نعت زوجها مصعب بن الزبير ﷺ الذي قتل في الكوفة أيضا بقولها: يا أهل الكوفة، ياأ هل الغدر والنفاق، لقد يتمتموني صغيرة، وايمتموني كبيرة، فقتلتم أبي وجدي وعمي وأخي وزوجي، ألا بعداً لكم ولمكركم.

(تاريخ ابن كثير/ ج٨ ص٢٣٠).

ونسمع أخاها الإمام السجاد زين العابدين يقول فيهم، (هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة، لقد حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى آبائي من قبل) (الاحتجاج / للطبرسي ج٢، ص ٣٢).

كما يروي الكشي، وهو عمدة الأمامية في الجرح والتعديل، عن الإمام الصادق u قال:

(لو قام قائمنا بدأ بكذّابي شيعتنا فقتلهم) (رجال الكشي / ص ٢٥٣).

ويقول (إن ممن ينتحل هذا الأمر –أي موالاة الأئمة –لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا) (رجال الكشي/ص ٢٥٢). وفي ذلك إشارة واضحة للسبئية والباطنية والمزدكية وغيرها من الغلاة والشعوبيين، الذين كثروا في عصر الصادق.ﷺ

وهكذا يتضح من هذه النصوص المنيرة في تراث أئمة أهل البيت وشكواهم من الغلاة والكَذَبة الذين غدروا بهم وتآمروا عليهم باستدراجهم ووضعهم أمام الأمر الواقع في معارك غير متكافئة بغية التخلص منهم والقضاء عليهم، ثم الدعوة باسمهم لإحياء أمجاد أسيادهم من اليهود والمجوس وغيرهم، وهكذا نجد إن الحسين كان ضحية لهذا التآمر الخبيث الذي دبره الغلاة، كما دبروا من قبل قتل الخلفاء الراشدين لنشر الفتنة والخراب في بلاد الإسلام، وما يزال أحفادهم متمسكين بهذا النهج الخبيث في نشر الفرقة والخصومة والعقائد الفاسدة بين المسلمين

(٥٣) تاريخ الطبري: ١٩٤/٤.

(٥٤) تاريخ ابن كثير: ١٧٥/٨.

استشهد على أيدي أعداء غاظهم هذا البناء الشامخ الذي أسسه عمر لبناء صرح الإسلام العظيم ودولة الإسلام العادلة، إذ لابد لبناء الحق أن يتكامل مع هدم الباطل، ولهذا اغتال الأعداء رمز البناء ورمز الهدم اللذين كانا يعملان على الحفاظ على صرح الإسلام من الانحراف والتراجع، فبقي عمر والحسين رمزين شامخين في دنيا الإسلام، لابد من توافرهما وتكاملهما لإعادة بناء مجد الإسلام من جديد. ومن المفيد أن نذكر أن زوجة عمر وابنة عمه الصحابية الجليلة عاتكة بنت زيد، قد تزوجت الحسين وشهدت مصرعه في الطف كما شهدت مصرع زوجها السابق (عمر) في المسجد النبوي الشريف[٥٥]. إن هذه الخلفية الخطيرة لاستشهاد عمر والحسين ومن يقف وراءه تعطينا التصور الواضح عن أعداء الإسلام والأسباب الخفية وراء استشهادهما.

لقد كان الحسين مع ابن الزبير في مكة، وكان إمام الحسين ثلاث خيارات لبدء حركته وثورته، أما أن يبقى في مكة، وكان ذلك ما يراه صديقه الحميم عبد الله بن عمر[٥٦]. أو يرحل إلى اليمن لأن فيها شيعته وشيعة أبيه، كما قال له ابن عمه عبد الله بن عباس[٥٧] أو يذهب إلى الكوفة وهي عاصمة حكم أبيه وأخيه الحسن عليه السلام، ولقد كان لكثرة الرسائل التي وصلت من الكوفة والبصرة إلى الحسين عليه السلام الأثر والمرجح الأكبر في اختيار الكوفة، مركزاً لخروجه، فبعد أن ألح الكوفيون على مجيئه وأغلظوا الإيمان والمواثيق لنصرته والدفاع عنه بأموالهم وأنفسهم، وأعطوا العهود على ذلك[٥٨] نزل الحسين إلى رغبتهم رغم عدم تأييد كبار أبناء الصحابة[٥٩] كعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأخيه محمد بن الحنفية لهذا الاختيار خوفاً عليه ومحبة فيه وتوجساً من غدر أهل الكوفة -إذ غدروا بأبيه وأخيه من قبل- وقد كانت الكوفة تعج بالغلاة والسبئيين، ولكن

---

(٥٥) النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة/ للمؤلف، ص ٤٣.

(٥٦) إن من شدة حب عبد الله بن عمر وحرصه على الحسين أن تبعه في طريقه إلى الكوفة خارج مكة وعلى مسيرة ثلاثة أيام ليحذره من غدر الغلاة في الكوفة، طالباً منه الرجوع إبقاء على حياته، فهو آخر من بقي من نسل النبوة الطاهر، لكن عهود أهل الكوفة وتأكيداتهم للإمام الحسين حالت دون اقتناعه برأي صديقه ابن عمر. انظر ترجمة الحسين في كتاب النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة ق ٢/ ص١٥١. وتاريخ ابن كثير ص١٩٠.

(٥٧) تاريخ ابن كثير: ١٦٣/٨.

(٥٨) تاريخ الطبري: ٣٤٧/٥-٣٨١، وتاريخ ابن كثير: ١٥٨/٨-١٦١.

(٥٩) تاريخ ابن كثير: ١٦٣/٨.

الحسين أصر على اختيار الكوفة لأمر يريده اللّه سبحانه، وزيادة في التحوط من غدر الغلاة، أرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليكون عيناً له وليستطلع الأخبار هناك قبل وصوله(٦٠). وما أن وصل مسلم إلى الكوفة حتى انقلب أنصار الحسين وأتباعه ومن راسله وألح على قدومه وتتويجه خليفة بدلاً من يزيد، إلى أعداء له ولأبن عمه الذي لم يكن يعلم الغيب حتى أحيط به وقتل أثر وصوله مباشرة، غير أنه حين أحس بهذا الغدر أنفذ رسالة عاجلة إلى ابن عمه الحسين يطلب منه التوقف عن القدوم إلى الكوفة والرجوع فوراً من حيث أتى، وكاد الحسين أن يقتنع بهذا الرأي عند وصول رسالة مسلم ونعيه في آن واحد، لولا أن أبناء مسلم وأخوته رفضوا وقالوا للحسين: بل نقتل معه أو يحكم اللّه بيننا وبينهم، فاستجاب الحسين لطلبهم هذا، وهو على بعد أربعة أيام من الكوفة(٦١) وما أن وصل أطراف الكوفة على نهر الفرات في

---

(٦٠) تاريخ الطبري: ٣٥٠/٥، وتاريخ ابن كثير: ١٥٨/٨.

(٦١) نفس المصدر. ويروي الطبري عن استشهاد الحسين t روايات مطولة نذكر منها:

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني النضر بن صالح عن حسان العبسي، قال: اشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد (الطاغية) وأنا عنده فإذا فيه: أما بعد، فاني حيث نزلت بالحسين بعثت أليه رسولي، فسألته عما أقدمه، وماذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إلي أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني رسلهم فأنا منصرف عنهم، فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال:

الآن إذ علقت مخالبنا بـه يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إلى عمر بن سعد:

أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين، أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام. فقال عمرِ بن سعد: قد حسبت ألا يقبل ابن زياد العافية. قال: وجاء من ابن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد، فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، وقال: حدثنا جماعة من المحدثين منهم، المجالد بن سعيد والصقعب الازدي، قالوا: إن الحسين قال لعمر بن سعد وأصحابه: اختاروا مني خصالاً ثلاثاً: أما أن ارجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي مالهم وعلي ما عليهم.

ويروي الطبري عن المجالد والصقعب أيضا، إنهما كانا يلتقيان مراراً، الحسين وعمر بن سعد، قال: فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد، يبلغه عرض الحسين للخصال الثلاث، وهو يحثه على السلم ويقول: إن اللّه قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة،.. وختم الكتاب: وفي هذا لكم رضاً، وللأمة صلاح. قال: فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميره، مشفق على قومه، نعم قد قبلت، قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك إلى جنبك ! واللّه لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة والعزة، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فان عاقبت فأنت ولي العقوبة وان غفرت كان ذلك لك، واللّه لقد

بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكريين فيتحدثان عامة الليل، فقال له ابن زياد: نعْمَ ما رأيت الرأي رأيك !

قال: ثم إن عبيد اللّه بن زياد دعا شمرَ بن ذي الجوشن، فقال له: اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على حكمي، فأن فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً، وان هم أبوا فليقاتلهم، فان فعل فاسمع له وأطع، وان هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه .

فأقبل شمر بكتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قرأ عمر الكتاب قال: مالك ويلك، لا قرب اللّه دارك، وقبح اللّه ما قدمت به علي! واللّه إني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمرا كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم واللّه حسين، إن نفساً أبيةً لبين جنبيه، فقال له شمر: اخبرني ما أنت صانع ؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه، وإلا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر، قال: لا، أنا أتولى ذلك، قال: فدونك، قال: فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، قال: ثم زحف جيش ابن زياد نحو الحسين وأصحابه بعد صلاة العصر، وسمعت أخته زينب الصيحة فدنت من أخيها، فقالت: يا أخي، إما تسمع الأصوات قد اقتربت ! قال: فرفع الحسين رأسه فقال : إني رأيت رسول اللّه ﷺ في المنام فقال لي: انك تروح إلينا، قال: فضربت أخته وجهها وقالت: يا ويلتا ! فقال: ليس لك الويل يا اخية، اسكتي رحمك الرحمن ! ثم أرسل العباس إلى الجند، وطلب منهم أن يمهلوه الجواب على ما يريده ابن زياد إلى الصباح، لكي يؤجل اللقاء، حتى يأمر بأمره ويوصي أهله. فأجاب عمر بن سعد: إنا قد أجلناكم إلى غد، فان استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيد اللّه بن زياد، وان أبيتم فلسنا تاركيكم. وروى الطبري، عن زين العابدين، قال: جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع الجند، وذلك عند المساء، فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: اللّهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وإبصارا وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين، أما بعد، فاني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم اللّه عني جميعاً خيراً. إلا واني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا واني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً. فأجمع أهل بيته وأصحابه أن يقاتلوا معه حتى الموت ولا يسلموه لشيء أبداً، حتى يهلكوا جميعاً أو يأتي اللّه شيئاً من عنده.

وحين التقى الجمعان قال الحسين: أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول اللّه r قال لي ولأخي: (هذان سيدا شباب أهل الجنة)، وأنا ابن بنت رسول اللّه ﷺ فاطمة، وعلي أبي وجعفر الطيار عمي، وحمزة سيد الشهداء عم أبي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ فو اللّه ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة، اخبروني، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحه ؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال: فنادى: يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث (وكانوا من ابرز المهاجمين الكوفيين في جيشِ ابن زياد): الم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند، فأقبلْ.!

قالوا له: لم نفعل، فقال: سبحان اللّه ! بلى واللّه، لقد فعلتم، ثم قال: أيها الناس، إذْ كرهتموني، فدَعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض، فقالوا أولا تنزل على حكم عبيد الله بن زياد، ولن يصل إليك منه مكروه ؟ فقال الحسين: لا واللّه لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا اقرُّ إقرار العبيد.

ويروي أبو مخنف (وهو راوٍ فيه غلو – كما سيأتي ذكره –) عن كثير الشعبي، وهو ممن شهد مقتل الحسين، يقول: لما زحفنا قبلَ الحسين، خرج الينا زهير بن قين، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب اللّه نذار ! إن حق المسلم على المسلم النصيحة، ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد وملّة واحدة. ما لم

موضع الطف من كربلاء حتى تخلى عنه أنصاره وأعوانه من الكوفيين وغيرهم، ولم يبق معه غير نفر قليل من أنصاره ومواليه فضلاً عن أهل بيته من أبنائه وأخوته وأبناء عمه ونسائهم معه، وكان في تلك الأثناء أن أحاط جيش عبيد الله بن زياد هؤلاء النفر القليل من أتباع الحسين وأهل بيته، وكان عداد الجيش يقرب من ٤٠٠٠ مقاتل معظمهم من الكوفيين والبصريين، فحدثت معركة غير متكافئة بين الفريقين،

يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا امة وانتم امة، إن اللّه قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه ﷺ لينظر ما نحن وانتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد.

قال: فسبوه، وأثنوا على عبيدا لله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: واللّه لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً، فقال لهم: عباد الله، إن أهل بيت النبي ﷺ أحق بالود والنصر من عبيد اللّه، فان لم تنصروهم فاعيذكم باللّه أن تقتلوهم، فخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم، وقال: اسكت اسكت، اسكت اللّه نأمتك، ابرمتنا بكثرة كلامك ! فقال له زهير: ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة... قال: فناداه رجل فقال له: إن الحسين يقول لك: اقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وابلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ .

قال أبو مخنف، حدثني الحسين بن عقبة المرادي، قال الزبيدي: انه سمع عمرو بن الحجاج (من غلاة أهل الكوفة) حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهل الكوفة، ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام، فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجاج، أعلي تحرض الناس؟ أنحن مرقنا وانتم ثبتم عليه ؟ أما واللّه لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم، ومتم على أعمالكم أينا مرق من الدين، ومن هو أولى بصلي النار !، ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين، فاضطربوا ساعة، فقتل مسلم بن عوسجة الاسدي، وهو أول من قتل من أصحاب الحسين. ثم حمل شمر ذي الجوشن في الميسرة، فثبتوا له، وحمل على الحسين من كل جانب، فقتل الكلبي، وكان القتيل الثاني من أصحاب الحسين، بعد أن قتل اثنان مع أصحاب الشمر، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديداً وهم اثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من قبل الكوفة إلا كشفته، فطلبوا مدداً من الرماة.. ثم جاء خمسمائة من الرماة، فاقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رجالة كلهَّم.

ثم قتل فيمن قتل من أصحاب الحسين، حبيب بن مظاهر، وكان مقاتلاً شجاعاً، ثم إن الرجالة شدت على الحر بن يزيد فقتل، ثم وصل إلى الحسين، فقتل أمامه زهير بن القين ونافع بن هلال.

فلما رأى أصحاب الحسين إنهم قد كثروا، وانهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه. وكان أول قتيل من بني أبي طالب، علي الأكبر بن الحسين، فقتل أبناء الحسين وإخوته وأبناء عمومته تباعاً، ولم ينج غير علي بن الحسين لأنه كان مريضاً ولم يقاتل، وكانت تمرضه عمته، فعفي عنه عمر بن سعد. وهكذا قتل الحسين في تلك المعركة غير المتكافئة الظالمة التي شنها عليه وعلى أهل بيته وأنصاره، الغلاة والغادرون وأصحاب السلطان. ضربه على عاتقه زرعه بن شريك التميمي، وطعنه بعدها سنان بن انس النخعي، يساعده خولي بن يزيد الاصبحي، وفي تلك الساعة كان شمر بن ذي الجوشن، هو المشرف والمشجع لأصحابه، وهو يقول: ماذا تنتظرون بالرجل ! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم..) إنهم عصابة من الوحوش الحاقدين على الإسلام وأهله .

انظر تاريخ الطبري/ ج٥ ص٤٥٠، وتاريخ ابن كثير/ ج٨ ص١٨٠.

أدت في النهاية إلى استشهاد الحسين في سبعين من الشهداء البررة نصفهم من أنصاره ونصفهم الآخر من أهل بيته. وهكذا وارى تراب كربلاء جسد الحسين الطاهر، يشكو إلى اللّه غدر أنصاره، ومن كاتبه وراسله من أهل الكوفة يؤكدون له وقوفهم معه ودفاعهم عنه، وإذا تلك الوعود والعهود، فخ غادر واستدراج حاقد يودي بحياة الصفوة من أهل بيت النبوة، لا تزال الأمة تعاني من آثاره ونتائجه الأليمة، ويزف الحسين مع أهله في عرس الشهادة رغم انف أعدائه من الغلاة وأهل الغدر والخيانة، ليسجل التاريخ أروع ملحمة، تصور غدر الأعداء لمن وقف الوقفة الشجاعة ضد الزيغ والانحراف، معلناً انه لابد من الدماء الزكية للوقوف في وجه الباطل وهدمه لكي يتسنى إقامة دولة الحق والعدل، ومن هنا نبت أصل التشيع الأصيل لهدم الباطل، نظيراً ومكملاً للتسنن الأًصيل لبناء الحق والعدل، فهما –في الأصل– وجهان لعملة واحدة، وفرعا الشجرة المباركة مهما حاول الأعداء تزييف تلك الحقيقة وتلك الصورة الجميلة الوارفة الظلال في دنيا الإسلام والى يوم الدين[٦٢].

(٦٢) من خلال استعراض هذه الأحداث المؤلمة وعلى رأسها الفتن والصراعات والاغتيالات التي حدثت في صدر الإسلام والتدخل فيما بينها، نستنتج إن الأحداث التاريخية هي أوضح شاهد على المؤامرة التي تعرض لها المسلمون بعد الانتصار والفتح المبين، بغض النظر عن الأسماء والأشخاص الذين شاركوا في التآمر وإثارة الفتن بين المسلمين، فالحدث التاريخي ابلغ دلالة من الأسماء والمسميات، مهما حاول الأعداء إخفاء هذا التآمر، وتزييف الحقيقة، والتشكيك في شخص ما، أو الدفاع عن آخر، تحت مختلف الحجج والمبررات، إن اغتيال عمر وعثمان وطلحة والزبير وعلي والحسين، شواهد دامغة على دور الأعداء في الكيد للمسلمين وعرقلة زحفهم المقدس على ممالك الكفر والفساد في صدر الإسلام.

التحالف الرباعي لهدم الإسلام

لقد واجه الرسول الكريم في المدينة المنورة وهو يبني دولة الإسلام بعد قضائه على المشركين في مكة والطائف أربعة أعداء تقليديين هم: دولتي الروم وفارس واليهود وحركة النفاق في الداخل. كما واجه الصحابة في عصر الخلافة الراشدة أربعة أعداء تقليديين أيضاً هم: الروم والمجوس واليهود وأهل النفاق والغلو والمصالح في الداخل، ولقد استمر هذا التحالف الرباعي الذي كان من الأسباب المهمة لاغتيال ثلاثة من الخلفاء الراشدين، يعمل خلال العصر والعباسي وما تلاهما[٦٣].

ولقد رأينا في حادثة استشهاد عمر، آثار هذا التآمر على دولة الإسلام والاتفاق على قتل الخليفة، بين أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة وعلاقة هذا الاغتيال بنبوءة التوراة المزعومة.

أما حادثة استشهاد عثمان وعلي، فسنرى أن قتلة عثمان هم أنفسهم ممن خطط لقتل علي، وان قادة الخوارج الأول هم أنفسهم قادة الغوغاء الذين ثاروا على عثمان وسببوا تلك الفتنة التي أودت بحياته، وكان دور عبد الله بن سبأ في الحالتين واضحاً في الوصول إلى الأهداف المرسومة لتمزيق الأمة وانتشار التحزب والطائفية وأفكار الغلو والرفض والخروج والباطنية وغيرها من الأفكار الهدامة، التي سعى اليهود إلى نشرها بين المسلمين ومن بينها التشكيك في نوايا جيل الصحابة وتضخيم، وافتعال العداء والطعن والتجريح وإثارة الفتن المتوالية التي شهدها التاريخ الإسلامي، بتعاون اليهود مع الشعوبيين[٦٤] والروم، وبالتنسيق مع الجهلة والغلاة وأصحاب المصالح والأهواء الفاسدة من المسلمين.

---

(٦٣) هناك تقسيم آخر لأعداء الإسلام يميل إليه بعض الكتاب، وهو تقسيم ثلاثي، ممثلا بالمشركين واليهود والمنافقين، وهو تقسيم يعتمد الأساس الفكري، ويصعب عكسه على الواقع.

(٦٤) يطلق مصطلح الشعوبية على التيار المجوسي الاباحي الذي ينتمي إلى حضارة الفرس وديانتهم قبل الإسلام والتي كانت تدين بها تلك الشعوب قبل الفتح الإسلامي، واهم ما يميز الحركة الشعوبية منذ تبلورها في العصر العباسي إلى اليوم، احتقار العرب والإسلام، والسعي للقضاء على حضارة القرآن ودور العرب في حياة المسلمين، وترتكز الشعوبية في تثبيت دعائمها على نشر (الإلحاد والمجون والحقد) بين العرب والمسلمين، ولما كانت هذه الأهداف تلتقي اليوم مع أهداف بقية أعداء الإسلام، كاليهود والنصارى فإننا بإمكاننا أن نميز بين الكتابيين من اليهود والنصارى، والشعوبيين منهم، إذا كان الصنف الأول يلتقي مع المسلمين بالإيمان باللّه سبحانه، والرسالة السماوية، والاحترام المتبادل، والشرقية لمهد الرسالات، ويمثل الصنف الثاني (أي الشعوبيون) ما يعرف بالصهاينة والصليبيين، إذ أن هؤلاء قد سعوا – بلا هوادة – إلى نشر الإلحاد (المذاهب المادية الغربية) والمجون (المذاهب الجنسية والإباحية الغربية) والحقد والتعصب والخصومة (الاستعمار والعنصرية والامبريالية الغربية)، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المستشرقين والمستغربين وأهل الذمة والأقليات غير المسلمة في العالم

ولكي تتضح أبعاد هذه المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام وتستبين خيوط هذا التحالف الرباعي المعادي، لابد من تسليط الضوء على شخصية ابن سبأ ومن معه، والتعرف عن قرب على دوره في الفتنة وعلاقة قادة الغلاة وقادة الخوارج بالحركة السبئية، لكشف اللثام عن الأصابع الخفية التي كانت وراء تلك الأحداث في التاريخ الإسلامي، والتي ما يزال أثرها الهدام في الحياة الإسلامية المعاصرة، للإسهام في جهود التقريب والوحدة بين المسلمين وعلاج الطائفية من خلال تحديد العدو المشترك وإزالة الغبش والخلط الذي يتوهمه البعض بحسن نية أو يدسه البعض الآخر بسوء نية، بغية الهدم والتفريق ونشر الخصومة والتعصب المقيت والتناحر الدائم بين المسلمين.

الإسلامي، كل حسب توجهه الفكري والسياسي. وبهذا نكون قد اصطلحنا على معنى جديد للشعوبية لا يقل خطورة عن الشعوبية القديمة، تلك هي الشعوبية الغربية، التي تحمل في طياتها أحلام وأحقاد ألف عام من الصراع المرير بين الإسلام وأعدائه خلال الحروب الصليبية وتآمر يهود الأندلس والدونمة وفلسطين، وحتى اليوم. (انظر لمزيد من التفاصيل عن الحركة الشعوبية في التاريخ الإسلامي: كتاب الغلو والفرق الغالية: د. عبد الله سلوم السامرائي، وكتاب الزندقة والزنادقة: عاطف شكري، وكتاب السيف اليماني في الرد على الأصفهاني: وليد الاعظمي، وغيرها).

ابن سبأ ودوره في الفتنة

ترجمة عبد الله بن سبأ

هو عبد الله بن وهب الراسبي السبئي[٦٥]، يهودي من اليمن، اظهر الإسلام في عهد عثمان، كنيته ابن سبأ وابن السوداء، والسوداء أمه الحبشية. نشأ ابن سبأ في اليمن مع قومه من يهود اليمن، فنشأته كانت في بيئة يهودية تمتزج بها التعاليم المسيحية، ولذا نستطيع أن نفهم الازدواجية في التأثير في الآراء التي نادى بها ابن سبأ، وخاصة في عقيدة (الرجعة) و (الوصية) حينما قال: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾[٦٦].. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى.. ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد، كما كان يوشع وصي موسى[٦٧].

ثم أورده في أحداث سنة ٣٥هـ. مع الأحزاب الذين قدموا من مصر يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين، وانه اكبر الجهاد اليوم[٦٨].

ويروي الطبري وابن الأثير في أحداث سنة ٣٥هـ، إن ابن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء، وانه اسلم زمن عثمان، واخذ ينتقل في بلدان المسلمين من مصر لآخر، محاولاً ضلالتهم، فابتدأ بالحجاز، ثم البصرة، فالكوفة، ثم الشام فلم يقدر على شيء فيها، فأتى مصر واستقر بها وطابت له أجواؤها[٦٩].

ويذكره ابن كثير ضمن أحداث سنة ٣٤هـ، ويشير انه كان سبب تألب الأحزاب على عثمان[٧٠].

---

(٦٥) قال المقريزي في المواعظ والاعتبار: ٣٥٦/٢ عن اسم ابن سبأ (عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء). أما الطبري فغالباً ما ينسب ابن سبأ –من جهة أبيه– إلى سبأ فيقول: (عبد الله بن سبأ)، وينسبه إلى وهب –فضلا عن المقريزي– كل من البلاذري والأشعري القمي والذهبي الذي يسميه (عبد الله بن وهب السبئي)، ويشير السمعاني إلى التشابه بين ابن سبأ وابن وهب الخارجي فيقول: عبد الله بن هب السبئي رئيس الخوارج، وظني إن ابن وهب هذا منسوب إلى عبد الله بن سبأ.

٦٦ القصص/ ٨٥.

(٦٧) الطبري: ٣٤٠/٣.

(٦٨) المصدر نفسه: ١٩٠/٧.

(٦٩) الطبري:٣٤٠/٤، ابن الأثير: ١٥٤/٣.

(٧٠) ابن كثير: ١٨٣/٧.

ويتابع ابن عساكر الطبري وابن كثير في ذكر دور ابن سبأ في الفتنة وتنقله في الأمصار[٧١]. ويؤكد الطبري إن لابن سبأ أعوانا في الكوفة والبصرة مما أهله لمقابلة عبد اللّه بن عامر أمير البصرة سنة ٣٣هـ.

وإذا حاولنا الاستمرار في استقراء الروايات والأحداث في عهد عثمان نجد إن ظهور ابن سبأ بين المسلمين كان قبل سنة ٣٠هـ، ويرد ذكر ابن سبأ وهو في الشام، ويلتقي بأبي ذر ﷺ محرضاً إياه على معاوية، حين قال له إن معاوية يقول: إن المال مال اللّه، يريد حجبه عن المسلمين، وحين لقي أبا الدرداء قال له: من أنت أظنك واللّه يهودياً[٧٢].

إذن يمكن أن نحدد خط حركة ابن سبأ في الأمصار بما يلي:

١- اليمن (قبل ٢٥ هـ) - ٢-الحجاز (بحدود ٢٨هـ) - ٣- الكوفة (٣٠)- ٤-البصرة (٣٢هـ) - ٥-الكوفة (٣٣هـ)- ٦-الشام (٣٣هـ) - ٧- مصر (٣٤هـ) - ٨-الكوفة (٣٦هـ) - ٩-المدائن (٣٨- ٤٠هـ).

ويروي الكشي عن زين العابدين عليه السلام انه قال: (لعن اللّه من كذب علينا، إني ذكرت عبد اللّه بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً - لعنه اللّه - كان علي عليه السلام واللّه عبداً لله صالحاً، أخا لرسول اللّه، ما نال الكرامة من اللّه إلا بطاعته لله ورسوله، وما نال رسول اللّه ﷺ الكرامة من اللّه إلا بطاعته[٧٣].

ويروي أيضاً: (قال الإمام الصادق عليه السلام: إنا أهل البيت صديقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول اللّه ﷺ أصدق الناس لهجة، وأصدق البرية كلها وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ اللّه بعد رسول اللّه، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه، ويفتري على اللّه الكذب عبد اللّه بن سبأ[٧٤].

ويروي الطبري عن لقاء ابن عامر ابن سبأ، فيقول: حينما بلغ والي البصرة خبر ابن سبأ، أرسل إليه، ودار بينهما هذا الحوار: (ما أنت؟ فأخبره، انه رجل من

---

(٧١) البلاذري: الأنساب ٢٤/٧.

(٧٢) الطبري: ٢٨٣/٤، ابن الأثير: ١١٤/٣.

(٧٣) رجال الكشي: ١٠٠، تنقيح المقال في معرفة أخبار الرجال: المامقاني: ٧٠.

(٧٤) رجال الكشي: ١٠١.

أهل الكتاب رغب في الإسلام والجوار فقال ابن عامر: ما يبلغني ذلك ! اخرج عني) فأخرجه حتى أتى الكوفة[٧٥].

والجدير بالذكر انه بعد خيبر، لم يبق وجود لليهود في الحجاز، فقصد فريق منهم بلاد الشام، وأسلم بعضهم فحسن إسلامهم، وكان من هؤلاء عبدا لله بن سلاّم ومخيريق وهما من أحبار اليهود، كما أن بعضهم الآخر أظهروا الإسلام وأبطنوا العداوة والكيد له[٧٦]، ومن ابرز هؤلاء في صدر الإسلام عبدا لله بن سبأ.

لقد نزل ابن سبأ مصر سنة ٣٤هـ، بعد أن اخرج من الكوفة ماراً بالشام سنة ٣٣هـ، وفي مصر اختار ابن سبأ النهج الذي يساعده على الظهور، واختار القصبة التي ينزل عليها حتى يأمن العثور، فلقد اعتمد على بعض أبناء القبائل اليمنية النازلة بمصر، أمثال (الغافقي بن حرب العكي) و (سودان بن حمران السكوتي)[٧٧]، فبدأ بإثارة الناس على والي مصر عمرو بن العاص، واتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكأة يعتمد عليها[٧٨]. وخاصة إذا كان الأمر بالمعروف يشبع رغبة النفوس فهو وسيلة ينتفع بها غوغاء الناس، فكان يقول على الوالي: ما باله أكثركم عطاءٍ ورزقاً؟ ألا ننصب رجلاً من قريش يسوي بيننا؟ فاستحلوا ذلك منه[٧٩].

ولم يشر ابن كثير إلى ابن سبأ وهو يروي الخلاف بين معاوية وأبي ذر، كما ذكر البخاريَ أصل الخلاف وهو يروي حديثاً عن أبي ذر دون ذكر ابن سبأ وإنما ذكر اختلافهما حول تفسير الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾[٨٠] قال معاوية:

إنها نزلت في أهل الكتاب، وقال أبو ذر: أنزلت فينا وفيهم.. مما ينفي أثر ابن سبأ على أبي ذر.

ويروي الطبري عن دور ابن سبأ في الشام، انه لقي أبا ذر بالشام سنة ٣٠هـ، وانه هو الذي هيجه على معاوية حينما قال له: ألا تعجب من معاوية! يقول المال مال اللّه، كأنه يريد أن يحتجزه لنفسه دون المسلمين؟ وان أبا ذر ذهب إلى معاوية

---

(٧٥) الطبري: ٤/٣٢٦-٣٢٧.

(٧٦) الخوارج في العصر: د. نايف معروف: ٣٨.

(٧٧) آراء الخوارج، د. عمار الطالبي: ٧٠، وانظر العواصم من القواصم، القاضي ابن العربي: ١١٣؛ والغافقي وسودان هما من أتباع ابن سبأ الذين شاركوا في قتل عثمانﷺ .

(٧٨) الطبري: ٤/٣٤١؛ ابن الأثير: ٣/١٥٤.

(٧٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٢٤/أ.

٨٠ التوبة/ ٣٤

وأنكر عليه ذلك[81]. وذلك يعني أن لابن سبأ دوراً واضحاً في الشام رغم قصر المدة التي مكث فيها قبل رحيله إلى مصر وانه هو الذي زرع الفتنة، وحرك على معاوية صحابياً معروفاً أذعن عامة الشاميين لأقواله، وضاق به ذرعاً معاوية المشهور بالحلم والدهاء، وأخيرا ألب الفقراء على الأغنياء. إن ذلك تضخيم لدور ابن سبأ وإعطاؤه دوراً لم يكن مؤهلاً له بعد.

إن خبر تأثير ابن سبأ على أبي ذر لم يصح وهو ساقط لأسباب منها إن زمن اللقاء في سنة ٣٠ هـ، هو وقت مبكر لظهور ابن سبأ وتأثير دوره فضلاً عن مكانته بين الصحابة، إن كانت له مكانة، إذ أن ابن سبأ لم يظهر له دور في عهد عثمان إلا بعد سنة ٣٠هـ على الأغلب، عدا هذا الخبر الذي يجعله في الشام في هذه السنة. وانه مر بالشام عام ٣٣ هـ في طريقه إلى مصر، علماً بان وفاة أبي ذر كانت في سنة ٣٢هـ. والثاني الضعف الظاهر في سند الرواية، والثالث إن قوة شخصية أبي ذر واستقلالية فكره، وبصيرته المؤمنة وربانيته وزهده كلها تمنع أن يكون شخص خبيث السريرة، مثل ابن سبأ، قد أثر عليه وحرضه، بل إن خلافه مع معاوية نابع من منهجه المتقشف الذاتي الذي جبل عليه منذ صحبته للمصطفى ﷺ. بل كان له من الاستقلال بآرائه ما يجعله يرفع محجنه فيشج بها رأس كعب الأحبار. حينما اعترض على أبي ذر قائلاً: من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه[82]. وهل يوازي ابن سبأ كعب الأحبار سمعة بين المسلمين؟ وكيف يكون ابن سبأ قد أثر على هذا الصحابي القدير، ثم نذكر كلمة أبي ذر لكعب: يا ابن اليهودية ما أنت وما هاهنا؟ واللّه لتسمعن مني أو لأدخل عليك[83].

نكاد نجد اتفاقاً عاماً بين العلماء والمؤرخين لدى الفريقين إن ابن سبأ هو عبد الله بن سبأ، ولقبه (ابن السوداء) وهو من يهود اليمن قبل إسلامه، ولم يخالف في ذلك إلا ابن كثير الذي يقول: ابن السوداء كان أصله رومياً[84] ويبدو أنه يشير إلى أن فتنة ابن سبأ كانت خطة رومية، وكان ابن سبأ يعمل جاسوساً للروم لإيقاف زحف المسلمين نحوهم. ولا علاقة بين تلك الخطة وبين أصل ابن سبأ، واللّه أعلم.

---

(٨١) الطبري: ٢٨٣/٤ . وهذا الخبر لا يصح نقلاً وعقلاً، وإنما كان اعتذار من البعض عن خلافه مع معاوية وهو خطأ.

(٨٢) المصدر نفسه: ٢٨٤/٤.

(٨٣) المصدر نفسه: ٢٨٤/٤.

(٨٤) ابن كثير: ١٧٣/٧.

ويبدو أن (سبأ) ليس اسماً لأبيه، وإنما نسب لشعب سبأ اليمني، فقد جعله المقريزي وغيره (عبدا لله بن وهب بن سبأ)[٨٥]. ويسميه الأشعري القمي الأمامي بتفصيل أكثر، فيقول (انه عبد ا لله بن وهب الراسبي الهمداني)[٨٦]. ولقد استشكل بعض المستشرقين التناقض بين يهودية ابن سبأ وعروبته، مستغلين خبر القمي الذي نسبه إلى همدان أي إلى العرب القحطانيين، ونسي هؤلاء أن عروبة ابن سبأ على فرض صحتها (إن لم تكن بالولاء) لا تنفي يهوديته، فبعض القبائل العربية في اليمن كانت قد تهودت قبل ظهور الإسلام، كما إن الأشعري القمي نفسه الذي نسبه راسبياً، هو الذي نقل عن أهل العلم أنه كان يهودياً[٨٧].

---

(٨٥) خطط المقريزي: ١٨٢.

(٨٦) القمي: المقالات والفرق: ٢٠.

(٨٧) القمي، المقالات والفرق: ٢٠.

دور السبئية في إثارة الفتن بين المسلمين

إن المتتبع لتطور الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام يشعر بأن يداً خفية كانت تمهد لها، ثم تشعل الفتيل إذا قدح الشرر، فحين ظهر ابن سبأ في زمن عثمان، واعتنق الإسلام بعد يهوديته، أخذ يتنقل في البلاد الإسلامية يحاول ضلالتهم، وأتى مصر فأقام هناك، وطرح فكرة الرجعة والوصية، فتكلم الناس بهذه المزاعم، وقبلها بعضهم[٨٨].

ولقد انتهز ابن سبأ الفرصة المناسبة والوقت المناسب، إذ كان الناس يتململون في بعض الأمصار لمآخذ أخذوها على عثمان وولاته، فرمى إلى بذر أفكار يلتف حولها المعارضون، ورفع شعاراً مقدساً جذاباً، فأوحى إلى أصحابه فقال: اظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس[٨٩]. ولاقت دعوة ابن سبأ استجابة بعض الناس، وأخذت بالذيوع في مصر والكوفة والبصرة وهي المواطن التي مر عليها ابن سبأ وكوَّن فيها أتباعاً وكان يكاتبهم من مصر[٩٠].

ولم يكن الخليفة عثمان في غفلة من الأمر، فبعث برسائل إلى عماله يستدعيهم فيها إلى موافاته في مواسم الحج، ليطلعوه على ما ينكره الناس، ودعا الولاة لأخذ الحق للمظلومين، ودعا الناس أن يوافوه ويأخذوا حقهم منه أو من عماله[٩١] ولكن السبئية ودعاة التمرد استمروا بالتحريض على عثمان وعماله، وإظهار الحرص على الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تلا ذلك خروج المتمردين إلى المدينة، بعد أن تواعدوا أن يوافوها في موسم الحج، وذلك ليستروا غايتهم التي جاؤوا من أجلها ويبدو من هذه الأحداث أنه ربما استوحى هؤلاء المتمردون، التوجه إلى المدينة والثورة والتمرد، والاتفاق على التجمع الذي أدى إلى محاصرة المدينة وقتل عثمان، من توجيهات عثمان الطيبة نفسها، ومن موسم الحج أيضاً وإمكانية التجمع فيه والالتقاء من مختلف الأمصار، وهذه من اشد المصائب التي تصيب الأمة، أن يستفيد الأعداء من مثلها ورحمة تعاليمها، إذا لم يكن

---

(٨٨) الطبري: ٣/٣٧٨-٣٧٩.

(٨٩) المصدر نفسه: ٣/٣٧٨-٣٧٩؛ وابن الأثير، الكامل: ٣/١٥٤.

(٩٠) ابن كثير: ٧/٤٣٠؛ الطبري: ٣/٣٧٥.

(٩١) الطبري: ٣/٣٨٠.

المسلمون على درجة من اليقظة والحذر من اختراق الباطل والانقضاض على بيضة الإسلام، وقد تكرر ذلك مراراً في بغداد والأندلس والأستانة وأخيراً فلسطين..

يقول ابن كثير: إن ابن سبأ هو الذي جهز خوارج المصريين فخرجوا ومعهم ابن سبأ[٩٢]، وفيهم كنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حمران المرادي، كما خرج ثوار البصرة وعليهم حرقوص بن زهير السعدي، أما من الكوفة فخرج يزيد بن قيس الارحبي، ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم، وكان هوى المصريين في علي والكوفيين في الزبير والبصريين في تولية طلحة[٩٣]. ويبدو أن تفرق أهواء الأمصار الثلاثة هذا، كان أما بإيحاء ابن سبأ نفسه أو مما يوافق رغبته في تفريق المسلمين وإثارة الفتنة بينهم، ولكي يوقع الخلاف بينهم بعد تنفيذ خطته[٩٤].

ونجد علياً يكشف أهداف المتمردين ونواياهم، فعندما خرجوا من المدينة بعد أن استرضاهم عثمان، عادوا إليه بحجة الكتاب المزعوم الذي وجده المصريون في طريق رجوعهم مع رسول الخليفة ممهوراً بخاتمه، ولما قابلهم علي قال لهم: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم، قال أهل مصر: أخذنا مع البريد كتاباً موقعاً من عثمان يأمر عامله بقتلنا. فقال علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بخبر الكتاب المرسل إلى أهل مصر، وقد سرتم مراحل في طريق بلدكم؟ هذا واللّه أمر أبرم في المدينة!! (أي قبل رجوعهم)[٩٥] ويتهم البعض مروان بن الحكم بأنه هو الذي كتب الكتاب بغير علم عثمان[٩٦] وهذا القول فيه نظر للأسباب الآتية: أولها ما كشفه الإمام علي بأنه غدر مدبر بين وفود المتمردين للرجوع، بناء على خطة أحكمت في المدينة عند اجتماعهم الأول ومحاصرتهم المدينة، والثاني أن الكتاب المزعوم وجده المصريون موجهاً إلى واليهم، وكما نعلم إن ابن سبأ رأس الفتنة كان على رأس الغلاة المصريين، فالتزوير تم بإشرافه وتخطيطه، والثالث عدم وجود مصلحة لمروان أن يثير الناس ضد الخليفة وهو ابن عمه، لأنه سيكون أول الخاسرين والمتضررين بغض النظر عن موقفه. وهكذا نجد أن هذه الفتنة قد أحكمت حلقاتها ونفذت وخطط لها بدقة متناهية لتؤدي في النهاية إلى مقتل الخليفة، وإثارة

---

(٩٢) ابن كثير: ٤٥٠/٧.

(٩٣) الطبري: ٣٥٨/٣-٣٨٦.

(٩٤) انظر: د. يوسف العش، الدولة الأموية: ٦٣.

(٩٥) الطبري: ٢٩٥٨/٦.

(٩٦) الأنساب، البلاذري: ٦٦/٥.

الفرقة والتشرذم بين المسلمين وتفتح باب الصراع والحروب الداخلية على مصراعيها، وذلك بالتنسيق بين تيار الغلو واليهود والروم وبقايا المجوس الذين كانوا يمثلون التيار الخفي الذي يعمل لإيقاف زحف جيوش الفتح الإسلامي، وتحطيم دولة الإسلام وعقيدته من الداخل.

ثم نجد علياً يأمر بإنفاذ ولديه الحسن والحسين للدفاع عن عثمان، وقد لامهما حينما علم بقتله، ظناً منه أنهما قصرا(٩٧). وكان أصحاب ابن سبأ يكتبون إلى الأمصار الإسلامية على لسان أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ ويثيرون الناس على الخليفة وولاته(٩٨).

ومما يؤكد دور السبئية في مقتل عثمان ما رواه البلاذري وغيره من أن سودان بن حمران المرادي (صاحب ابن سبأ) هو أول من أسال دم الخليفة عثمان(٩٩). وما رواه المسعودي الأمامي من أن اللذين توليا قتله هما: سعد (سودان) بن حمران المرادي وكنانة بن بشر التجيبي الليثي، وكلاهما من ثوار مصر الذين جهزهم ورافقهم ابن السوداء(١٠٠). ومما يدلل على نفاق قتلة عثمان وغلوهم وكفرهم، أن أحدهم يدوس المصحف الذي كان بيد عثمان ويرفسه برجله، ورفاقه ينتبهون بيت القتيل، فيأخذ أحدهم ملاءة زوجة الإمام القتيل، وينتبهون بيت المال ويمثلون بجثة عثمان ﷺ(١٠١).

ولكن ذلك لا يعني أن جميع المتمردين كانوا من السبئية والغوغاء، فقد ذكر البلاذري وغيره، أن فريقاً منهم أنكر قتل الخليفة، وقالوا كان يكفي (أن يعتدل أو يعتزل). ونرى الأشتر الذي قدم في أهل الكوفة نراه يعتزل حصار عثمان بعد وصولهم إلى المدينة(١٠٢).

---

(٩٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٢٧/٢.

(٩٨) التمهيد، الباقلاني: ٢١٦؛ الكامل، ابن الأثير: ١٥٤/٣.

(٩٩) الأنساب: ٨٣/٥؛ اليعقوبي: ١٧٦/٢؛ الطبري: ٢٠٢١/٦.

(١٠٠) مروج الذهب، المسعودي: ٢٣٣/٢.

(١٠١) الطبري: ٣١٨/٦؛ وابن كثير: ١٨٥/٧؛ وغيرهما.
ولو كان الأمر تغيير الحاكم أو بسبب نقمة على الخليفة نفسه، لما انتهبوا بيته وبيت مال المسلمين، ولكنها محاولة لإشعال الفتنة قام بها لصوص قتلة لا علاقة لهم بالإسلام.

(١٠٢) الطبري: ٢٩٩٩/٦؛ الأنساب، البلاذري: ٨٦/٥.

موقف السبئية من خلافة علي

وهكذا رأينا أن أتباع ابن سبأ هم الذين كانوا وراء مقتل عثمان ﷺ.

ويروي الطبري أن طلحة والزبير وبني أمية لما اجتمعوا في مكة، أجمع أمرهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية[١٠٣]. أما علي ﷺ فبعد أن انتخب خليفة، حاول الغلاة السبئيون أن يفرضوا أنفسهم عليه، والسيطرة على إدارة دولة الخلافة الراشدة، ومن هنا بدأت متاعب الخليفة والصعاب والحروب التي دخلها اضطراراً. وحاول هؤلاء الغلاة تحذير الخليفة الجديد من سطوتهم وقدرتهم على نزع الأمر منه. ولم يكن علي في غفلة عن خطر الغوغاء، فقد خرج في اليوم الثالث لتسلمه الخلافة، فقال: أيها الناس، اخرجوا عنكم الأعراب، فليلحقوا بمياههم، فأطاعت الأعراب وأبت السبئية[١٠٤]، هؤلاءِ السبئية الذين أشاعوا الوصية لعلي وحملوا لواء الدعوة له، كانوا –في حقيقتهم– ألد الخصوم له، وهكذا وجدناهم يكشفون ذلك الحقد الخفي على الخليفة نفسه، حين يرفضون تنفيذ أمره، لأن مهمتهم لم تنته بعد.

وحين عزم علي ﷺ على الارتحال إلى البصرة ثم الكوفة لإقناع طلحة والزبير وعائشة بالعدول عن المطالبة بدم عثمان، وترك الأمر له كخليفة للقصاص من القتلة في الوقت المناسب، اجتمع من رؤوس هؤلاء الغلاة جماعة فيهم عبد ا لله بن سبأ وشريح بن أوفى والأشتر النخعي في ألفين وخمسمائة رجل ليس فيهم صحابي واحد، فتداولوا الأمر بينهم[١٠٥].

ولم ينته دور السبئية عند حد الإسهام في قتل عثمان وإحراج علي وخلق المتاعب له عند بداية عهده، بل استمر لإمداد الفتنة بالحطب والنار فعندما طالب طلحة والزبير علياً بالاقتصاص من القتلة لم يستطع علي أن يلبي طلبهما لأنه لم يكن يومها يستطيع تحديد هوية القاتلين، فوقع الخلاف، وذهب طلحة والزبير إلى البصرة واقتصوا من ثوار البصرة بأنفسهم[١٠٦]. ثم تبعهم علي إلى العراق خشية أن يفلت زمام الأمر منه، ونزل البصرة وبدأ الحوار بينهم، وتفاهم الفريقان على الوصول إلى حل، على أن يستأنفوا الاتصالات في اليوم التالي، فبات قتلة عثمان بشرٍّ

---

(١٠٣) الطبري: ٣١٠٤/٦.

(١٠٤) الطبري: ٣٠٧٩/٦–٣٠٨١؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/٤؛ وابن الأثير: ١٩٦/٣.

(١٠٥) البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٣٨/٧.

(١٠٦) الطبري: ٢١٣١/٦.

ليلة[107]. ولم يرق للسبئية أن يتمٍ الصلح وتزول أسباب الخلاف، ففي ذلك خطر يهددهم، فقال بعضهم: نلحق علياً بعثمان لتعود الفتنة من جديد، فقال ابن سبأ: لو قتلناه قتلنا، ولكن إذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، وهكذا نشبت حرب الجمل، وقتل طلحة والزبير غدراً بعد انسحابهما من أرض المعركة، وبكاهم علي، وأكرم ورثتهم..[108] ويخبرنا ابن كثير إن السبئية استمروا في تقتيل الناس بعد استسلام أتباع عائشة، بينما منادي علي يصيح: ألا كفُّوا، ألا كفُّوا، فلا يسمع أحد[109].

وهكذا نجد هؤلاء الغلاة، يكشفون عن حقيقة موقفهم كأشد الناس كُرهاً لعلي، وإنهم كانوا يتحينون كل سانحة لإحراجه وخلق المتاعب له.

---

(107) ابن كثير: ٢٣٩/٧.

(108) الطبري: ٥٠٧/٣؛ ابن كثير: ٢٣٨/٧.

(109) ابن كثير: ٢٣٩/٧.

إجماع علماء المسلمين على وجود ابن سبأ ودوره في الفتنة

عبد اللّه بن سبأ في كتب المتقدمين الشيعة والسنة

أ- عند الشيعة:

أن رسالة الإرجاء للحسن بن محمد بن الحنفية (ت: ٩٥هـ) كانت أقدم المصادر الأمامية التي ذكرت ابن سبأ ودوره في الفتنة، والتي رواها عنه الثقات من الرجال عند الشيعة[١١٠]، ثم ذكره أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأصفهاني (ت:٢٨٣) في كتابه الغارات الذي يعد من أهم مراجع الشيعة القديمة، وقد أكثر الرواية من هذا الكتاب الحلي والمجلسي والعاملي والشيرازي والخوئي وغيرهم[١١١]، ثم النوبختي (ت:٣١٠هـ) المؤرخ الشيعي المعروف المعاصر للطبري في كتابه (فرق الشيعة) ثم الكشي في (رجال الكشي). ثم تبعهما في ذكر ابن سبأ بدون إنكار أو تردد كل من الطوسي الملقب بشيخ الطائفة في رجاله، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، والحلي في خلاصته، والقمي في تحفة الأحباب والتستري في الكنى والألقاب وغيرهم كثير. وقد ذكر ابن سبأ أيضاً من المتأخرين الشيعة، المامقاني المتوفى سنة ١٣٥١هـ وعباس بن محمد رضا القمي (ت:١٣٥٩) ومحمد حسين الأعلمي الحائري في دائرة المعارف المسماة: مقتبس الأثر ومجدد ما دثر/ ط. ١٣٨٨هـ. والطريف إن وجود ابن سبأ قد أكده المتساهل والمتشدد من الأمامية، كالمجلسي والاردبيلي وابن شهر أشوب ومحمد بن طاهر العاملي وغيرهم من المتأخرين من علماء القرن الثاني عشر الشيعة فضلاً عن المتقدمين الذين تم ذكرهم فيما سبق.

كما أورد الناشئ الأكبر (ت:٢٩٣) عن ابن سبأ والسبئية ما نصه: وفرقة زعموا أن عليا عليه السلام حي لم يمت، وانه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ وكان عبد الله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء،

---

(١١٠) الإيمان (مخطوطة) رسالة للحسن بن محمد بن الحنفية: ٢٤٩، وقد ذكر الذهبي إن وفاته كانت سنة ٩٥هـ، الكاشف: ٢٧/١، وذكر ابن حجر وفاته سنة ١٠٠هـ، التقريب: ١٧١/١، وهذه الرسالة معتمدة لدى الشيعة والسنة.

(١١١) انظر مقدمة الغارات، ط. أنجمن آثار ملي إيران.

يهودياً اسلم على يد علي، وسكن المدائن...[١١٢] وذكر الأشعري القمي (ت:٣٠١) إن عبد ا لله بن سبأ أول من أظهر الطعن بابي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن علياً أمره بذلك، وان التقية لا تجوز، فأخبر علي فسأله عن ذلك فأقر به، وأمر بقتله فصاح الناس إليه من كل ناحية: يا أمير المؤمنين: أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت، والى ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره إلى المدائن[١١٣]. ويروي النوبختي (ت ٣١٠) انه لما بلغ عبد ا لله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا انه لم يمت، ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض[١١٤].

ويروي أبو عمر الكشي (من رجال القرن الرابع) بسنده عن الإمام محمد الباقر: إن عبد ا لله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو اللّه، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وسأله فأقر بذلك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فأرجع عن هذا وتب، ثكلتك أمك، فأبى فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فاحرقه بالنار، وقال: إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك[١١٥]. ويروي الكشي أيضاً عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد ا لله يقول، لعن اللّه ابن سبأ، انه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان واللّه أمير المؤمنين عبد ا لله طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وان قوماً يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى اللّه منهم[١١٦].

كما يروي رئيس محدثي الأمامية، أبو جعفر بن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ت:٣٨١) اعتراض ابن سبأ على الإمام علي عليه السلام وهو يعلّم أتباعه برفع اليد إلى السماء عند الدعاء، فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين. أليس اللّه عز وجل بكل مكان؟ قال: بلى، قال: فلِم يرفع يديه إلى السماء؟ قال أو ما تقرأ: ﴿وفي السماء

---

(١١٢) مسائل الإمامة، ألناشي الأكبر الأمامي: ٢٣. ط بيروت. وهذه الرواية تشير إلى احتقار السبئية وحقدهم على العرب فعبروا عن ذلك الحقد، بصيغة سوق الإمام علي للعرب بعصاه، وكأنهم دواب، مما يدل على الدس الواضح لهذه الروايات والنفس الشعوبي اليهودي وراءها.

(١١٣) المقالات والفرق: ٢٠. من هذه الرواية الأمامية يلاحظ دور الغلاة وأثرهم على قرار الخليفة بهذه القضية وفي قضية التحكيم وقبلها في مسألة القصاص من قتلة عثمان، حتى قتلوه في النهاية.

(١١٤) فرق الشيعة، النوبختي: ٢٣.

(١١٥) رجال الكشي: ٩٩، تنقيح المقال في معرفة أخبار الرجال، المامقاني: ٧٠.

(١١٦) رجال الكشي: ١٠٠، معرفة أخبار الرجال، المامقاني: ٧٠.

رزقكم وما توعدون﴾ فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه، وموضع الرزق وما وعد اللّه عز وجل السماء[١١٧]. ويعلق محقق كتاب الخصال (علي اكبر الغفاري) على درجة صحة هذا الخبر المسند ما نصه: قال العلامة المجلسي، اعلم إن أصل هذا الخبر في غاية الوثاقة والاعتبار واعتمد عليه الكليني وذكر أكثر أجزائه متفرقة في أبواب الكافي[١١٨].

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠) عن ابن سبأ، انه رجع إلى الكفر واظهر الغلو[١١٩]. وكذلك ذكر اعتراض ابن سبأ على علي عليه السلام في رفع اليدين إلى السماء في كتابه تهذيب الأحكام[١٢٠]. وذكر الحلي (ت:٧٢٦) ابن سبأ ضمن أصناف الضعفاء[١٢١].

ويقول احمد بن يحيى بن المرتضى (ت:٨٤٠) وهو من أئمة الزيدية: إن عبد الله بن سبأ أول من احدث القول بالنص وبإمامة الأئمة[١٢٢]، ويقول الاردبيلي (ت:١١٠١) عنه، غال ملعون[١٢٣]. ويقول ألتستري: إن ابن سبأ وطائفته السبئية من الغلاة[١٢٤]. أما الخوانساري فقد ذكر ابن سبأ على لسان الإمام علي وهو يلعنه، لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[١٢٥]. كما ذكره الفيض الكاشاني في كتابه الوافي[١٢٦]، وأورد اعتراضه على رفع اليدين إلىٍ السماء. أما المامقاني في (تنقيح المقال) فقد ذكر ابن سبأ في روايات عديدة نقلاً عن مصادر شيعية متقدمة

---

(١١٧) فقيه من لاٍ يحضره الفقيه، الصدوق القمي: ٢١٣/١؛ وكذلك كتاب الخصال، للقمي أيضاً: ٦٢٨ ط. إيران.

(١١٨) الخصال، القمي: ٦١١.

(١١٩) رجال الطوسي: ٥١، ط. النجف.

(١٢٠) الطوسي، تهذيب الأحكام: ٣٢٢/٢ ط. إيران.

(١٢١) الرجال، ابن مطهر الحلي: ٧١/٢ ط. النجف.

(١٢٢) طبقات المعتزلة: ٦، ط. بيروت.

(١٢٣) جامع الرواة، الاردبيلي: ٤٨٥/١.

(١٢٤) قاموس الرجال، التستري: ٤٦٥/٥.

(١٢٥) روضات الجنان، محمد باقر الخوانساري: ١٤١/٣، ط. طهران.

(١٢٦) الوافي، الكاشاني: ١١٨/٥، ط. طهران.

عليه[١٢٧]. وذكره يحيى بن حمزة الزيدي في طوق الحمامة، ضمن قوم كانوا ينتقصون أبا بكر وعمر ﷺ[١٢٨].

وهذه النصوص والروايات في كتب الأمامية الأصيلة والمعتبرة لديهم تقوم دليلاً لا يقبل النقض على وجود ابن سبأ ودوره الخبيث، وتدين من حاول من متأخري الشيعة، إنكار ابن سبأ أو التشكيك في إخباره بحجة قلة أو ضعف المصادر التي حكت أخباره!. والعديد من هذه المصادر اسبق من الطبري كما هو واضح من تاريخ الوفاة.

ب- عند أهل السنة:

يعدُّ الجاحظ (ت:٢٥٥) من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ[١٢٩] ولكن ليست روايته أقدم رواية وردت عنه كما يظن جواد علي[١٣٠] فابن حبيب البغدادي (ت:٢٤٥) ذكره واعتبره احد أبناء الحبشيات[١٣١]. وذكر ابن سعد في الطبقات (ت:٢٣٠) فرقة السبئية، دون أن يشير إلى ابن سبأ بعينه[١٣٢] ويروى لنا الجرجاني (ت:٢٥٦) إن من مزاعم عبد الله بن سبأ ادعاؤه إن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي وان علياً نفاه بعدما كان هم به[١٣٣] أما البلاذري (ت:٢٧٩) فيذكره في جملة من أتوا إلى علي يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر؟ وحينما كتب علي الكتاب الذي أمر بقراءته على أتباعه كان عند ابن سبأ نسخة منه وقد حرفها[١٣٤] أما الطبري (ت:٣١٠) فقد توسع في ذكر أخبار ابن سبأ وآثاره، معتمداً في الغالب على روايات سيف بن عمر وابن سبأ عنده رأس الفتنة وأساس البلاء[١٣٥].

---

(١٢٧) تنقيح المقال، المامقاني: ١٨٣/٢، ط. النجف.

(١٢٨) طوق الحمامة في مباحث الإمامة، يحيى بن حمزة الزيدي: ٤٠.

(١٢٩) البيان والتبين: ٨١/٣؛ والجاحظ كاتب معتزلي أدرك العصر العباسي الثاني وتوفي في زمن الخليفة المعتز بن المتوكل.

(١٣٠) المجمع العلمي العراقي: مجلد ٦٧/٦.

(١٣١) المحبر، ابن حبيب البغدادي: ٣٠٨.

(١٣٢) الطبقات الكبرى: ٣٩/٣؛ ١٩٢/٦.

(١٣٣) الضعفاء (مخطوط) ص٣ب.

(١٣٤) أنساب الأشراف، للبلاذري، تحقيق باقر المحمودي: ٣٨٣.

(١٣٥) الطبري: ٣٤٠/٤.

أما ابن عساكر (ت:٥٧١) فقد وافق الطبري أيضاً في روايات سيف عن ابن سبأ فذكر بعضها، وزاد على ذلك بروايات أخرى، لا ينتهي سندها إلى سيف، وهذا مما يزيد الأمر تأكيداً، خاصة إذا علمنا إن من هذه الروايات ما ترقى درجة إسنادها إلى الصحة، وبعضها الأخر إلى الحسن. وقد عرف ابن عساكر (وهو من أشهر مؤرخي القرن السادس الهجري وأعلمهم) ابن سبأ فقال عنه: عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهودياً واظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويدخل بينهم الشر، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان[١٣٦]. وقد وافق ابن الأثير (ت:٦٣٠) الطبري، فأورد روايات الطبري بعد حذف أسانيدها، وزاد عليها بروايات أخرى من طرقه[١٣٧].

ويروي لنا ابن كثير (ت:٧٧٤) إن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وصيرورته إلى مصر، وإذاعته على الملأ كلاماً اخترعه من عند نفسه فيقول: أليس قد ثبت أن عيسى سيعود إلى هذه الدنيا؟

فيقول الرجل: نعم، فيقول له: فرسول اللّه أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا وهو اشرف من عيسى ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالأمر من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه، واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[١٣٨].

أما كتب الرجال وعلماء الجرح والتعديل، فقد ذكروا ابن سبأ ومن هؤلاء:-

ابن حبان (ت:٣٥٤): الذي يقول وكان الكلبي سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون أن علياً لم يمت، وانه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة، فيملؤها عدلاً كما ملئت جورا، وان رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[١٣٩]. ويقول عنه الذهبي (ت:٧٤٨): عبد الله بن سبأ من غلاة الروافض ضال مضل[١٤٠] وفي

---

(١٣٦) تاريخ دمشق: ص ١٢٣/ ب.

(١٣٧) ابن الأثير، الكامل: ٣/١١٤-١٤٥.

(١٣٨) البداية والنهاية: ٧/١٨٣.

(١٣٩) المجروحين: ٢/٢٥٣، ط. حلب.

(١٤٠) المغني من الضعفاء: ٣٣٩.

الميزان: من غلاة الزنادقة، ضال مضل، احسب إن علياً حرقه بالنار[١٤١] وهو عنده: المهيج للفتنة بمصر، وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة، ثم على الإمام فيها[١٤٢] أما ابن حجر (ت:٨٥٢) فقد سرد روايات ساقها ابن عساكر في تاريخه، ثم قال في النهاية: وإخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ، وليست له رواية والحمد لله[١٤٣].

ومن كتب التراث التي ذكرت ابن سبأ، العقد الفريد/ ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨)[١٤٤]، والبدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي (ت:٣٥٥)[١٤٥] وذكره المالقي (ت:٧٤١) في كتابه التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان[١٤٦] والصفدي (ت:٧٦٤) في الوافي بالوفيات[١٤٧]. ونشوان الحميري (ت:٥٧٣) في الحور العين ص١٥٤، أما السمعاني (ت:٥٦٢) فيقول: ويغلب على ظني أن عبد الله بن وهب –زعيم الخوارج– منسوب إلى عبد الله بن سبأ – زعيم السبئية، وكذلك الجرجاني (ت:٨١٦) في التعريفات ص٧٩، أما الزبيدي (ت:١٢٠٥) فيرى أن سبأ الوارد في حديث فروة بن مسيك المرادي، هو والد عبد الله بن سبأ صاحب السبئية من الغلاة[١٤٨]. أما ابن تيمية فيقارن بين عبد الله بن سبأ وبين بولص النصراني، فعلىٍ حين اظهر ابن سبأ الإسلام وأبطن اليهودية للنيل من المسلمين، كان بولص يهودياً في إفساده دين النصارى، ولكن لم يتأت له ما تأتى لبولص لحفظ اللّه سبحانه للإسلام، ولان المسيح رفع إلى السماء وأتباعه قلة، فاتبع الناس غلو بولص، ودخلت معهم الملوك من الرومان[١٤٩].

---

(١٤١) ميزان الاعتدال، الذهبي: ٤٢٦/٢.

(١٤٢) تاريخ الإسلام: ١٢٣/٢.

(١٤٣) لسان الميزان: ٢٩٠/٣. أي لم يرو عنه احد من أهل الحديث أو الأخبار، لسقوطه عندهم.

(١٤٤) العقد الفريد: ٤٠٥/٢.

(١٤٥) البدء والتاريخ: ١٢٩/٥.

(١٤٦) التمهيد والبيان، المالقي: ٥٤، ط. بيروت.

(١٤٧) مخطوط ٢٠/١٧. انظر عبد الله بن سبأ، سليمان العودة: ٥٧.

(١٤٨) تاج العروس: ٧٦/١.

(١٤٩) الفتاوى: ٤٨٣/٢٨؛ ومنهاج السنة: ٢٦١/٣.

وفي خطط المقريزي (ت:٨٤٥): إن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي محدثاً القول بالوصية والرجعة والتناسخ..، وهو قبل هذا المثير للفتنة الكبرى المنتهية بقتل عثمان[١٥٠].

كما يذكره الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) في الاعتصام[١٥١]، أما أصحاب الفرق والمقالات، فيتفق مشاهيرهم على دور ابن سبأ في إحداث الفتنة مع اختلافهم في حجم الدور الخبيث الذي قام به، منهم: أبو الحسن الأشعري (ت:٣٣٠) والملطي (ت:٣٧٧) والبغدادي (ت:٤٢١) وابن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦) والاسفرائيني (ت:٤٧١) والشهرستاني (ت:٥٤٨) وفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦) والكرماني (ت:٧٨٦)[١٥٢]. كما يذكر أبو حاتم الرازي (ت:٣٢٢) إن السبئية كانوا يزعمون إن علياً هو الإله، وانه يحيي الموتى، وادعوا غيبته بعد موته، ووقفوا عليه[١٥٣].

من وراء فكرة التشكيك بشخصية ابن سبأ؟

حاولنا في هذا الفقرة السابقة استعراض أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين الشيعة والسنة، وسنحاول الآن استعراض أقوال المستشرقين والمعاصرين المهتمين بموضوع ابن سبأ ودوره في الفتنة في صدر الإسلام للوقوف على حقيقة وجوده ودوره، بعيداً عن التهويل والتطبيل والتزييف الذي يحاول البعض إثارته، لغاية في أنفسهم، ولإثارة الفتنة بين المسلمين ومحاولة التشكيك في مسلمات التراث وحقائق التاريخ الإسلامي.

عبد اللّه بن سبأ في كتابات المستشرقين

اهتم المستشرقون بشكل عام بمسألة عبد الله بن سبأ. فاتجهوا إلى كتب الفرق والتراث والتاريخ، يدرسون ويحللون، ليخرجوا باستنتاجات وقناعات مختلفة، كل حسب رأيه وأسلوب تفكيره، ومدى ما لديه من تسامح أو تعصب مع المسلمين والتراث الإسلامي عموما. إن أول من أثار الشكوك على قضية ابن سبأ، من حيث

---

(١٥٠) المواعظ والاعتبار: ٣٥٧/٢.

(١٥١) الاعتصام، الشاطبي: ٣٥٧/٢.

(١٥٢) انظر كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان حمد العودة: ٥٨.

(١٥٣) الزينة في الكلمات الإسلامية الرازي: ٣٠٥، ط. بغداد.

وجوده ودوره في الفتنة، هم المستشرقون ثم تبعهم المستغربون وبعض معاصري الشيعة، كما إنهم حاولوا إثارة الفتنة بين المسلمين حينما روجوا فكرة الأصل اليهودي للتشيع، وهي فكرة باطلة كما نعلم، وأوحوا إلى الشيعة بضرورة التشكيك بوجود ابن سبأ لتبرئتهم من هذه التهمة، والى السنة باتهام الشيعة بأن أصل عقائدهم يهودية، والحق إن دور ابن سبأ لا يدل إلا على حجم الدور اليهودي في الدس وإثارة الفتن في التاريخ الإسلامي، الذي اكتوى بناره الشيعة والسنة على سواء ومع ذلك ينقسم المستشرقون إلى فئتين في مسألة ابن سبأ، فئة المؤيدين لوجوده مع بعض الاعتراضات والملاحظات حول دوره في الفتنة وفئة المنكرين لوجوده ودوره، كما سنرى أدناه:

١- فان فلوتن (ت:١٩٠٣): يرى فان فلوتن أن السبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ فهم أنصاره، ويرى إن الأفكار التي جاء بها ابن سبأ قد ظهرت أيام عثمان بن عفان[١٥٤].

٢- رينولد نكلسن (ت:١٩٤٥) يعتبر نكلسن ابن سبأ هو المؤسس للسبئية، وانه يمني، ويعتقد أن ابن سبأ بشّر بالرجعة في مصر بعد أن استقر فيها، وانه هو أول من قال بالوصية، ويبين نكلسن رأيه في دور ابن سبأ في المؤامرة الواسعة النطاق والتي أشاعها ابن سبأ من اجل علي، فدخل في مراسلات سرية مع المتذمرين في مختلف أقاليم الخلافة[١٥٥]. ثم يشير إلى تأثر غلاة الروافض بابن سبأ، وان الأفكار التي جاؤوا بها إنما اقتبسوها من ابن سبأ[١٥٦].

٣- دوايت رونلدسن: يتحدث عن ابن سبأ، مؤكداً ظهوره في خلافة عثمان، وانه قطع البلاد وتنقل في الأمصار يريد إفساد المسلمين، ويؤكد يهوديته أيضاً، وتأليهه لعلي، وإعلانه إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا غاصبين للخلافة، ويشير إلى دوره الرئيسي في المؤامرة التي حيكت في مصر وانتهت إلى المدينة بقتل عثمان، وان ابن سبأ كان مع الركب الذين قدموا المدينة من مصر[١٥٧]. ويتحدث عن ابن سعد وانه لم يشر إلى ابن سبأ إلا إلى كونه احد القراء الذين صحبوا علياً[١٥٨]. وينقل

---

(١٥٤) فان فلوتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية: ٨٠.

(١٥٥) نكلسن، تاريخ الأدب العربي: ٣٢٦، ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي.

(١٥٦) المصدر نفسه: ٣٢٦.

(١٥٧) دوايت، عقيدة الشيعة: ٥٨-٥٩.

(١٥٨) ابن سعد، الطبقات: ١٦٣/٤.

عن مسيرخوند (مؤرخ شيعي) إن الكاهن اليهودي جاء المدينة واسلم وهو يأمل أن يكرمه عثمان ويحترمه، فلما لم يحصل له ما أراد أخذ يتصل بالناقمين عليه، وينكر على عثمان إدارته علنا وبلغ عثمان خبره أخيرا فقال: ومن هذا اليهودي الذي أتحمل منه هذا؟ وأمر بنفيه من المدينة ثم ذهب إلى مصر وصار من المشاغبين العاملين ضد عثمان(١٥٩).

ثم يذكر مفهوم الخلافة الوراثي عند ابن سبأ، فيقول: وجاءت تعاليم ابن سبأ ودعوته في أن علياً بكونه وصي النبي ﷺ انتقل إليه النور الإلهي أو الروح الإلهي الذي يتمكن من توريثه من يشاء(١٦٠).

٤- ليفي ديلافيدا(١٦١)، ذكر ابن سبأ وهو يتحدث عن خلافة علي خلال تحقيقه كتاب انساب الإشراف للبلاذري، واستشكل نصا أورده البلاذري، فيه إشارة إلى نسب ابن سبا العربي، ويرى إن ذلك يتعارض مع الأصل اليهودي له، وهذا الرأي مردود، وهو استنتاج لا مبرر له، فكون ابن سبأ عربياً همدانياً لا يمنع أن يكون من أصل يهودي، وذلك لان اليهودية في اليمن لم تكن قصراً على حمير وإنما تعدتها إلى غيرها، ويعلق الدكتور عبد الرحمن بدوي على ذلك ويقول: وانه لمن العجب حقاً أن يتصور ديلافيدا أن ثم تناقضا بين أن يكون المرء يهوديا، وان يكون من قبيلة عربية(١٦٢) فضلا عن احتمال أن يكون ابن سبأ حبشي النسب، عربياً بالولاء، إذ كان الولاء لقبيلة عربية شائعا في صدر الإسلام كما هو معلوم.

٥- جولد زيهر(١٦٣) (ت:١٩٢١) وهو من المستشرقين الذين يؤكدون وجود ابن سبأ، ولا ينكرون المبادئ التي جاء بها، وهو يذكر إن الاعتقاد بتأليه علي، إنما صاغه في مبدأ الأمر عبد الله بن سبأ ثم انتقل إلى فرق الغلاة الأخرى في العصر العباسي(١٦٤).

---

(١٥٩) دوايت: عقيدة الشيعة: ٥٩.

(١٦٠) المصدر نفسه: ٨٣.

(١٦١) وليفي من كبار الباحثين في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي في جامعة روما، ولد عام ١٨٨٦م.

(١٦٢) عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين: ٣٠/٢.

(١٦٣) مستشرق يهودي مجري شهير له عدة أثار، انتقل إلى سوريا ثم إلى مصر والتقى بمحمد عبدة، أشهر كتبه العقيدة والشريعة.

(١٦٤) جولد زيهر: العقيدة والشريعة: ٢٢٩.

٦- يوليوس فلهاوزن (ت:١٩١٨) وهو من الذين شككوا في رواية الطبري لأحداث عبد الله بن سبأ، نتيجة تجريح كتب المحدثين لسيف بن عمر، راوية الطبري في تلك الأحداث. ولكنه يقول في الوقت نفسه: إن السبئية إنما سموا بذلك من اسم يهودي هو عبد الله بن سبأ، ويقول عندما يتحدث عن يهودية ابن سبأ: إن هذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية، ثم يلوح إلى أن مذهب الشيعة المنسوب إلى ابن سبأ، إنما يرجع إلى اليهودية اقرب من رجوعه إلى الإيرانيين، ثم يذكر الأدلة المعززة لذلك[١٦٥]. ويتحدث عن السبئية وإنهم ازدادوا قوة على يد المختار الثقفي (ت:٦٧) وهؤلاء المختارية كانوا يؤمنون بأفكار ابن سبأ ومنها عقيدة الرجعة[١٦٦]. كما يتحدث عن الهاشمية والكيسانية، ويذكر آن أفكار هؤلاء مأخوذة من السبئية[١٦٧]. والهاشمية أتباع أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، قالوا بانتقال الإمامة من محمد إلى ابنه أبي هاشم، حيث أفضى إليه أسرار العلوم، وقالوا إن لكل ظاهر باطناً، ثم اختلفوا بعد وفاة أبي هاشم إلى خمس فرق[١٦٨]. ويذكر فلهاوزن دور السبئية في الفتنة نقلا عن الطبري فيقول: إنهم أصل الشر والبلاء، وهم قتلة عثمان، وفاتحو باب الفتنة والحرب الأهلية، ومؤسسو حزب الخوارج الثائرين، وهم السبب في قتال المسلمين بعضهم لبعض، وعند حديثه عن (عقيدة تناسخ الأرواح) التي جاء بها ابن سبأ وقال بها أتباعه يقول: إن روح اللّه التي تسري في الأنبياء تنتقل بعد موت كل نبي إلى النبي الذي بعده، وان روح محمد خاصة انتقلت إلى علي وهي باقية في سلالته[١٦٩].

٧- إسرائيل فريد لندر (يهودي ألماني (ت:١٩٢٧)، يتشكك (لندر) في ابن سبأ من خلال إثارة الغبار على روايات الطبري، ثم يميل مرة أخرى إلى وجود ابن سبأ من خلال نص اقتبسه من الجاحظ[١٧٠]. رأى انه اقرب إلى الصواب، وان

---

(١٦٥) فلهاوزن: الخوارج والشيعة: ص؛ وكذلك عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين: ٢٠/٢.

(١٦٦) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية: ٤٧٥.

(١٦٧) المصدر نفسه: ٤٧٧.

(١٦٨) الشهرستاني، الملل والنحل: ٢١٠/١.

(١٦٩) تاريخ الدولة العربية: ٦٤.

(١٧٠) البيان والتبيين: ٨١/٣.

المعلومات التي أوردها تحمل كل علائم الصحة(١٧١)، أما رأيه في روايات الطبري، فيعبر عنه بالقول: إن ابن سبأ ليس إلا شيئاً في نفس سيف بن عمر أراد أن يبعد به شبح الفتنة عن الصحابة، وإنها إنما أتت من يهودي تستر بالإسلام، متابعاً في ذلك رأي فلهاوزن في تحجيم دور ابن سبأ(١٧٢). ثم يعقب على الذين يحاولون أن ينكروا ابن سبأ بما يلي: إذا كان بالإمكان اعتبار سيف مختلقاً في عقيدة ابن سبأ، نتيجة تحيزه، فانه ليس بإمكاننا أن ننكر الأشياء الأخرى الايجابية التي جاء بها سيف مثل: أصله، وحياته، وظهوره بين المسلمين، ونقول إن هذا جاء به من الهوى(١٧٣).

وعن أصل ابن سبأ ونسبه يرى فريد لندر إن سبأ ليس أبا لعبد اللّه وإنما اسم قبيلة، وهي تطلق على كل من يأتي من اليمن، وعبد الله بن سبأ، وابن السوداء شخصية واحدة كما يظهر له(١٧٤). أما عنوان بحثه عن ابن سبأ ووجوده ودوره، فقد سماه: (عبد الله بن سبأ مؤسس الشيعة وأصله اليهودي)، والدس على المسلمين وإثارة الفتنة واضحة من خلال هذا العنوان، الذي يربط بين التشيع واليهودية بأسلوب خبيث.

٨- كايتاني(١٧٥) (ت:١٩٢٦) وهو من المنكرين لوجود ابن سبأ، ومن المهاجمين للطبري وروايته عن سيف إذ يقول: إن زيفها يتبين من عدة أمور.. ويذكر أن الروايات الشامية والمصرية تعطي لإحداث الفتنة في عهد عثمان طابعاً سياسياً وإدارياً واقتصادياً دون أن تتحدث عن الأساس الديني، وان مثل هذه الآراء المتأثرة بالنزعات المسيحية اليهودية الهجينة، لا يمكن أن تحدث في خلافة عثمان(١٧٦). كما يستغرب كايتاني، أن ينسب إلى ابن سبأ من القول بالجزء الإلهي في علي.. ويدعي الدفاع عن أتباع علي فيقول: وكل ما في الأمر إن الجماعة التي شايعت علياً في زمن عثمان جماعة سياسية خالصة(١٧٧). كما ينكر كايتاني إطار المؤامرة السرية المنسوبة إلى ابن سبأ، ويدعي أن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا في

---

(١٧١) فريد لندر، المجلة الآشورية، سنة ١٩٠٩: ٣٢٢.

(١٧٢) المصدر نفسه: ٣١٥.

(١٧٣) فريد لندر، المجلة الآشورية: ١٠ سنة ١٩١٠.

(١٧٤) المصدر نفسه: ٢٠-٢٢.

(١٧٥) مستشرق ايطالي وهو مؤرخ صليبي حاقد على الإسلام وتراثه.

(١٧٦) كايتاني، حوليات الإسلام: ٨/٣٣-٣٥ عن عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين: ٣٦. والغريب إن كايتاني يفترض أن هذه العقائد كلها حدثت في عهد عثمان، ثم يرد فرضه هذا، ولم يراع التدرج في ظهور وبلورة هذه العقائد، إذ أن الرجعة والتأليه وغيرها كانت قد ظهرت في عهد علي وبعد موته.

(١٧٧) المصدر نفسه: ٣١.

العصر العباسي، ثم يقول: ومن المحتمل إن مهيجاً سياسياً من أنصار علي في الفترة ما بين ٣٦-٤٠ هـ، ربما كان اسمه عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء، وقد تحول تلقائياً في الخيال الشعبي إلى مهيج ديني، وآراء السبئية كما تكونت طوال قرن من التطور قد أرجعت إلى السنوات ٣٥-٤٠ بنوع من السبق التاريخي الصارخ[١٧٨]. وهنا نجد التطابق العجيب بين رأي كايتاني ورأى علي الوردي في وعاظ السلاطين، إذ يبدو أن الوردي كان متابعاً متميزاً لكايتاني، ولم يضف من عنده إلا اسم هذا المهيج السياسي، وهو الصحابي عمار بن ياسر.

يتساءل عبد الرحمن بدوي وهو يرد على شكوك كايتاني فيقول: ماذا كان يفعل ابن سبأ إذن في خلافة عثمان؟ وإذا كان له ذلك الدور البارز في خلافة علي القصيرة، أفلا يدل هذا على انه كان له قبل ذلك شأن بين أنصار علي؟ أي أن يكون له دور -ولو خفي- أثناء الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان[١٧٩].

٩- برنارد لويس[١٨٠]: أنكر لويس صراحة وجود ابن سبأ ودوره في أحداث الفتنة، قائلاً إن مسألة ابن سبأ من أصلها لا تعدو أن تكون صورة مثل بها الماضي، وتخيلها محدثو القرن الثاني الهجري من فيض أفكارهم[١٨١]، وهو في ذلك لم يأت بجديد وإنما كان متابعاً ومقلداً من سبقه من المستشرقين أمثال فلهاوزن وفريد لندر، وهو يشير إليهما صراحة في إثبات إن المؤامرة المنسوبة لابن سبأ إنما هي من اختلاق المتأخرين[١٨٢].

ثم يحاول أن يعزز رأيه برفض المستشرق الايطالي كايتاني لفكرة هذه المؤامرة التي تُظهِر أحوال العصر العباسي الأول بجلاء كما يزعم. ولكي يدرك القارئ أمانة

---

(١٧٨) المصدر نفسه: ٢/٣٤.

(١٧٩) المصدر نفسه: ٢/٣٤.

(١٨٠) مستشرق يهودي انكليزي كان من المدافعين عن يهود الدونمة في تركيا محاولاً التقليل من دورهم في إسقاط الخلافة لإبعاد تلك التهمة أو الجريمة عن اليهود ودورهم الخبيث في مصير دولة الخلافة. وكانت كتابات لويس هذه معتمدة لدى الانكليز لتبرير أطماعهم وجرائمهم في بلاد العرب بعد سقوط العثمانيين وبداية عهد الاستعمار، ومنها تهويد فلسطين واغتصابها. وكتابات هذا المستشرق في حقيقتها، دفاعاً عن الصهيونية، وخدمة للمصالح الغربية، واستغفالاً للعرب والمسلمين وتشويهاً للحقيقة التاريخية، لإخفاء الخطر اليهودي والغربي على الإسلام والمسلمين.

(١٨١) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية: ٨٩.

(١٨٢) المصدر نفسه: ٨٦.

هذا المستشرق، لابد من التنبيه إلى أن لويس نقل في كتابه (أصول الإسماعيلية) آراء فريد لندر وكذلك فلهاوزن نقلاً خاطئاً. وأورد رأي كايتاني دون تمحيص[١٨٣].

عبد الله بن سبأ في كتابات المسلمين المعاصرين:

أولاً: ابن سبأ في كتابات المسلمين المعاصرين الشيعة:

إن أبرز من كتب في موضوع ابن سبأ من كتّاب الشيعة المعاصرين هم:

١- الدكتور علي الوردي والدكتور كامل مصطفى الشيبي: لقد تابع علي الوردي بدقة ما قاله المستشرق الايطالي كايتاني في احتمالية وجود مهيج سياسي من أنصار علي في عهد عثمان اسمه ابن السوداء، تحول تلقائياً في الخيال الشعبي إلى مهيج ديني، هذا بالضبط ما قاله كايتاني في حوليات الإسلام[١٨٤]. ثم قام علي الوردي –وبعد نصف قرن– بافتراض إن هذا المهيج السياسي هو عمار بن ياسر، بحجة أصله اليمني وان أمه كانت سوداء (حبشية) وكونه من ابرز المناصرين السياسيين لعلي، فجعل عبد الله بن سبأ هو نفسه عمار بن ياسر، ضارباً عرض الحائط أقوال علماء الرجال والتراجم والحديث والتاريخ من الشيعة والسنة، الذين اجمعوا على إن عبد الله بن سبأ هو غير عمار بن ياسر نسباً وفكراً ودوراً وسلوكاً وديناً، وهذا الاستنتاج والمتابعة لمدرسة الاستشراق الماكر هي اهانة للإسلام ورجاله، واهانة حقيقية للتشيع الأصيل البريء من أفكار ابن سبأ، كما انه يعطي بذلك التفسير، الشرعية والذاتية للأفكار السبئية الغالية في التراث الإسلامي ويبريء الدور اليهودي من دس الغلو في الفكر الإسلامي[١٨٥] وهذا بالضبط ما يريده المستشرقون المغرضون، وهم جالسون ينظرون عن بعد أثر الفتنة الفكرية التي تسببوا فيها بين المسلمين، يقول الوردي: يخيل إلي أن حكاية ابن سبأ من أولها إلى آخرها كانت

---

(١٨٣) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين: ٣٦/٢.

(١٨٤) المصدر نفسه: ٤٦/٨.

(١٨٥) حدثني بعض أصدقاء المرحوم الوردي المقربين، إن الوردي قد أسرهم بأنه قد تراجع عن كثير من آراءه ومتابعاته التاريخية في كتابيه المعروفين: وعاظ السلاطين، ولمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، وانه قد اثبت ذلك في كتاب له، لم ينشر لحد الآن ربما بسبب وفاته، إذ توفي مؤخراً عام ١٩٩٦ رحمه الله.

حكايـة متقنـة الحبك رائعـة التصـوير.. وان ابـن سـبأ لـم يكـن لـه وجـود حقيقـي حتـى يختفي، وانه لم يكن إلا وهماً[١٨٦].

الوردي وفرضية عمار بن ياسر

ويعقد الوردي موازنـة بين ابن سبأ وبين الصحابي عمار بن ياسر، مفترضاً أن احد الرواة ربما سمع قريشاً تلهج بذم ابن السوداء وتشتمه فظن أنها تعنـي شخصاً آخر غير عمار بن ياسر. ومن أوجه التشابه بين الشخصيتين -كما يراها الوردي- ما يأتي:

- كلاهما ذو أصل يمني ويعرف بابن السوداء نسبة إلى أمِّه.
- كلاهما من أنصار علي ومحبيه، ومن محرضي الناس علَى بيعته.
- كلاهما ذهب إلى مصر واخذ يحرض الناس على عثمان.
- ينسب إلى ابن سبأ وعمار قولهما بأن عثمان اخذ الخلافة بغير حق وان صاحبها الشرعي هو علي.
- يشترك الاثنان في عرقلة مساعي الصلح في معركة الجمل.
- قالوا عن ابن سبأ انـه هو المحرك لأبـي ذر فـي دعوتـه الاشـتراكية (كذا) وصلة عمار بأبي ذر وثيقة جداً، ويخيل للوردي إن هذا الكلام الذي قيل لأبـي ذر هو كلام عمار لا كلام ابن سبأ[١٨٧].

ويخلص الوردي من هذا كله، إن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر[١٨٨] اخترعته قريش نكاية بعمار وعلي وإتباعه، فلما قتل عمار في صفين، لم تر قريش فائدة من تكرار قصـة ابـن سبأ فـي هذا الموقف فأهملتها، وصـار المؤرخـون بعدئذ يمهلونها تبعاً لذلك[١٨٩] وللرد علـى هذه الفرضـية المقتبسـة من متابعـة المستشرقين نقول:

١- اجمـع علمـاء التراجم والرجـال الشـيعة والسـنة علـى التمييـز الصـارخ بـين شخصـيتي ابن سبأ وعمار بن ياسر، فبينما الأول يهودي جاء من اليمن وتنقل فـي الأمصـار لإثـارة الفتنـة، اسـمه عبـد ا لله بـن سـبأ ولقبـه ابـن السـوداء، فـان عمـار بـن

---

(١٨٦) وعاظ السلاطين: ٢٧٣، ط. بغداد.

(١٨٧) انظر وعاظ السلاطين: ٢٧٤-٢٧٦.

(١٨٨) المصدر نفسه: ٢٧٨.

(١٨٩) المصدر نفسه: ٢٧٣.

ياسر صحابي جليل ولد بمكة، أبوه من أصل يمني تحالف مع أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وزوجه أمة له اسمها سمية وهي التي أنجبت عماراً، وهو من المسلمين الأوائل ومن كبار الصحابة، وكان أبواه أول شهيدين في الإسلام، وكان مقرباً محبوباً من النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الأربعة بلا استثناء. ولم يسمع في خبر انه كان يلقب بابن السوداء. بل هو لقب ابن سبأ الصريح. وفي المزج بين الشخصيتين وترجمتهما اتهام خطير لعلماء التراجم والرجال والتاريخ الإسلامي، والتشكيك في كل التراث الإسلامي ومسلماته.

٢- لم يكن عمار بن ياسر من محرضي الناس على بيعة علي في عهد عثمان، بل على العكس أرسله عثمان أثناء الفتنة ومجيء الغوغاء إلى المدينة، إلى مصر كممثل شخصي عنه ليبين موقف الخليفة ويهدئ الناس، بعد أن نصحه بعض مستشاريه إن يرسل من يثق بهم إلى الأمصار لإطفاء نار الفتنة، وتلبية بعض المطالب والحقوق التي أثير الناس بسببها[١٩٠]، وهكذا كان دور عمار بن ياسر ممثلاً شخصياً عن الخليفة لإخماد الفتنة، وليس للتحريض على الخليفة كما يخيل للوردي وغيره، وما ينبغي له أن يكون غير ذلك، وهو الصحابي الجليل شهيد الفتنة نفسها التي أشعلها الغلاة. أما ابن سبأ فكان دوره الطبيعي الخفي والعلني هو التحريض على الخليفة وإثارة الفتنة لغاية في نفسه وليس حباً لعلي.

٣- لم ينسب إلى عمار بن ياسر القول، إن عثمان اخذ الخلافة بغير حق، وان صاحبها الشرعي هو علي، بل كان من الصحابة المقربين من عثمان وعلي على السواء، وإنما نشط دوره في عهد علي بسبب الفتنة، وكان من عماله وقواده المعتمدين، وكان يراه أصلح من غيره للتصدي للفتنة وقيادة المسلمين بعد مقتل عثمان، أما ابن سبأ فتنطبق هذه المقولة عليه، لأنه كان يريد بها وبغيرها من سب الصحابة وتأليه علي والوصية له وغيرها من المبادئ السبئية إثارة الفتنة بين المسلمين وليس تأييد فريق دون آخر، كما هو معروف بداهة.

٤- إن قتلة عثمان وعلى رأسهم الغلاة السبئية، هم الذين عرقلوا مساعي الصلح يوم الجمل، ولم يتهم احد عمار بن ياسر أو أمثاله من أنصار علي بذلك، بل المشهور عن سيدنا عمار انه دافع بشدة عن السيدة عائشة وقال أنها زوجة النبي

---

(١٩٠) الطبري: ٣٤١/٤.

في الدنيا والآخرة وأم المؤمنين[١٩١]، كما حزن على مقتل طلحة والزبير وغيرهما من الأبرار الذين أكلتهم الفتنة الدامية بسبب الدور المشبوه لقتلة عثمان من الغوغاء الذين حاصروا المدينة يقودهم ابن سبأ وأعوانه من الغلاة والأعراب والنفعيين والجهلة.

٥- لم تكن لأبي ذر دعوة اشتراكية وكذا عمار، وإنما ذلك من خيالات المستشرقين وأتباعهم من المستغربين، بل إنها فهم خاص وقناعات خاصة، ونوع من الزهد والتقشف الذي جبل عليه سيدنا أبو ذر، وظهر جليا بعد اتساع الدولة والفتوح وانتشار الترف والمال بأيدي المسلمين، وهي ظاهرة طبيعية بعد أن خضع العالم للإسلام، وكانت مبادئ أبي ذر هي الملهم في ذلك التوجه فضلاً عن تعاليم القرآن وهدي النبي ﷺ للزهاد والأولياء والصالحين في العصور التي تلت عصر الصحابة، ولم تصح رواية لقاء ابن سبأ بأبي ذر في الشام وتحريضه له على معاوية، لان بداية ظهور ابن سبأ ودوره كان في الوقت الذي توفي فيه أبو ذر (٣٢ هـ)، كما إن أبا ذر اجلّ من أن يؤثر في أفكاره هذا اليهودي الخبيث، وان هذا الخبر الضعيف المنفرد، هو نوع من التضخيم لدور ابن سبأ، فوجود ابن سبأ ودوره الخبيث لا يعني أن نجعله السبب الأوحد لكلِ ما حدث من فتن وحروب في عهد عثمان وعلي، وإنما كان لابن سبأ دور واضح في إثارة الفتنة، وتضخيم الأخطاء وتحين الفرصة لأضعاف الدولة ونشر الاضطراب، ومن ذلك توهَّم بعض الرواة أن يكون سبب الإشكال بين معاوية وأبي ذر، لقاء مزعوم بين ابن سبأ وأبي ذر وتحريضه على سياسة معاوية، وهو ما لم يصح للأسباب أعلاه، فالنظرة الموضوعية تدعونا للاعتدال وعدم الشطط في تحليل أحداث التاريخ، فالتضخيم كالإنكار كلاهما وهم أن لم يصاحبهما دليل. أما قول الوردي إن عمار هو الذي حرض أبا ذر على نقد معاوية والطعن في سياسته، فهو أمر غير جدير بأخلاق الصحابة، في أن يكون الدافع السياسي أهم من التناصح والإصلاح، ولم يكن عمار أو أبو ذر منافقاً أو باطنيا -حاشاهما- يضمرون غير ما يظهرون، غير مخلصين لخليفتهم، بل لقد اشتهر كلاهما بالشجاعة والصراحة والزهد في الدنيا، ومن اخلص الناس لنصح الخليفة وعماله، بل لقد عامل عثمان كلاً منهما بكل إجلال واحترام حتى في أحرج فترات الاختلاف في الرأي والنصح، كما حدث بين عثمان وأبي ذر، حين رأى زهده وتقشفه ومنهجه الخاص إزاء النظرة إلى الترف والمتاع. فقال له: إن شئت أن تعتزل

---

(١٩١) راجع فصل اغتيال طلحة والزبير.

وتجاورنا في الربذة في ضواحي المدينة، فقال أبو ذر لأميره: سمعاً وطاعة، أما عمار فقد ظل حتى مقتل الخليفة مستشاراً مؤازرا وممثلاً شخصياً عن الخليفة عند ذهابه إلى مصر، وعمل جاهداً مع علي وطلحة والزبير لمحاصرة الفتنة، لكنها كانت اكبر من طاقتهم المحدودة، فانفجرت بمقتل عثمان وتصدع الجبهة الداخلية، ثم تفشي الفرقة والصراع والحروب المؤسفة التي أدت -فيما بعد- إلى مقتل الخليفة الراشد الرابع وظهور السبئية والخوارج كفرقتين من الغلاة تسقي المسلمين السم الزعاف وتثير الحروب والفتن المتفاقمة من جديد.

وعلى العموم فان هذه الآراء التي قال بها الوردي، لا تعدو أن تكون مجرد ظنون وافتراضات كما توحي عباراته نفسه، إذ يقول: أرجح الظن عندي، ويخيل إلي، إن هذا الظن اذهب إليه، وبعض الظن أثم كما نعلم، ويستعمل أيضاً عبارات أخرى مثل: ولعل، وربما والأحرى[١٩٢]، كما إن هذه الآراء لم تكن من بنات أفكاره الشخصية كما يوحي، وإنما هي متابعة لما كتبه المستشرق الايطالي كايتاني، والجدير بالذكر إن المؤرخ الهندي (هدايت حكيم الهي) الأستاذ في جامعة لندن، كان قد سبق الوردي إلى مثل هذه الفروض والخيالات[١٩٣].

أما كامل الشيبي، فكان متابعاً أمينا لهذا الوهم الذي أسر الوردي، ورغم أن الأول يسمي هذه الفرضيات ظنوناً وافتراضات، فان الثاني يلبسها ثوب الحقيقة العلمية فيقول عنها: (إنها أدلة مقنعة ومنطقية)[١٩٤] ويؤكد الشيبي قناعته برأي الوردي محاولاً أن يضيف دليلاً أخر لا يقل وهناً عن أدلة أستاذه، فيقول: يضاف إلى هذه الأدلة كلها دليل لم يلتفت إليه الدكتور الوردي، وذلك إن الطبري في تطرقه إلى حرب الجمل قد عرض لأنصار علي فيها، فكان إذا عددهم وذكر اسم عمار في جملتهم اغفل ذكر ابن السوداء، وإذا ذكر ابن السوداء تغاضى ذكر اسم عمار، مما يرجح إن الرجلين شخص واحد[١٩٥]. وهذا الدليل لا يختلف عن "نكتة جحا"، حين كان جائعاً وقال: هناك وليمة في الحي الفلاني، فلما رأى الناس تذهب إلى هناك وقد صدقته، صدق هو نفسه كذّبته وذهب يبحث عن الطعام. فكأن الشيبي قد صدق أن الطبري هو المصدر الأوحَد لأخبار ابن سبأ، فأصبح يستنتج دليلاً إضافياً من

---

(١٩٢) وعاظ السلاطين: ٢٧٢-٢٧٨.

(١٩٣) مجلة الثقافة الإسلامية: ١٤، بغداد، العدد ١١ سنة ١٣٧٥هـ.

(١٩٤) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع: ٤١.

(١٩٥) المصدر نفسه: ٤٣.

الطبري فقط، وتلك طريقة واهية، تفضحها الروايات المتواترة والكثيرة في كتب الشيعة والسنة عن وجود ابن سبأ ودوره الخبيث، ثم يؤكد الشيبي فيقول: رأينا فيما سبق أن ابن سبأ هو عمار بن ياسر نفسه، وبينا السبب في ذلك(١٩٦).

نؤكد مرة أخرى إن هذا الرأي الذي خلص إليه الوردي وتابعه فيه الشيبي، ترده كتب الجرح والتعديل وكتب الرجال الموثقة عند الشيعة، فهي تذكر عمار بن ياسر ضمن أصحاب علي والرواة عنه، وهو احد الأركان الأربعة عندهم، ثم هي تذكر في موضع آخر ترجمة عبد اللّه بن سبأ في معرض السب واللعنة، فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة(١٩٧)؟. ومما يميز الشخصيتين أيضاً إن عماراً قد بعثه عثمان كممثل عن الخليفة سنة ٣٥هـ إلى مصر، في حين أن ابن سبأ قد تنقل بين الأمصار من اليمن إلى المدينة (الحجاز) ثم البصرة فالكوفة فالشام فمصر، منذ ظهوره على مسرح الأحداث قبل سنة ٣٢هـ وحتى استقراره في مصر سنة ٣٤هـ، ويروي الطبري إن من الذين استمالوا عماراً في مصر قوماً منهم عبد اللّه بن سبأ(١٩٨) فكيف ينسجم مثل هذا الخبر مع فرضية إن الشخصيتين شخصية واحدة؟.

ويروى الطبري ما يؤكد الاحترام والثقة التي يكنها عثمان لعمار حين أرسله مبعوثاً عنه إلى مصر، فيقول: فالفتنة لما هاجت في أقطار الدولة الإسلامية زمن عثمان، جاء رجال إلى عثمان وقالوا له: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر(١٩٩)، فعمار إذن احد الرجال الذين يثق بهم عثمان، فهل يعقل أن نتهم عماراً بان له وجهاً آخر كان يخفيه عن عثمان فيرى عدم أحقيته بالخلافة؟ وان صاحبها الشرعي هو علي؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. ومن هذا الذي ذكرنا أعلاه يظهر واضحاً، إن التشابه في الأصل أو الكنى لا يجعل من الرجلين شخصية واحدة، كما إن الظروف التاريخية والطابع المميز لكل من الشخصيتين لا يسمحان لنا بقبول رأي الوردي والشيبي هذا، وان هذا الفرض هو خروج على الروايات التاريخية المتواترة، وينبغي أن يستند إلى حجج قوية مقنعة، وإلا لتوالت المزاعم والظنون المتخبطة من هذا القبيل. وانه لمن

---

(١٩٦) المصدر نفسه: ٨٨.

(١٩٧) انظر رجال الطوسي: ٤٦-٥١، ورجال الحلي: ٢٥٥-٢٦٩.

(١٩٨) الطبري: ٣٤١/٤.

(١٩٩) الطبري: ٣٤١/٤.

العجب، أن يستحوذ على التاريخ وان تلوى النصوص لتوافق هوى في نفوس أصحابها، بدون أن يكون للتجرد والعقل الموضوعي والحس التاريخي السليم أثر في النتائج التي يطرحها المؤرخ أو الكاتب، فتكون موضع ازدراء وتجنٍ على التاريخ والقائمين عليه.

٢- **عبد الله الفياض:** يشكك هذا الكاتب في وجود ابن سبأ ويقول: يبدو أن ابن سبأ كان شخصية إلى الخيال اقرب منها إلى الحقيقة وان دوره -إن كان له دور- قد بولغ فيه إلى درجة كبيرة لأسباب دينية وسياسية[٢٠٠].

ويعتمد بشكل أساسي في تشكيكه، بالطعن براوية الطبري، سيف بن عمر التميمي، وعدم تعرض ابن سعد والبلاذري لابن سبأ متابعاً في ذلك التشكيك طه حسين ومرتضى العسكري، ويورد التناقض في تاريخ لقاء ابن سبأ بأبي ذر وكلاهما مردود، لان ابن سعد أشار إلى طائفة ابن سبأ وهم السبئية في طبقاته، كما ذكر البلاذري ابن سبأ بشخصه في تاريخه.

أما التناقض في لقاء ابن سبأ بأبي ذر في الشام، فهو وهم وظن فحسب -كما مر سابقاً- وعلى فرض صحة هذا الخبر، فان وفاة أبي ذر كان في عام ٣٢هـ وان ابن سبأ ظهر قبيل هذا التاريخ كداعية إلى مبادئه الخبيثة، بل هناك رواية في الطبري ترجع أول ظهور له سنة ٣٠هـ. أي قبل وفاة أبي ذر بعامين[٢٠١]. وهل يعني بالضرورة عدم ثبوت صحة رواية تاريخية أو خبر معين التشكيك بشخصية تاريخية تواتر العلماء والمؤرخون الشيعة والسنة على تأكيد وجودها ودورها في تلك الحقبة؟.

٣- **مرتضى العسكري:** وهو من أكثر الشيعة المحدثين اهتماماً بمسألة عبد اللّه بن سبأ، وألف في ذلك كتباً يعول عليها الكثير من باحثي الشيعة المحدثين. وتزيد كتابة العسكري حول موضوع ابن سبأ على ستمائة صفحة موزعة في جزئين:

- الجزء الأول: عبد اللّه بن سبأ، بحث حول ما كتبه المؤرخون والمستشرقون ابتداء من القرن الثاني الهجري.

- الجزء الثاني: عبد اللّه بن سبأ وأساطير أخرى.

---

(٢٠٠) عبد الله الفياض، تاريخ الأمامية: ٩٤، ط. بيروت.

(٢٠١) الطبري: ٤/ ٢٨٣-٣٩٨.

يشير العسكري إلى دافع البحث عنده، وهو تجلية التاريخ من الكثير من الروايات المدسوسة الموضوعة، وعلى رأسها روايات سيف بن عمر التميمي، وانه تردد في نشر نتائجه وأخرها سبع سنين، منعه تهيبه إثارة العواطف في الشرق المسلم، لاسيما إن بحثه يهدم الأسس التي بناها أساتذة التاريخ (كذا) ويوضح العسكري، إن الذين يؤمنون بالتاريخ المدون إيمان العجائز لا يمكن أن ينتفعوا بهذا الكتاب[٢٠٢].

ويستفهم العسكري مندهشاً، حول كتابة المؤرخين منذ ألف سنة، وما ينسب إلى ابن سبأ وأتباعه، من إعمال مدهشة خطيرة، فيقول: فمن هو ابن سبأ، ومن هم السبئيون؟ وما هي دعاواه؟ وما هي أهم أعماله؟ ويجيب على ذلك بصيغة التشكيك والتضعيف، تحت عنوان: (منشأ القصة) جمع فيها كتابات المحدثين من مسلمين ومستشرقين، ونقولات المؤرخين وانتهى إلى القول: بأن جميع من نقل قصة ابن سبأ إنما اخذ من معين الطبري، سواء أشار إلى ذلك صراحة، أو في اعتماده من جملة مصادره، أو اخذ عن مصادر أخذت من الطبري[٢٠٣]، وفي قول العسكري هذا جرأة عجيبة على إصدار الأحكام القاطعة دون تمحيص وتثبت. فهل صحيح -مثلاً- أن مصدر هذه القصة هو سيف وحده؟ وهل صحيح إن ابن عساكر -مثلاً- المؤرخ الشهير. وهو ممن نقل عنه العسكري كان أيضاً ضمن (جميع) المؤرخين الذين رووا أخبار ابن سبأ وينتهي سندهم إلى سيف؟ انه لمن المحزن حقاً للعسكري وأنصاره أن نعلم يقيناً، إن سيفاً ليس هو المصدر الوحيد لأخبار عبد اللّه بن سبأ، كما إن ابن عساكر لم تقتصر طرق روايته على سيف، وإنما أورد في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وكلها تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره، هذا عدا روايات من سبق الطبري من الشيعة والسنة الذين ذكروا ابن سبأ ودوره وطائفته كما هو معلوم في كتب التراث والتاريخ الإسلامي. فيروي ابن عساكر من غير طريق سيف عدة روايات صحيحة منها: عن يزيد بن وهب (وهو من اجلّ التابعين (ت:٩٠) عن علي قال: مالي ولهذا الحميت الأسود -يعني عبد اللّه بن سبأ- وكان يقع في أبي بكر وعمر[٢٠٤].

---

(٢٠٢) العسكري، عبد الله بن سبأ، بحث وتدقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون، ط. النجف سنة ١٣٧٥هـ، ج١ التمهيد.

(٢٠٣) المصدر نفسه: ٧-١٦.

(٢٠٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ورقة ١٢٤/ب.

ويروي عن عمار الدهني (وثّقه احمد وابن معين وأبو حاتم، وكان شيعياً (ت:١٣٣) قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن بخيه أتى ابن السوداء وعلي على المنبر. فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على اللّه ورسوله[٢٠٥].

العسكري وفرضية سيف بن عمر

أما في كتابه الثاني: عبد اللّه بن سبأ وأساطير أخرى، فقد جعل العسكري في كتابه هذا قسمين: إبرار الصحابة، والمطعونين في دينهم من الصحابة، ثم تحدث عن سيف متهماً إياه بالتزوير والكذب، يدفعه إلى ذلك، في رأيه:

١- التعصب القبلي بتمجيد العدنانيين على حساب القحطانيين.

٢- كما تدفعه الزندقة إلى التحريف والتشويه[٢٠٦].

إن اتهام العسكري هذا فيه نظر، فان التعصب القبلي وتحيز سيف التميمي، ترده أحوال بني تميم وموقفهم من الفتنة، إذ من المعروف إنهم ممن اعتزل الفتنة مع سيدهم الأحنف بن قيس يوم الجمل، ولم يشترك منهم احد في مقتل عثمان، وانه من الطبيعي أن يأتي سيف بأحداث الفتنة مفصلة من قبيلته وأهله، وبالتالي فهو يشكل مصدراً حيادياً مطلعاً[٢٠٧]، أما العدنانية والقحطانية التي يتمسك بها العسكري وغيره، وكأنها خيوط العنكبوت فهي واهية ومضحكة، فابن سبأ إنما هو يهودي خبيث لا يعتز به فحطاني أو يمني ولا حتى سبئي، لأنه صاحب السيرة الخبيثة السوداء، وفي القحطانيين من الأنصار في المدينة ما يكفيهم فخراً، وأما عدنانية سيف، فهو مسلم أولا وتميمي القبيلة، ولم تشأ قبيلته أن تلوث يدها في أحداث الفتنة التي أدت فيما بعد إلى مقتل عثمان وعلي وغيرهم من الصحابة، كما هو معروف، فكيف يجرؤ العسكري على مثل هذا الشطط، والأدلة الواهنة الواهية واضحة البطلان. يضاف إلى ذلك إن العسكري نفسه جاء على ذكر بعض القبائل العدنانية كعبس، ضمن طوائف المرتدين في عهد أبي بكر، وقد وردوا في رواية سيف[٢٠٨]. أما اتهام سيف بالزندقة، فلا دليل عليه، ويمكن أن نسأل العسكري: كيف يستقيم اتهامه بالزندقة،

---

(٢٠٥) المصدر نفسه، ورقة ١٢٤/ب.

(٢٠٦) العسكري، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ط. بيروت: ٥-٦.

(٢٠٧) انظر يوسف العش، الدولة الأموية: ٩٠.

(٢٠٨) العسكري، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: ١٣.

وهو الذي فضح الزنادقة أمثال عبد اللّه بن سبأ؟. وسنأتي للرد على ذلك بالتفصيل لاحقا.

وتحت عنوان (تصحيف وتحريف) ذكر العسكري عدة أشياء حرفها وحورها سيف -حسب رأيه الخاص-، ومنها تصحيفه عبد اللّه بن وهب السبائي (رأس الخوارج) إلى عبد اللّه بن سبأ[٢٠٩]. وفي فصل (عبد الله بن سبأ في كتب الحديث) نقل العسكري الروايات الواردة في كتب الشيعة عن ابن سبأ، وابتدأها بما كتبه (الكشي) مروية بالسند، مدعياً إن هذه الروايات انتقلت إلى كتب الشيعة عن طريق كتاب (معرفة الناقلين) أو (رجال الكشي) وممن نقل عنه: الطوسي (ت:٤٦٠) وابن طاووس (٦٧٣هـ) والحلي (ت:٧٢٦) وابن داود والعاملي (ت:٤٦٠) والقهبائي[٢١٠].

ثم يتهم الكشي الشيعي، إن كل من جاء بعده من أهل الحديث أخذ ترجمة ابن سبأ عنه، ومنهم: النقرشي والاردبيلي والمجلسي والحر العاملي وابن شهر آشوب وغيرهم من متأخري الشيعة، ومن العجب أن العسكري الذي يشير إلى ذكر ابن سبأ في هذه الكتب الشيعية بأسانيد ليس فيها سيف، يتناقض مع قوله السابق من أن أسطورة ابن سبأ، من اختلاق سيف لا أكثر. بل انه يشير بعد هذه المصادر، إلى ذكر ابن سبأ في كتب الشيعة المعتمدة عندهم أمثال: من لا يحضره الفقيه/ للصدوق (ت:٣٨١) والتهذيب والاستبصار/ للطوسي[٢١١].

أراد العسكري أن يرد على روايات الكشي بقوله: لم يكن يومذاك غلاة ولا عباد صنم في الجزيرة العربية ولم يحرق الإمام أحداً، ويجوز وجود زنادقة أو من ارتد إلى النصرانية قد قتلهم الإمام، ثم أحرق جثتهم خشية أن تتخذ قبورهم وثناً[٢١٢].

ويورد العسكري في فصل (ابن سبأ في كتب أهل المقالات) بعض الروايات من كتاب الفرق من الشيعة والسنة حول ابن سبأ والسبئية. فيعقب على ما ذكره القمي (ت:٣٠١هـ) بقوله: هكذا سرد القمي في كتابه عن السبئية دون أن يذكر سند ما أورده، ولا مصدر ما نقله[٢١٣] هكذا هي لهجة العسكري وأسلوبه في الرد على كل من ذكر ابن سبأ وطائفته، حتى إذا كان من أكابر علماء الشيعة أنفسهم كالكشي

---

(٢٠٩) العسكري، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: ١١١.

(٢١٠) المصدر نفسه: ١٢١.

(٢١١) المصدر نفسه: ١٢٢.

(٢١٢) المصدر نفسه: ١١٧.

(٢١٣) المصدر نفسه: ١٥٥.

والقمي، لأنه أسير فكرة توجب عليه إنكار وجود ابن سبأ بأي ثمن، وفق المنهج العلمي أو المنهج التعسفي، فهو لا يستخدم الإرهاب الفكري مع علماء السنة وعلى رأسهم الطبري فحسب، بل يمارسه بشكل أشد وأنكى مع علماء الشيعة سواء بسواء، وكأن الأمر قضية مسلّم بها قبل البحث فيها وتداولها ودراستها، لأن كايتاني الصليبي ولويس الصهيوني قد قالاها من قبل، وهم رواد البحث العلمي والمنهج العقلي السليم ! وكل من يعارضهم متخلف غير علمي ولا موضوعي لاسيما إذا كان من علماء المسلمين !!.

إن إسناد الخبر أو عدمه عند مرتضى العسكري ليس فيصلاً في قبول الخبر أو رده، فقد رد أخبار الكشي عن ابن سبأ مع أنها مسندة –كما أشرنا– وفضلاً عن ذلك فهو يضعف من شأن هذين المصدرين من مصادر الشيعة بتضعيف مؤلفيهما. فالكشي وان كان ثقة عيناً، فهو يروي عن الضعفاء كثيراً، وله أغلاط كثيرة، كما يقول العسكري(٢١٤) كذلك القمي: فقد سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً(٢١٥). أما النوبختي الرجالي الشيعي الشهير (ت:٣١٠) فقد قال عنه العسكري: انه لم يذكر من أين أخذ ما أورده(٢١٦) ثم يعلق على كتاب الفرق من الشيعة والسنة بقوله: كانت تلك أقوال أهل الملل والنحل، ونسج على منوالهم في الهذر آخرون مثل صاحب البدء والتاريخ(٢١٧) ثم يستطرد في الاستهزاء فيقول: أما مؤلفو كتب الملل والفرق فإنهم تنافسوا في تكثير عدد الفرق في الإسلام كالناووسية والطيارة والممطورة والسبئية والغرابية والمعلومية والمجهولية (كذا) وأمثالها، ويبدو إنهم كتبوا من عند أنفسهم شروحاً عنها، وأراد كل مؤلف أن يبز الآخرين في غريب ما يورد ويشرح، وبذلك جنوا على الإسلام(٢١٨) ويصل به التهكم فيقول: ولو قدر لنا أن نكتب في الفرق لأضفنا إلى ما ذكروا (الفرقة المبتكرية في الإسلام). ثم يقول: إنهم أصحاب كتب الفرق والملل والنحل الذين يخترعون الفرق للمسلمين ويبتكرون لهم من عند أنفسهم

---

(٢١٤) المصدر نفسه: ١٢٣.

(٢١٥) المصدر نفسه: ١٥٥.

(٢١٦) العسكري، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: ١٥٦. وهؤلاء العلماء الشيعة الثلاثة الإعلام (الكشي والقمي والنوبختي) كلهم توفوا قبل الطبري فتأمل!.

(٢١٧) المصدر نفسه: ١٦٥.

(٢١٨) المصدر نفسه: ١٧١.

أخباراً[٢١٩]. ثم ينقل روايات ابن عساكر والذهبي والمقريزي وابن أبي الحديد الأمامي وابن كثير. ثم يروي قائلاً: إن هؤلاء وغير هؤلاء إنما نهلوا من معين سيف بن عمر تارة وأخرى من معين مؤلفي الفرق والملل والنحل[٢٢٠]. فإذا ماذا بقي للعسكري كي يعتمده من أخبار ابنِ سبأ وقد رفض أخبار الرواة، ولم يقنع بما نقله الحفاظ من الثقات، وشنع على كتاب الملل والنحل، ولم ينته إلى ما كتبه علماء الجرح والتعديل وتراجم الرجال، ولم يكتف برد أخبار علماء السنة، بل هاجم ما كتبه فحول علماء الشيعة، فهو كمن ينقد نفسه وفكره ومذهبه، استجابة لأوهام المستشرقين وأتباعهم من المستغربين. لم يبق للعسكري -إذاً- إلا أن يقول بخرافة عبد اللّه بن سبأ وأسطورة السبئية، فيقول: إنما نرى أساطير السبئية شبيهة بأساطير النسناس في تناقل العلماء أخبارها.. ونرى أن النظر فيما ذكروا بدون رد أو نقض، كاف لإدراك اللبيب زيفهما وسخفهما[٢٢١]. وهو يؤكد أكثر من مرة أنه لم يكن لعبد الله بن سبأ وجود في عصري عثمان وعلي البتة، وان الموجود إنما هو عبد اللّه بن وهب السبائي رئيس الخوارج، ولكن سيف صحف واخترع هذه الشخصية الجديدة[٢٢٢] وسنرى أن التشابه في الاسم والدور بين أبن سبأ وابن وهب موجود، مما يوحي إلى الاعتقاد بالعلاقة الوطيدة بين السبئية والخوارج في مبدئهما، والى احتمال أن يكون رأس الخوارج هو نفسه رأس السبئية أو احد أتباعه المقربين. ولكن العسكري يمر بامتحان صعب وأمر عسير حين يواجه مرويات أهل البيت أنفسهم عن ابن سبأ والسبئية وفي كتب الشيعة المعتمدة، فهل يجهز على ما تبقى من معتقده وأتباعه لأئمة أهل البيت أم يجد مخرجاً توفيقياً للخلاص من هذه المرويات، فنسمعه يقول في ذلك: أما الروايات التي رويت في الكتب عن أئمة أهل البيت، وفيها ذكر ابن سبأ، فنقول فيها: إن الروايات لا تصير غير الموجود موجوداً، وقد مر علينا.. أنه لا توجد شخصية باسم عبد اللّه بن سبأ في عصري عثمان وعلي بتاتاً، اللهم إلا عبد اللّه بن وهب السبئي، فما أمكن صدقها من تلكم الروايات على عبد اللّه السبائي جاز صدقها وصحة صدورها منهم، وما لم يكن صدقها على عبد اللّه السبائي بن وهب، فموضوع على الأئمة ومدسوس

---

(٢١٩) المصدر نفسه: ١٧٢.

(٢٢٠) المصدر نفسه: ١٧١.

(٢٢١) المصدر نفسه: ١٨٤.

(٢٢٢) المصدر نفسه: ٢٧٩، ٢٨١.

على علماء الحديث[٢٢٣] هكذا –إذاً– يضرب العسكري عرض الحائط كل ما يروى عن أئمة أهل البيت ولا يوافق هواه، دون الرجوع إلى علماء الرجال والجرح والتعديل ورأى أهل الاختصاص المعتمدين لدى الشيعة، فلا يكتفي بالتشكيك ونقد معتقده، بل يضع آلية للتشكيك في التراث الشيعي بشكل عام إذا لم يتفق مع هواه ووجهته ورأيه الشخصي، إنها الفوضى والانتقائية في التعامل مع النصوص والروايات والتراث عموماً، وهذا هو الهدف الإستشراقي الذي يراد زرعه في عقول المسلمين لإبعادهم عن دينهم وتراثهم وفكرهم المحصن بحفظ اللّه لكتابه العزيز، وحفظ تراثه بجهود العلماء المجاهدين من السنة والشيعة الذين جاهدوا حقباً طويلة في إرساء منهجية مباركة لحفظ الإسلام ديناً وتراثاً ومنهجاً وتاريخاً. ولا يضرهم خيال المغرضين والمخدوعين.

سيف بن عمر مؤرخاً لا محدثاً

سيف بن عمر التميمي (ت:١٧١) العراقي البصري، من إخباريي العصر العباسي الأول، وقد عاش شبابه مع أفول نجم الدولة الأموية في الشام، فكان مؤرخاً ومن علماء السير والمغازي مخضرماً بين العهد الأموي والعباسي، وهو من الرواة البارزين الذين أعتمدهم محمد بن جرير الطبري في تاريخه الشهير، وله مصنفات عديدة منها كتاب الفتوح الكبير والردة، وكتاب الجمل ومسير علي وعائشة الذي اعتمده الطبري في مروياته عن الفتنة ومقتل عثمان والأحداث التي جرت في عهد علي أيضاً، فهو إخباري مؤرخ من الطراز الأول، أما باعه في الحديث فلم يكن بهذا الشأو، فكان ضعيف الضبط والرواية في نقل الحديث النبوي، وهو أمر متوقع، فقلما يستطيع الرواة الجمع بين الحديث والأخبار، لأن الأول بحاجة إلى الضبط والدقة والحذر والأخذ من أهل الحديث، والثاني يحتاج إلى التجميع والمتابعة والنقل بالمعنى والأخذ من عموم الناس ممن شهد الواقعة التاريخية أي شهود العيان أو أبنائهم. ومن هنا يأتي التباين في تقويم رواة الحديث والتاريخ ورأي علماء الرجال والجرح والتعديل في الرواة، وقد وقع بعض المستشرقين وأتباعهم وبعض الشيعة المعاصرين في هذا الخطأ والخلط، للخروج بنتائج لا تتفق مع المنهج العلمي في تقويم الرجال، وأبرزهم على سبيل المثال: طه حسين ومحمود أبو رية ومرتضى العسكري وعبد الحسين

---

(٢٢٣) المصدر نفسه: ٢٨٢.

شرف الدين، فنرى مثلاً احد الكتّاب المعاصرين، يقع في هذا الخطأ المنهجي في كتاب (نصوص الردة في تاريخ الطبري). إذ يقوم بعملية جرد لرواة نصوص الردة في تاريخ الطبري، مستعرضاً رأي علماء الجرح والتعديل المتشددين في تقويم الرجال على أساس رواية الحديث النبوي، فيظهر عنده الكثير من الرواة الضعفاء أو المتهمين بعدم الدقة وضبط الرواية أو التصحيف أو السهو والنسيان والخلط وغير ذلك من مقاييس الرجال والرواة، ومن ذلك يستنتج استنتاجا غريباً لم يقل به أحد من الأولين والآخرين، وهو أن الردة في زمن أبي بكر الصديق ﷺ، لم تكن ردة عن الإسلام أو انحرافاً عن منهجه، وإنما هي ثورة ضد الظلم والانحراف واغتصاب الخلافة (كذا)، وينسى في خضم هذا التحليل، أن القاعدة الصلبة التي بناها النبي ﷺ وأصحابه ممثلة بمثلث: مكة–المدينة–الطائف لم ترتد مع من ارتد من الأعراب، وان المرتدين كان معظمهم من أتباع مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، وكلاهما كان قد ارتد في زمن النبي ﷺ مع بقية الأعراب وأصحاب المصالح الذين ساءهم أن يدفعوا جزءاً من أموالهم إلى الحكومة المركزية في المدينة فرفضوا دفع الزكاة، وقاتلهم الصديق على هذه القضية بالذات، لأن الزكاة أحدى أركان الإسلام والعماد المالي الذي تقوم عليه دولة الإسلام، كما نسي اشتراك علي ﷺ مع بقية الصحابة في قمع هذه الردة التي كانت تهدف إلى القضاء على دولة الإسلام في مهدها بعد وفاة النبي ﷺ، وقد كان مستشاراً أميناً للخليفة الصديق، وكان يقبل منه العطاءات والهدايا وكان من أشهرها قبوله من سبي حروب الردة خولة الحنفية أم ولده محمد بن الحنفية المعروف، وكذلك الصهباء التغلبية في حروب فتح العراق أم ابنه عمر بن علي ورقية بنت علي، وهذه السبايا التي أهديت من الصديق إلى المرتضى، لتدلل على الأخوة والمحبة بينهما، وتدلل أيضاً على شرعية هذه الحروب، بخلاف ما يراه بعض المعاصرين ممن تأثروا بالخبث الإستشراقي وإيحاءاته لإثارة الفتن بين المسلمين، من خلال التشكيك في مسلمات تاريخهم وفي أمانة رواتهم ومؤرخيهم، بعد أن فشلوا في التشكيك في رواة الحديث والعلماء الأوائل. نعود إلى علماء الجرح والتعديل لنرى رأي العلماء في المؤرخ والإخباري سيف بن عمر لنقف على اللبس والخطأ الذي وقع فيه المعاصرون سواء أكان بحسن نية أم بقصد خبيث، أو لمجرد التشكيك ليس إلا.

يقول النسائي (ت:٣٠٣) عن سيف: سيف بن عمر الضبي ضعيف[٢٢٤]. ويقول أبو حاتم الرازي (ت:٢٧٧): متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي[٢٢٥]. وعند ابن معين إن سيفاً ضعيف الحديث، وقال عنه الذهبي: له رواية في الكتب الستة، ضعفه ابن معين وغيره[٢٢٦]. وقال عنه ابن حجر: (سيف بن عمر التميمي ضعيف الحديث)[٢٢٧]. ويقول عنه ابن حبان (ت: ٣٥٢هـ): سيف بن عمر الضبي، من أهل البصرة اتهم بالزندقة يروي الموضوعات عن الإثبات[٢٢٨]، هذا هو سيف بن عمر محدثاً.. فماذا عساه أن يكون إخباريا ومؤرخاً؟ إذاً لا بد لنا من التفريق بين رواية (الحديث) ورواية الإخبار الأخرى، فعلى الأولى تبنى الأحكام وتقام الحدود، فهي تتصل مباشرة بالأصل الثاني من أصول التشريع (السنة النبوية) ومن هنا وجدنا العلماء قد تحرزوا في شروط من تؤخذ عنه الرواية، ويختلف الأمر في رواية الأخبار، فهي وان كانت مهمة، لاسيما أخبار الصحابة والتابعين وأهل بيت النبوة وأبنائهم، إلا أنها لا تتمخض عن أحكام ملزمة، إذ أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه سوى صاحب هذا القبر (قبر النبي ﷺ) كما قال الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ)، ومن هنا فلا بد من مراعاة هذا المقياس وتطبيقه على سيف –وأمثاله من الرواة– محدثاً وإخباريا وهو مقياس متفق عليه بين العلماء من مختلف المذاهب.

نعود إلى كتب الرجال نفسها فنجد الآتي: يقول الذهبي: كان سيف إخباريا عارفاً[٢٢٩]. ويقول ابن حجر: ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ[٢٣٠]. وهكذا يظهر واضحاً لدينا من قول الذهبي وابن حجر ما قصدوه من تضعيفه، وينتهي الضعف والترك المنسوبان إلى سيف، بحملها إلى (الحديث) لا إلى (التاريخ) وهو مجال بحثنا حول شخصية ابن سبأ ودوره الذي يرويه سيف وغيره في كتب التاريخ.

أما اتهام ابن حبان لسيف، فيجيب عنه ابن حجر بقوله: أفحش ابن حبان القول فيه[٢٣١]، وسبب ذلك حرص ابن حبان وغيره من العلماء على رواية الحديث

---

(٢٢٤) الضعفاء والمتروكين، احمد بن شعيب النسائي: ١٤.
(٢٢٥) الجرح والتعديل: ق١/٢/٢٧٨.
(٢٢٦) المصدر نفسه: ق١/٢/٢٧٨، والكاشف: ١/٤١٦.
(٢٢٧) التقريب: ١/٣٤٤.
(٢٢٨) المجروحين: ١/٣٤٥.
(٢٢٩) ميزان الاعتدال: ٢/٢٥٥.
(٢٣٠) تقريب التهذيب: ١/٣٤٤.
(٢٣١) المصدر نفسه: ١/٣٤٤.

وخوفه من الموضوعات، وقد عرف علماء الحديث بالدقة والتشدد لا يبالون الغلظة والفحش في الرواة –أياً ما كانوا– إذا لم يلتزموا بالقواعد والشروط المغلظة في رواية الحديث النبوي، حفاظاً على الحديث النبوي الصحيح واستخراجه من بين الكم الكبير من الروايات المتنوعة والمكررة، وبالعكس فقد كان رواة التاريخ أقل احتياطاً في رواية الحديث من رواة الحديث المتخصصين، انسجاماً مع ما يمليه تخصصهم في الأخبار من المرونة والرواية بالمعنى، فقد كان هدف رواة الحديث اللفظ كما نطق به النبي ﷺ وكان هدف رواة الأخبار الحادثة كما وقعت ورأي شهود العيان بها، ومن هنا كان التمايز بين راوي الحديث والإخباري (راوي التاريخ)، إضافة إلى جهد علماء الجرح والتعديل في تمييز الثقات –سواء رواة الحديث أم التاريخ– عن المدلسين والمحرفين والكذابين، ولكل فرع من فروع هذا العلم الكريم أصوله وقواعده، وعلم الرواية والسند من العلوم التي امتاز بها المسلمون وبهرت الباحثين المعاصرين من مستشرقين وغيرهم، حتى قال أحد المستشرقين عن علم الحديث: لو أراد المسلمون أن يفتخروا بعلم فليفتخروا بعلم الحديث، وهو بحر زاخر استطاع فيه العلماء تدوين آلاف الروايات، وتسجيل ترجمة آلاف الرواة تعود إلى أكثر من خمسة أجيال في صدر الإسلام وحتى العصر العباسي، فكان بحق علم الرواية من أروع ما أنتجه العقل البشري في التاريخ، حتى قال أحد المؤرخين: انك تستطيع أن تتبع حادثة تاريخية في التاريخ الإسلامي قبل أكثر من ألف عام بصورة واضحة وبشكل أدق وأكثر وضوحاً من تتبع حادثة تاريخية حدثت في أوربا في القرون الوسطى وما بعدها، وان أية رواية ضعيفة في كتب الحديث والتاريخ هي أقوى بكثير من نصوص التوراة والإنجيل التي بين أيدينا، إذ أن التوراة والإنجيل قد وصلتنا بدون سند، في حين أن الرواية الضعيفة هي رواية مروية بسند من الرجال يربط بين من دونها وبين العصر الذي قيلت فيه، وإنما وصفت بالضعف لوجود أحد الرجال في سلسلة السند فيه ضعف أي سهو ونسيان وغيرها، فماذا نقول عن الرواية الحسنة والصحيحة وغيرها من مراتب الروايات عند المسلمين، والأمر ينطبق على الرواية التاريخية مثلما ينطبق على الرواية الحديثية، حيث تعقبها العلماء وتعقبوا الرواة الإخباريين مثلما تعقبوا سند الرواية الحديثية والرواة الحديثيين، وإنما جاء الخطأ من الجهل وعدم التمييز بين هذين الميدانين الإسلاميين العملاقين، ومن تقليد المدرسة الإستشراقية الماكرة، التي أسست لأهداف محددة من قبل دول الاستعمار، كان على رأسها خدمة

هذه الدول، وتشكيك المسلمين بدينهم وعقيدتهم وتاريخهم، فيما عدا القلة المنصفة، فيمن شذ منهم عن تلك الأهداف المحددة.

وفي مسألة سيف واتهام العسكري وغيره له بالزندقة اعتماداً على قول أحد المحدثين من علماء الجرح والتعديل، يرده معارضة الذهبي وابن حجر وغيرهما لهذا القول (الفحش)[٢٣٢]، كما يرده اشتغال سيف برواية أحداث الفتنة ودور ابن سبأ ودفاعه عن الصحابة ﷺ وذلك أبعد ما يكون عن أساليب الزنادقة.

لقد كان سيف بن عمر عمدة في التاريخ كما يراه ابن حجر العسقلاني، وإخبارياً عارفاً كما يراه الذهبي وحجة في التاريخ وفيما روى من تفاصيل أحداث الفتنة وما بعدها، كما يراه المعاصرون من الكتاب الإسلاميين ومن المستشرقين المنصفين، ويمكن أن نضيف إلى حجية سيف في التاريخ هذه ما يأتي:-

١- جعله الإمام الطبري مصدراً مهماً في نقل الأخبار، فقد نقل عنه في أحداث الفتنة أكثر مما نقله عن غيره، ثقة به وتوثيقاً له، ولم يعلق الطبري على أخبار سيف بن عمر على عادته في التعليق على الروايات التي قد ينكر بعض ما فيها أو يستبشع خبراً منها، مع أسلوبه في نقل الأخبار الصحيحة والسقيمة، وجعل التبعة على من يقرأ تاريخه مدعماً بالسند، فجاءت روايات سيف عند الطبري خالية من الإشارات -حين يستبشع خبراً، أو ينكر أمراً- كما فعل مع الواقدي (محمد بن عمر. ت:٢٠٧) في حديثه عن أسباب مسير المصريين إلى عثمان[٢٣٣] ولم يكن من ذلك شيء مع روايات سيف بن عمر[٢٣٤].

٢- جعله الذهبي أيضاً أحد المصادر التي اعتمد عليها في كتابه (تاريخ الإسلام)[٢٣٥].

٣- أما ابن كثير فقد رجح وصحح رواية سيف في صفة قتل عثمان[٢٣٦] رغم إيراده أكثر من رواية في ذلك -كما هي عادة ابن كثير- ورغم إن بعض هذه الروايات أقوى سنداً من رواية سيف، التي تحتوي في سندها خليفة بن خياط (أحد شيوخ البخاري).

---

(٢٣٢) أي كأنه من جنس السب واللعن وليس الاتهام.

(٢٣٣) الطبري: ٣٥٦/٤.

(٢٣٤) عبد الله بن سبأ: سليمان بن حمد العودة: ١٠٦.

(٢٣٥) تاريخ الإسلام: ١٥/١.

(٢٣٦) ابن كثير: ٢٠٣/٧.

ومن المفيد أن نذكر إجلال ابن كثير واحترامه لسيف بن عمر فيضيف إلى اسمه عبارة (رحمه اللّه) التي لا يضيفها إلى غيره من كبار العلماء كابن عساكر والطبراني وخليفة بن خياط وأمثالهم، فيقول:

وقال سيف بن عمر التميمي رحمه اللّه.

وقال خليفة بن خياط: حدثنا...

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن محمد.

وروى الحافظ ابن عساكر[٢٣٧].

٤- كون سيف بن عمر من بني تميم، وهم ممن اعتزل الفتنة مع سيدهم الأحنف بن قيس يوم الجمل -كما أشرنا- ولم يشترك أحد منهم في مقتل عثمان، فلا عجب -إذاً- أن يأتي سيف بأحداث الفتنة مفصلة من قبيلته وأهله، وأخيراً فهو يشكل مصدراً حيادياً مطلعاً، مما يؤكد حجيته مؤرخاً ورجلاً عايش شهود عيان من المحايدين.

٥- يقول محب الدين الخطيب، عن سيف: وهو أعرف المؤرخين بتاريخ العراق في ذلك العصر. ثم يقول عنه وعن شيوخه: وهم أعرف الإخباريين بحوادث العراق[٢٣٨].

٦- يدافع الدكتور يوسف العش عن سيف، ويرى أن روايته هي التي تتفق مع الروايات الصحيحة، فيقول: وجملة القول أن سيف بن عمر يأتينا بقصة الفتنة من مصدر حيادي مطلع تتأتى قصته منسجمة مع الروايات الموثوقة، فتدخل في عدادها مفسرة موضحة، مفصلة مقبولة. وباختصار فهي رواية تاريخية بما للكلمة من معنى[٢٣٩].

٧- يقول عنه أحمد راتب عرموش: ويبدو من مراجعة كتب التراجم أن سيفاً لم يكن من رواة الحديث المعتمدين، لكن يجمع واضعوها على أنه عمدة في التاريخ، وانه كان إخباريا عارفاً، وقد اعتمد عليه الطبري كثيراً في تاريخ حوادث صدر الإسلام[٢٤٠].

---

(٢٣٧) المصدر نفسه: ٧/٢٠٢-٢٠٣.

(٢٣٨) هامش العواصم من القواصم، ابن العربي: ١١٥ و ١٥٤.

(٢٣٩) الدولة الأموية، العش: ٩٠.

(٢٤٠) الفتنة ووقعة الجمل: ٢٧.

٨- ويشير الدكتور عمار الطالبي إلى أن سيفاً من أقدم المؤرخين، إذ توفي في عهد الرشيد بعد سنة (١٧٠هـ)، ومن ناحية أخرى فانه من رجال الترمذي (ت:٢٧٩هـ) ولم يناقض في روايته راوياً آخر، ولم يرد عليه أحد من المحدثين أو المؤرخين في خبره الخاص بابن سبأ[٢٤١].

٩- إن المحدثين الذين ضعفوا سيفاً في رواية الحديث، ذكروا ابن سبأ ولم ينكروه، كما حاول أتباع المدرسة الاستشراقية من الكتاب المعاصرين، ومن هؤلاء العلماء: ابن حبان والذهبي وابن حجر.

١٠- وأخيراً، نقول، هل التزم هؤلاء الكتاب المعاصرون الذين تكلموا في سيف، ولم يقبلوا روايته، بالأخذ عن الثقات من الرواة؟.

إن من أبرز من أنكر على سيف بن عمر مروياته وأبرزها روايات ابن سبأ ودوره في الفتنة، وبنا آراءه على أساس ذلك الإنكار: مرتضى العسكري، فقد أخرج لنا كتابين بعنوان (عبد الله بن سبأ..) وثالثاً بعنوان (خمسون ومائة صحابي مختلق) وكل تلك الأشياء والشخصيات الأسطورية المختلقة (كذا) مما صحف فيها سيف بن عمر وحرف كما يقول العسكري[٢٤٢].

ولكن ماذا فعل العسكري بعد اكتشافه لكل تلك الأساطير في تدوين التاريخ الإسلامي؟ إن العسكري وهو يرفض رواية سيف ويتهمه، يأخذ عن أبي مخنف لوط بن يحيى[٢٤٣]. ويأخذ عن نصر بن مزاحم[٢٤٤].

أَفوثق علماء الجرح والتعديل هذين الراويتين في رواية الحديث أم في رواية الأخبار والتاريخ؟

أ- أبو مخنَف في نظر علماء الجرح والتعديل: انه لوط بن يحيى وهو إخباري ضعيف، اتفق علماء الجرح والتعديل على جرحه وتضعيفه، وسئل عنه أبو حاتم الرازي فنفض يده وقال: أحد يسأل عن هذا؟[٢٤٥]. وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال عنه مرة: ليس بشيء، وهو ليس عمدة في التاريخ -كما هو شأن سيف-

---

(٢٤١) أراء الخوارج: ٧٧.

(٢٤٢) العسكري، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: ٧.

(٢٤٣) المصدر نفسه: ٢٧.

(٢٤٤) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٢٤٥) لسان الميزان: ٤/٤٩٢.

بل هو إخباري تالف، لا يوثق به، كما قال ذلك الذهبي وتبعه ابن حجر العسقلاني[٢٤٦].

ب- نصر بن مزاحم في نظر علماء الجرح والتعديل: قال الذهبي: تركوه[٢٤٧]. وقال عنه العجلي: من غلاة الرافضة[٢٤٨]، وقال عنه العقيلي: في حديثه اضطراب وخطأ كثير[٢٤٩] وقال عنه أبو خيثمة: كان كذاباً[٢٥٠]. أما أبو حاتم الرازي ابرز علماء الجرح والتعديل فقال عنه: واهي الحديث، متروك[٢٥١].

جـ- هل احتكر سيف بن عمر قصة ابن سبأ؟: لم تكن أخبار عبد اللّه بن سبأ قصراً على رواية سيف وحده، فابن عساكر -مثلاً- نقل في تاريخه أكثر من رواية عن ابن سبأ لا ينتهي سندها إلى سيف[٢٥٢]، كما روى العديد من علماء الشيعة والسنة قصة ابن سبأ قبل عصر الطبري ومن غير طريق سيف أيضاً -كما أشرنا سابقاً- فالقمي -مثلاً- قال في حديثه عن ابن سبأ: وحكا جماعة من أهل العلم أن عبد اللّه بن سبأ كان يهودياً فأسلم[٢٥٣] وهذا يدل على إن الخبر لم ينفرد به سيف بن عمر، فالقمي لم يذكر أن نقل هذا الخبر عن سيف بل رواه **(جماعة من أهل العلم)** كما جاءت هذه العبارة في حديث ابن حبيب البغدادي عند حديثه عن ابن سبأ والسبئية، فقال: وقال المحققون من أهل السنة إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود[٢٥٤]. وهكذا تتضافر آراء السنة والشيعة على اتفاق جماعة من أهل العلم أقرب ما يوصفون به التحقيق على ذكر ابن سبأ وعدم إنكاره.

٤- محمد حسين كاشف الغطاء: يحاول العلامة كاشف الغطاء تبرئة ساحة الشيعة من عبد اللّه بن سبأ، مدللاً على ذلك بلعن كتب الشيعة له، والبراءة منه. غير انه لم يستطع الإفلات من تأثير الموجة الاستشراقية المعاصرة في التشكيك في

---

(٢٤٦) المصدر نفسه: ٤٩٢/٤. وانظر ميزان الاعتدال: ٤١٩/٣.

(٢٤٧) الذهبي، الميزان: ٢٥٣/٤.

(٢٤٨) لسان الميزان: ١٥٧/٦.

(٢٤٩) ميزان الاعتدال: ٢٥٣/٤.

(٢٥٠) المصدر نفسه: ٢٥٣/٤.

(٢٥١) المصدر نفسه: ٢٥٣/٤.

(٢٥٢) تاريخ دمشق: ١٢٤ب.

(٢٥٣) المقالات والفرق، سعد الأشعري القمي الأمامي: ٢٠.

(٢٥٤) البغدادي، الفرق بين الفرق: ٢٢٥.

دور ابن سبأ في الفتنة، ولم يستبعد أن تكون قصته، وضعها القصاص لشغل أوقات الناس[٢٥٥].

٥- **الدكتور جواد علي:** يقول د. جواد علي انه لا يمكن إنكار وجود ابن سبأ ودوره، رغم الغموض الذي يكتنف شخصيته، ويرى إن رواية الجاحظ (ت:٢٥٥) هي أقدم رواية وردت عن ابن السوداء[٢٥٦].

ويعتبر قصة ابن سبأ مع أبي ذر (في شأن المال) قصة موضوعة، ويعلل جواد علي اهتمام المستشرقين بالكتابة عن ابن سبأ، بأن هناك طائفة منهم كانت على علمها وتدقيقها تتعصب ضد الإسلام، وتتمسك حتى بالتافه من الروايات والأحاديث الموضوعة[٢٥٧]، ثم يعود جواد علي وبسبب الغموض الذي يراه في شخصيته وتضخيم الرواة لدوره في الفتنة، فيقول: إن هذه السبئية اليمنية هي التي دعت الإخباريين إلى خلق أسطورة ابن سبأ، والسبب في ذلك إن هذه المؤامرة سواء كان إفرادها سبئية أم غيرها، فهي لا تعدو أن تكون مجموعة عناصر يدفعها ويحرضها أناس يسعون إلى الفتنة منذ عهد الرسول ﷺ وان مقتل عمر بن الخطاب لم يكن بعيداً عن هذه المؤامرة، كما إن كعب الأحبار كان من أفراد هذه المؤامرة وعلى علم بقتل الخليفة، وان عمر أحس بدور كعب في المؤامرة؟[٢٥٨].

٦- **محمد جواد مغنية:** يتحدث جواد مغنية عن ابن سبأ وطائفته السبئية، على أساس أن ابن سبأ أول من قال بالغلو والحلول، وان الجزء الإلهي الذي حل في علي ينتقل بالتناسخ من إمام إلى إمام.. وان السبئية فرقة ابن سبأ و تأخذ تسميتها من اسمه[٢٥٩].

٧- **السيد عبد الرزاق الحسني:** وهو مؤرخ عراقي معروف، وكاتب معاصر (ت:١٤١٨هـ)، له مؤلفات عديدة، منها موسوعة الوزارات العراقية في العهد الملكي،

---

(٢٥٥) محمد حسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها: ٦١.

(٢٥٦) جواد علي، مجلة المجمع العلمي العراقي: ٦٧. وهذا الرأي يدحضه وجود روايات عن ابن سبأ أقدم من رواية الجاحظ كما أسلفنا.

(٢٥٧) مجلة الرسالة، العدد ٤٧٤: ٤٩٧.

(٢٥٨) المصدر نفسه: ٦١١. وذلك يعني إن د. جواد علي -وهو يعرج على شخصية ابن سبأ ودوره- يعزو أسباب الفتنة ومقتل الخلفاء الراشدين إلى دور الأصابع الخفية من الأعداء، سواء كان ابن سبأ احدهم أم لم يكن، فليس بالضرورة -عنده- ارتباط ذلك التآمر على الإسلام بشخص محدد، وإنما هي مؤامرة قادها الأعداء لبث ونشر الفساد والفرقة وا لتحزب بين المسلمين، لإيقاف زحفه تمهيداً للقضاء عليه.

(٢٥٩) محمد جواد مغنية، مع الشيعة الأمامية: ٤٠.

وهو من المؤيدين لوجود ابن سبأ، مشيراً إلى غلوه ويهوديته ودوره في الفتنة في عهد عثمان وعلي[٢٦٠].

ثانياً: ابن سبأ في كتابات المسلمين المعاصرين السنة:

١- **الدكتور يوسف العش:** يقول الدكتور العش عن رواية سيف بن عمر لأخبار ابن سبأ: إنها رواية تسير في اتجاه واحد مع الروايات الصحيحة الأخرى، وان المنهج التاريخي يقبلها، فهي لا تخالف الإخبار الصحيحة بل تفسر الكثير من النقاط الغامضة التي تشير إليها تلك الروايات.. ويؤكد العش: إن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ ووجد فيه آذاناً صاغية هو مصر.. ويشير إلى وقعة الجمل مؤكداً دور ابن سبأ والجماعة المحيطة به في إشعال فتيلها[٢٦١].

ثم يشير أخيراً إلى الدور الحقيقي للسبئية في الفتنة فيقول: وبعد فينبغي لنا ألا ننسب الفتنة إلى السبئية كاملة، فالسبئية استفادت من واقع واضح وهو وجود طبقة من الناس لا تميز بين الحق والباطل[٢٦٢].

٢- **طه حسين: (ت:١٩٧٢)**[٢٦٣] يتشكك طه حسين في وجود ابن سبأ وتضخيم دوره في الفتنة على طريقة المستشرقين في النفي والإثبات لبث روح الشك في خلد قرائه من العرب المسلمين.

فمرة يقول: إن ابن سبأ استغل الفتنة ولم يثرها[٢٦٤] ثم يقول: انه لا يجد ذكراً لأبن سبأ في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان، مشيراً إلى ابن

---

(٢٦٠) السيد عبد الرزاق الحسني: تعريف الشيعة، النجف، سنة ١٩٢٧.

(٢٦١) يوسف العش، الدولة الأموية: ٥٩، ٩١، ٨٣،٦١.

(٢٦٢) المصدر نفسه: ٩١.

(٢٦٣) عاش د. طه حسين منذ مطلع هذا القرن، مدافعاً عن النظرة الغربية والعلمانية والحضارة الهيلينية والفرعونية كبديل عن الحضارة العربية الإسلامية ، وناقداً ومحارباً للتيار الإسلامي المحافظ في مصر عامة، وفي أروقة الأزهر بشكل اخص، وأكمل دراسته العليا في جامعة السور بون في باريس، وكان ذا حافظة قوية وذكاء حاداً، جعل أساتذته في باريس يتعهدوه بالرعاية، وكان أشهرهم المستشرق اليهودي المعروف مارجليوث: الذي أشار إليه -بعد عودته من دراسته في فرنسا إلى مصر في عقد الثلاثينات من هذا القرن- بنشر كتابه السيئ الصيت (في الشعر الجاهلي) الذي كان يهدف بالدرجة الأولى إلى التشكيك في الإعجاز القرآني بعد تشكيكه بصحة الشعر الجاهلي ، وكان طه حسين قد تزوج من مستشرقة فرنسية تدعى (سوزان) ، وهي التي قدمت له الكثير من التسهيلات ليتربع على عرش الثقافة في مصر حيناً من الدهر.

(٢٦٤) طه حسين، الفتنة الكبرى (عثمان): ١٣٤.

سعد في الطبقات، والبلاذري في الأنساب(٢٦٥). فهو يثبت مرة وينفي أخرى، ويتشكك ثالثة بما لا يدع للقارئ فرصة للقرار على رأي حصين، فنجده مرةٍ يقول: واكبر الظن إن عبد اللّه بن سبأ هذا – إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً – إنما قال ما قال ودعا ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف.

ثم نجد هذا الرجل، يجعل من إغفال المؤرخين له ولأتباعه في أحداث صفين دليلاً على أن أمر ابن سبأ والسبئية إنما كان متكلفاً منحولاً، وانه مخترع، بل يرى إن أحداثه لا تستند إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح(٢٦٦). ثم يقول: إن ابن السوداء لم يكن إلا وهما، وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون.. ثم يقول متفلسفا: فلندع –إذاً– ابن السوداء هذا وأصحابه سواء كان أمرهم وهما خالصاً أم أمراً غير ذي خطر بولغ فيه كيداً للشيعة(٢٦٧). وهو بكل هذا لم يأت بجديد يصلح أن يدرس أو ينقد بل كان مقلداً المستشرقين وعلى رأسهم لويس وكايتاني وإضرابهم، وهو يدعي انه يصل إلى قناعته بعد جهد جهيد ليهديها إلى بني جنسه.

طه حسين والتشكيك بابن سبأ

– إن عدم ذكر ابن سعد والبلاذري (على فرض عدم ذكرهما) لابن سبأ لا يقوم دليلاً على الإنكار أو التشكيك، وهل استوعب هذان المصدران كل أحداث التاريخ الإسلامي في تلك الحقبة، حتى نتشكك أو نتوقف إذا لم يذكرا عن ابن سبأ شيئا؟ ولماذا سياسة التجهيل هذه لبقية مصادر التاريخ؟ والمرور على أهمها وهو الطبري، وكأنه عديم القيمة ساقط الاعتبار؟ وهل يجهل طه حسين إن جزءاً كبيراً من انساب الأشراف للبلاذري لا يزال مخطوطاً؟. ومع كل هذا فان ابن سعد والبلاذري قد ذكرا ابن سبأ وطائفته. فابن سعد أشار إلى ابن سبأ وطائفته السبئية والى أفكاره في عدة روايات –كما اشرنا آنفاً– منها: عن عمرو بن الأصم قال: قيل للحسن بن

(٢٦٥) المصدر نفسه: ١٣٢.

(٢٦٦) طه حسين، علي وبنوه: ٩٠.

(٢٦٧) علي وبنوه: ٩١–٩٣. انظر ترجمة طه حسين وبعض آرائه الشاذة في كتاب السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني ، للأستاذ وليد الاعظمي. وانظر كتاب حصوننا مهددة من داخلها ، للدكتور محمد محمد حسين ، فصل التربية والتعليم.

وانظر كتاب طه حسين وفكره في الميزان للأستاذ أنور الجندي.

علي، إن ناساً من شيعة علي عليه السلام يزعمون انه دابة الأرض وانه سيبعث قبل يوم القيامة، فقال: كذبوا ليس أولئك من شيعته أولئك أعداؤه، لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه، ولا انكحنا نساءه[٢٦٨]. ومعلوم أن فكرة الدابة وعقيدة الرجعة من أفكار ابن سبأ وطائفته.

– أما البلاذري فقد ذكر ابن سبأ مع الغلاة الذين التفوا حول علي في عهده فقال: وأما حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحية بن جوين البجلي العرني وعبد اللّه بن وهب الهمداني فإنهم أتوا علياً عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: أو تفرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت، وكتب كتاباً يقرأ على أتباعه في كل يوم.. وكان عند ابن سبأ منه نسخة حرفها[٢٦٩].

– أما تقول طه حسين وتشكيكه في وجود ابن سبأ لعدم ذكره في أحداث صفين، فيرد عليه الدكتور محمود قاسم فيقول: وهل يقوم نسيان ابن سبأ وطائفته في موقعة صفين دليلاً على إن هذه الطائفة لم توجد في زمن الإمام علي، مع إنها كشفت عن نفسها مرة أخرى بعد مقتل الإمام؟. ثم يقول: أما صمت ابن سبأ بعد العام الأول من خلافة علي، فيمكن تعليله بشفاعة من شفع له بأنه قد تاب من عقيدة تأليه علي[٢٧٠] وسب الشيخين التي عاقبه عليها علي بالنفي إلى المدائن، وأما عودته بعد مقتل الإمام فيمكن تعليله بأن دوره قد حان ببث أفكاره الغالية من جديد بعد مقتل الخليفة الذي عاقبه على الغلو، أما عدم ذكره في صفين، فربما كان في المدائن، وربما وجد انه من الأفضل إلا يظهر في كل فتنة، علماً بان أتباعه كانوا من أقوى الفئات التي أدت إلى قبول الإمام علي بالتحكيم – كما سنرى في دور الخوارج والسبئية في صفين – أما الأستاذ محمود محمد شاكر، الذي كتب عن ابن سبأ اثر صدور كتاب (الفتنة الكبرى) لطه حسين، فقد حمل على أراء طه حسين حول موضوع ابن سبأ، فقال: إن إهمال روايات الطبري، وادعاء عدم ذكر ابن سعد والبلاذري لابن سبأ فيه إيهام شديد ومتعمد، فالطبري ليس من الرواة المتأخرين كما إن سيف بن عمر شيخ شيوخ الطبري كان عمدة التاريخ من المتقدمين، ويرى الأستاذ شاكر: إن هدف طه حسين من إنكاره لعبد اللّه بن سبأ هو أن ينفي عن اليهود

---

(٢٦٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣٩/٣.

(٢٦٩) البلاذري، انساب الأشراف (تحقيق محمد باقر المحمودي) ٣٨٢.

(٢٧٠) انظر فصل عقيدة السبئية.

الشركة في دم عثمان[٢٧١]، ويشير إلى تهافت كتاب الفتنة الكبرى علمياً، والى وضوح الأهواء والرغبات في نفس مؤلفه وينتهي إلى إثبات شخصية ابن سبأ وأحداثه، وان طه حسين حينما ينفي خبره إنما يشتط ويركب مركباً لا يليق بمثله[٢٧٢].

وطه حسين حينما يحاول أن يخفي دور اليهود في الفتنة ومقتل عثمان وعلي، إنما يذكرنا بالمستشرق اليهودي الانكليزي برنارد لويس الذي حاول الدفاع عن يهود الدونمة وإخفاء دورهم في سقوط الدولة العثمانية بعد أن نجحوا في تنحية السلطان عبد الحميد الثاني ونفيه، تمهيداً للتعاون الصهيوني الانكليزي لاغتصاب فلسطين وإنشاء كيانهم الصهيوني المسمى إسرائيل. فهم أصحاب مدرسة واحدة وتوجه واحد خدمة للغرب والصهيونية. ويختم الأستاذ شاكر رده على طه حسين، فيقول عن كتاب طبقات ابن سعد: إن الدكتور طه نفسه يعلم إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ناقص ومؤلف من نسخ مختلفة بعضها تام وبعضها ناقص وبعضها مختصر،.. وإنها اقرب إلى التراجم منها إلى سرد الأحداث[٢٧٣].

إن منهج طه حسين في متابعة المستشرقين لا يختلف عن منهج غيره من المستغربين فهو ناقل عنهم مردد لأقوالهم، فكتابه (في الشعر الجاهلي) ليس إلا سطواً لمقالة للمستشرق (مرجليوت) عنوانها (نشأة الشعر العربي)[٢٧٤]. ولطه حسين سطو آخر في كتابه (مع المتنبي) الذي يقول عنه الأستاذ محمود شاكر: وكتاب (مع المتنبي) هو في الحقيقة، حاشية كبرى على ثلاثة كتب: أولها كتابي، ثم كتاب الأستاذ عزام، ثم كتاب بلاشير عن المتنبي[٢٧٥].

٣- **سعيد الأفغاني:** كتب كتاب (عائشة والسياسة) فعظّم دور ابن سبأ في الفتنة، ونسب إليه كل المؤامرات والفتن والملاحم الواقعة بين الصحابة، ويرى إن هذه المؤامرة المحكمة سهر عليها أبالسة خبيرون، وسددوا خطاها وتعهدوها حتى آتت ثمارها في جميع الأقطار، ولهذا افرد فصلاً بعنوان (ابن سبأ البطل الخفي المخيف). ويبدو التهويل واضحاً عند الأفغاني لشأن ابن سبأ حينما يصفه بأنه رجل على غاية

---

(٢٧١) الرسالة، السنة ١٦-١٩٤٨، العدد ٧٦١: ١٣٤، والعدد ٧٦٣: ١٩٣.

(٢٧٢) الرسالة، العدد ٧٦١: ١٣٧.

(٢٧٣) الرسالة، العدد ٧٦١: ١٣٤.

(٢٧٤) المتنبي، محمود محمد شاكر: ١٢-١٩، مطبعة المدني، ١٩٨٧.

(٢٧٥) المصدر نفسه: ١٠٨.

من الذكاء وصدق الفراسة والنظر البعيد والحيلة الواسعة والنفاذ إلى نفسية الجماهير. ويجزم انه احد أبطال جمعية تلمودية سرية غايتها تقويض الدولة الإسلامية[٢٧٦]. ويكاد يقرر انه كان يعمل لصالح دولة الروم، ويذكر من آثار ابن سبأ على الدولة الإسلامية، ما جنته دولة الروم من مكاسب حينما شغل ابن سبأ –بفتنته– القوى الإسلامية بعضها ببعض فانكسرت شوكتها، وتوقفت حركة الفتح الإسلامي[٢٧٧] ويرى أيضاً من آثار هذه الفتنة أنها قضت على حكومة المدينة وحكومة الخلفاء الراشدين[٢٧٨].

٤- **الدكتور عمار الطالبي:** يرد الدكتور الطالبي على فرضية علي الوردي بان ابن سبأ هو عمار بن ياسر، مشيراً إلى إن الوقائع التاريخية لا تسمح لنا بذلك، إذ أن عثمان لما هاجت الفتنة وعظم شأن السبئية في مصر أرسل عماراً إلى مصر ليستطلع الخبر.. وإذاً فهما شخصان احدهما في مصر والأخر في المدينة، ويشير أن الظروف النفسية أيضاً لا تسمح لنا هي الأخرى بذلك، إذ يلزم من ذلك أن يكون عمار بن ياسر هو الذي أشاع فكرة الوصية والرجعة والمهدية والزندقة، مما لا يستطيع أي مؤرخ أن ينسبه إلى عمار الصحابي الجليل! ليس ذلك فحسب، بل يلزم من التوحيد بين الشخصيتين نسبة اليهودية إلى عمار ﷺ والتي أثبتها قدماء أهل السنة والشيعة لعبد اللّه بن سبأ[٢٧٩].

كما يرد الطالبي على منكري ابن سبأ ومن يقول إن ابن سبأ شخصية وهمية أوجدته الخصومة بين السنة والشيعة[٢٨٠] فيقول: لو كان وضعه من قبل التشنيع على الشيعة فلماذا يترك الشيعة الرد، وهم الذين يترصدون خصومهم؟ لكن لم يكن شيء من هذا، ومن ناحية أخرى، فلم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان له جماعة في البصرة والكوفة ومصر، فهو شخص تحوطه جماعة تجعل من العسير اختراعها من قبل الخصوم.

٥- **الدكتور علي سامي النشار:** يقول عن ابن سبأ بعد استعراض الروايات في كتب السنة والشيعة وتحليلها: أود أن انتهي من كل هذا. وقبل أن نحدد آراء ابن

---

(٢٧٦) سعيد الأفغاني، عائشة والسياسة: ٦٠.

(٢٧٧) المصدر نفسه: ٦٢.

(٢٧٨) المصدر نفسه: ٦٥.

(٢٧٩) عمار الطالبي، أراء الخوارج: ٧٢-٧٤.

(٢٨٠) وهي أيضاً مقولة طه حسين في الفتنة الكبرى (عثمان): ١٤٣، (علي وبنوه):٩٣.

سبأ، إن ابن سبأ يظهر في كتب أهل السنة والجماعة، كما يظهر في كتب الشيعة، كشخصية تاريخية حقيقية[٢٨١]. ثم يلتفت إلى الآراء المشككة أو المؤولة لشخصية ابن سبأ فيميل إليها من باب الاحتمال شأن غيره من المعاصرين المتأثرين بالمستشرقين، فيقول: ومن المحتمل أن تكون شخصية ابن سبأ موضوعة أو أنها رمزت إلى شخصية عمار بن ياسر (كذا)[٢٨٢].

٦- **الدكتور محمود قاسم:** يقول: إن ابن سبأ رسم خطة محكمة ماكرة أفسدت من أمور المسلمين كثيرا، وأدت بالتالي إلى الفتنة السياسية والدينية التي مازالت آثارها ماثلة في مذاهب بعض المتصوفين في الإسلام[٢٨٣] ثم يقول: ونخشى أن يكون هذا الرجل قد حرك من وراء حجاب نفراً ممن أسهموا في الصراع السياسي أيام الحروب في عهد علي، ثم يشير إلى أن تشيع سلمان وأبي ذر وحذيفة بن اليمان في الفترة التي اظهر فيها ابن سبأ دعوته[٢٨٤]. ويرى إن هذا المخطط اليهودي هو الذي ابتدع مشكلات القضاء والقدر والتشبيه والتجسيم والتأويل الباطني لآيات القرآن الكريم[٢٨٥]

٧- **الدكتور عبد الرحمن بدوي:** يبدأ الدكتور بدوي حديثه بوضع احتمال كون ابن سبأ (عالماً يهودياً) كما يؤكد إجماع العلماء على يهودية ابن سبأ، وهو عنده أحد الغلاة الذين نفاهم علي ﷺ إلى ساباط المدائن بعد سنة ٣٧ هـ. وعلى ذلك فان ابن سبأ عنده، شخصية واقعية لا تقبل الجدل[٢٨٦].

٨- **إحسان الهي ظهير:** يؤكد الشيخ إحسان إجماع المؤرخين قاطبة سواء كان الشيعة أو السنة، على أن الذي أضرم الفتنة، وسعى بالفساد في ارض الخلافة وأغرى الناس على عثمان ﷺ هو عبد اللّه بن سبأ وشرذمته.

ويؤكد أن ابن سبأ هو أول من قال بعقيدة: الوصية والرجعة والولاية والإمامة والبداء ونحوها[٢٨٧]. ويقول: لقد أدرك ابن سبأ هو وأصحابه إن خير وسيلة لتحقيق

([٢٨١]) النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢/ ٢٧.

([٢٨٢]) المصدر نفسه: ٢٨/٢.

([٢٨٣]) محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٠٩.

([٢٨٤]) المصدر نفسه: ١٠٩..

([٢٨٥]) المصدر نفسه: ١٠٩.

([٢٨٦]) مذاهب الإسلاميين، د.عبد الرحمن بدوي/ ٢:٣٤.

([٢٨٧]) الشيعة والسنة: ٥٧-٥٦.

أهدافه هي لبوس النفاق والتترس بمبدأ موالاة علي ﷺ وأهل البيت[٢٨٨] وتتصف كتابات إحسان الهي ظهير، بحرصه على إثبات ما يذكره من آراء من كتابات الشيعة أنفسهم، فقد اخذ على نفسه عهداً في كتاباته ألا يذكر شيئاً عن الشيعة إلا من خلال كتبهم[٢٨٩].

٩- **أنور الجندي:** وهو من الكتاب المسلمين المهتمين بدراسة الحركات والدعوات الهدامة القديمة والحديثة، ويعرض أنور الجندي للسبئية كواحدة من هذه المعاول، ويشير إلى ابن سبأ كأحد الرؤوس المدبرة لهذا الضلال، فعبد الله بن سبأ – عنده– واضع جذور الباطنية القديمة[٢٩٠]. ويرى إن المفاهيم الباطنية والشعوبية التي أخذت تتسرب إلى الإسلام، إنما كانت بواسطة تلك الأفكار التي دعا لها ابن سبأ[٢٩١]. وقد تتبع هذا الإعلامي الإسلامي المعروف طه حسين في محاولة إنكاره لعبد الله بن سبأ، مؤكداً ادعاء طه للمنهج العلمي، والمنهج العلمي منه بعيد، ومدللاً على ذلك باعتماده على المصادر الضعيفة أساسا، للتشكيك في قضايا التاريخ الإسلامي، ومعرضاً عن المصادر المهمة الأخرى، ومتابعاً أفكار المستشرقين في التشكيك والطعن في التاريخ الإسلامي[٢٩٢].

١٠- **الدكتور نايف محمود معروف:** يتعرض الدكتور نايف إلى ابن سبأ والسبئية في كتابه الخوارج في العصر ، ثم يخلص إلى النتيجة التالية:

بعد استعراضنا لآراء القدامى والمحدثين من الرواة والباحثين، يمكننا القول إن عبد الله بن سبأ لم يكن وهما ولا أسطورة بل كان شخصية سياسية قوية[٢٩٣] كما يؤكد العلاقة بين السبئية والخوارج، وان أصل نشأتهم يرجع إلى الغلاة الذين حاصروا عثمان وقتلوه، ثم تسللوا إلى جيش الخلافة في عهد علي ثم افترقوا بعد التحكيم في صفين[٢٩٤].

---

(٢٨٨) المصدر نفسه: ١٩.

(٢٨٩) الشيعة والسنة، المقدمة: ١٥.

(٢٩٠) أنور الجندي: الإسلام والدعوات الهدامة: ١٧.

(٢٩١) أنور الجندي: المؤامرة على الإسلام: ٩٠.

(٢٩٢) أنور الجندي: طه حسين وفكره في ميزان الإسلام: ١٧٢.

(٢٩٣) نايف محمود معروف: الخوارج في العصر الأموي، ط. بيروت: ٢٠١.

(٢٩٤) المصدر نفسه: ٣٥.

١١- الدكتور سعدي الهاشمي: يستعرض أقوال العلماء واتفاقهم على وجود ابن سبأ ودوره في الفتنة ويذكر أفكاره وعقائد الغلو التي جاء بها على لسان علماء الجرح والتعديل والمؤرخين وأصحاب المقالات والفرق والملل والنحل والطبقات والأدب وغيرها، ثم يشير إلى أصناف المنكرين من المحدثين، فهم عنده ما بين مستشرق حاقد ومتابع لهم، ومتقرب الزلفى لمدارسهم ومسلم جاهل أو منكر مكابر من بعض شيعة اليوم، وكل هؤلاء قد جانبوا الحق الصريح وتمسكوا بأقوال متناقضة هي أوهى من بيت العنكبوت[٢٩٥]. ويتحدث عن المستشرقين فيقول: أما المستشرقون أنكره بعضهم وقالوا انه شخصية وهمية تخيلها محدثو القرن الثاني[٢٩٦].

ويستفيض الهاشمي في دراسة عقيدة ابن سبأ وضلالاته من كتب الشيعة أيضاً[٢٩٧]. وفي نهاية هذه الدراسة يقول: وبهذه النقول والنصوص الواضحة المنقولة من كتب الشيعة فضلاً عن السنة، تتضح لنا حقيقة شخصية ابن سبأ اليهودي، ومن طعن من الشيعة في ذلك فقد طعن في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين عندهم في هذا اليهودي، ولا يجوز ولا يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول، وكذلك لا يجوز تكذيب المعصوم في معتقد الشيعة كما هو معلوم بداهة[٢٩٨].

١٢- كتاب آخرون:

يرى الدكتور حسن إبراهيم حسن إن ابن سبأ أول من حرض الناس على كره عثمان، وان الأجواء تهيأت له في مصر أكثر من غيرها، ولذلك نشر فيها ما لم يستطع نشره في غيرها واليه ينسب مذهب تناسخ الأرواح[٢٩٩]. كما يرى الدكتور إبراهيم شعوط إن عبد الله بن سبأ هو احد الأسباب الحقيقية للفتنة[٣٠٠].

(٢٩٥) د. سعدي الهاشمي: محاضرات الجامعة الإسلامية، ابن سبأ حقيقة لا خيال: ٢٠١.

(٢٩٦) المصدر نفسه:٢٠١، ثم يورد الهاشمي بعد ذلك أسماء مستشرقين آخرين لم ينكروا ابن سبأ واثبتوا دوره في الصراع السياسي في عهد عثمان وعلي، مثل: داويت، نكلسن، جولد زيهر، فان فلوتن، هوجسن، وغيرهم كما أسلفنا.

(٢٩٧) المصدر نفسه: ٢٠٩.

(٢٩٨) المصدر نفسه: ٢٢٣.

(٢٩٩) تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن، ٣٦٠ و ٣٩٥..

(٣٠٠) إبراهيم شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: ١٥٩.

ويعتبر الأستاذ محب الدين الخطيب (ت:١٣٨٠هـ) ابن سبأ صاحب مدرسة، منهج أصحابها محاربة الإسلام من الخلف، وان ابن سبأ كان يحمل في يده جرثومة الثورة ضد عثمان، وهو يؤكد إن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة[٣٠١]. أما الدكتور عزت عطية فيلخص رأيه في ابن سبأ قائلاً: وعلى أساس ما قدمناه نستطيع الجزم بوجود مبتدع -تظاهر بالتشيع لعلي- اسمه عبد الله بن سبأ واصله من اليمن، وقد نقلت عنه شناعات لم تعهد عن غيره. وقام بنشرها في كثير من الأقطار بكل ما استطاع من حيل، وليس ببعيد كونه يهودياً اندس على الإسلام[٣٠٢].

أما الدكتور عبد الله سلوم السامرائي، فيرى انه سواء صح وجود ابن سبأ في عهد عثمان أو علي أو لم يصح، فالمهم هو صحة وجود الآراء الغالية بغض النظر عن الشخص الذي قال بها سواء ابن سبأ أو غيره[٣٠٣].

ويؤكد الشيخ محمد أبو زهرة يهودية ابن سبأ، ويؤكد مفاسده بين المسلمين، وتدرجه في نشر أفكاره بينهم، متخذاً من التشيع لعلي ﷺ ستاراً يتوارى خلفه[٣٠٤].

---

(٣٠١) محب الدين الخطيب: العواصم من القواصم:١٣٥،١١٢،٦(الهوامش).

(٣٠٢) عطية: البدعة:٧٣.

(٣٠٣) عبد الله السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية:٨٦.

(٣٠٤) محمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية:٦٤.

خلاصة القول في ابن سبأ

يلاحظ أن منكري شخصية ابن سبأ، إنما يرمون إلى نسف أخبار السبئية، قطعاً لما زعم عن صلة بينها وبين التشيع، ورداً على المؤرخين الذين يزعمون أن أصل التشيع مأخوذ عن اليهودية. كما إن هدف المستشرقين في التشكيك في وجود ابن سبأ –رغم إجماع علماء التاريخ والتراث والفرق الشيعة والسنة– إثارة الفتنة بين المسلمين والتشكيك في أسس التراث ومنهجية البحث العلمي لدى المسلمين، والتشكيك في القدرة على تحليل الأحداث والوصول إلى نتائج محددة بشأن التراث الإسلامي عموماً.

والذي يتضح للمتتبع لكتب التراث التي تحدثت عن ابن سبأ، إن سيف بن عمر التميمي ليس هو الراوي الوحيد لأخبار ابن سبأ والسبئية، وان من بين من جاؤوا بخبره كانوا من الشيعة أنفسهم.

ثم إن القول بأن الطبري (ت:٣١٠) هو أول من جاء على ذكر ابن سبأ زعم تخالفه روايات أخرى لمؤرخين تقدموه أو عاصروه، فقد ذكره النسابة ابن حبيب الهاشمي البغدادي (ت:٢٤٥) في كتابه (المحبر)[٣٠٥] كما ذكره الجاحظ (ت:٢٥٥) في كتابه (العصا)، وهذا ابن قتيبة (ت:٢٧٦) يأتي بخبره، ويذكر أن علياً أحرق أصحابه بالنار[٣٠٦] وكذلك الناشئ الأكبر الأمامي (ت:٢٩٣)[٣٠٧].

وقد ذكره سعد الأشعري القمي الأمامي (ت:٣٠١) فقال: وحكى جماعة من أهل العلم[٣٠٨] إن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون(٣٠٧) وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي بمثل ذلك، وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية[٣٠٩].

---

(٣٠٥) ابن حبيب البغدادي: المحبر: ٣٠٨.

(٣٠٦) ابن قتيبة: المعرف: ٦٢٢.

(٣٠٧) مسائل الإمامة: ٢٢.

(٣٠٨) أي قبل الطبري كانت جماعة من أهل العلم في نظر القمي: تحكي عن ابن سبأ وإخباره.

(٣٠٩) القمي، المقالات والفرق: ٢٠.

ووصف النوبختي الأمامي المعروف (ت:٣١٠) ابن سبأ بأنه أول من بدأ الغلو في الأئمة العلويين[٣١٠].

ويروي الكشي الرجالي الأمامي المعروف أيضاً (ت:٣٤٠) عن الإمام محمد الباقر، قال: إن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين ﵇ هو اللّه تعالى.. فبلغ ذلك علياً ﵇ فدعاه وسأله، فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو، وقد القي في روعي أنك أنت اللّه واني نبي.. فاستتابه ثلاثة أيام، فلم يتب فأحرقه بالنار[٣١١]

وبعد ذلك تواترت الأخبار بعد روايات الطبري عن ابن سبأ. فقد ذكره عبد القادر البغدادي (ت:٤٢٩) الذي يقول في أصحابه: ولما أحرق علي قوماً منهم قالوا له: علمنا أنه إله، لأن النار لا يعذب بها إلا اللّه[٣١٢] وأورد اسمه الطوسي الأمامي (ت:٤٦٠) في باب أسماء من روى عن علي ﵇، ثم يخبرنا أنه عاد إلى الكفر بعد أن أظهر الغلو[٣١٣]. ويروي نشوان الحميري (ت:٥٧٣): أخبارا عن عقيدة الغيبة والرجعة لدى السبئية[٣١٤]..

أما ابن أبي الحديد صاحب شرح نهج البلاغة، فيخبرنا عن دور هذا اليهودي، وتصدي أهل البيت له، فيذكر أن الحسن بن محمد بن الحنفية (ت:٩٥) أملى رسالة سماها (رسالة الأرجاء) رد فيها على مزاعم السبئية[٣١٥].

ويضيف المقريزي (ت:٨٤٥) في خططه، إن ابن سبأ زعم أن علياً في السحاب، وان الرعد صوته والبرق سوطه، كما يشير إلى أنه هو الذي أثار الفتنة على عثمان والتي أدت إلى مقتله، وكان له أتباع في مختلف الأمصار الإسلامية[٣١٦]

---

(٣١٠) فرق الشيعة/ النوبختي: ١٩.

(٣١١) رجال الكشي/ الكشي: ٩٨.

(٣١٢) البغدادي/ الفرق بين الفرق: ١٣٣.

(٣١٣) رجال الطوسي، الطوسي:٥١.

(٣١٤) الحور العين/ الحميري: ١٥٤.

(٣١٥) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد، ٢٨/٥،٨/٧.

(٣١٦) خطط المقريزي/ المقريزي: ١٧٥،١٨٢.

وينقل ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢) عن ابن عساكر: أنه كان يهودياً أظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل الشر بينهم[٣١٧].

أما المستشرقون، فرغم أنهم هم الذين أثاروا فتنة التشكيك في ابن سبأ ووجوده، إلا أنهم لم يتفقوا على ذلك، بل كان كثير منهم يؤكد وجوده ودوره في الفتنة، ولم يستطيعوا أن يتجاوزوا أصول البحث العلمي والاستقراء النزيه. فهذا فان فلوتن: يقول إن السبئية هم أنصار عبد الله بن سبأ، الذي كان يرى أحقية علي بالخلافة منذ أيام عثمان، وان أتباعه كانوا يعتقدون أن جزءاً إلهياً تجسد في علي، وانتقل في خلفائه الأئمة من بعده[٣١٨]، ويرى نيكسون، أنه أسس طائفة السبئيين، وكان ينتقل من مكان إلى آخر ليغري المسلمين ويوردهم موارد الضلال والخطأ[٣١٩]. أما رونلدسن فيقول: فقد ظهر منذ زمن خلافة عثمان داعية متنقل اسمه عبد الله بن سبأ، قطع البلاد الإسلامية طولاً وعرضاً يريد إفساد المسلمين[٣٢٠]، ويؤكد موير دور ابن سبأ في الفتنة وقوله بالوصية لعلي[٣٢١].

ومن الباحثين العرب المعاصرين الذين أكدوا دور ابن سبأ في الفتنة ويهوديته وأفكاره وغلوه في تاريخ صدر الإسلام، الأستاذ أحمد أمين، والعلامة الشيعي محسن الأمين فرأى أنه من الغلاة، ومن الخارجين على الإسلام، ولكنه أنكر أنه هو الذي أحدث الوصية بالإمامة لعلي[٣٢٢]. ومن هؤلاء الباحثين أيضاً: حسن إبراهيم حسن[٣٢٣]، وجواد علي ومحيي الدين عبد الحميد[٣٢٤]، وعارف تامر[٣٢٥]، وغيرهم كثير.

وبعد هذا الاستعراض لآراء القدامى والمحدثين من الرواة والباحثين يمكننا القول أن عبد الله بن سبأ كان شخصية سياسية قوية، وانه كان يترأس جمعية

---

(٣١٧) لسان الميزان، ٣،٢٨٩.
(٣١٨) السيادة العربية والشيعة/ فان فلوتن: ٧٩.
(٣١٩) تاريخ الأدب العربي/ نيكلسون: ٥٨.
(٣٢٠) عقيدة الشيعة/ رونلدسن: ٥٨.
(٣٢١) الخليفة/ موير: ٢٢٩.
(٣٢٢) أعيان الشيعة/ محسن الأمين، ١،٤٥-٤٧.
(٣٢٣) زعماء الإسلام/ حسن إبراهيم حسن: ٦٣.
(٣٢٤) مقالات الإسلاميين/ د.عبد الرحمن بدوي: ١١.
(٣٢٥) الإمامة في الإسلام/ عارف تامر: ٦٢، وعارف تامر باحث اسماعيلي درزي.

سياسـية منظمـة تعمـل فـي الخفـاء وفـي العلـن، ونسـبت هـذه الجمعيـة إلـى شـهرة مؤسسـها، فعرفـت بالسـبئية[٣٢٦]. كمـا اسـتوجب أمـر تنظـيم هـذه الجمعيـة أن يكـون لرئيسـها مسـاعدان فـي بواكير عهدها، هما عبد الله بن حرس وابن أسود[٣٢٧] وهذا يشير إلى مرحلة متقدمة في العمل السياسي. فكأنما هؤلاء الثلاثة –أي ابن سبأ وابن حـرس وابـن اسـود– يمثلـون القيـادة السياسـية فـي بعـض الأحـزاب والجمعيـات فـي عصـرنا الحاضـر. كمـا إن وجـود ابـن سـبأ اليهـودي ودوره فـي الفتنـة، لا يـدل –بـأي حال– على انتماء التشيع إلى السبئية أو اليهودية كما يتوهم البعض، فالتشيع لأهل البيت –في الأصل– ظاهرة سياسية للالتفاف حول بعض شخصيات أهل البيت التي كانت تطمح إلى الحكم أو تحاول تصحيح الوضع السياسي بالرجوع إلى الشورى، أما السبئية ودورها فيدل –على عكس ذلك– على الدور اليهودي في تفريق الأمة وإثارة الفتن واستغلال شعار أهل البيت للدس والطعن وهدم الإسلام من الداخل، ويدل على أن الأثر اليهودي في التراث الإسلامي غير قليل مما يتطلب تطهيره منه.

---

(٣٢٦) اللباب، ابن الأثير: ٥٢٧.

(٣٢٧) المقالات والفرق، القمي: ٢٠.

السبئية طائفة واعتقاداً

– نشأة السبئية:

ذكر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) إن فرقة السبئية اظهروا بدعتهم في عهد الإمام علي ﷺ[٣٢٨].

ويقول الاسفرايني (ت:٤٧١هـ) إن ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا إلى إلوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك، فأجابته جماعة إلى ذلك في عهد علي ﷺ.

وعند ابن عساكر روايات تؤكد وجود هذه الفرقة أيام علي ﷺ، فقد ذكر أن علياً حينما أمر بقتل ابن سبأ – لاعتقاده الإلوهية فيه – ثم نزع عن ذلك ونفاه إلى المدائن لمشورة بعض من كان عنده، قامت إليه طائفة السبئية معتقدين بإلوهيته، وكان عددهم أحد عشر رجلاً فأمرهم بالرجوع عن ذلك فلم يرجعوا فأمر بإحراقهم بالنار [٣٢٩].

ويرى المستشرق (فلهاوزن) أن نشأة السبئية ترجع إلى عهد علي وابنه الحسن، مشيراً إلى ما كتبه المستشرق (هوجسن) وهو يعلق على بعض النصوص الواردة في أنساب الأشراف[٣٣٠].

ويؤكد الهيثمي في الصواعق المحرقة هذا الرأي فيقول: ثم اتسع الأمر أيضاً في خلافة علي، فظهر في عهده فرقة السبئية[٣٣١].

وهناك من المؤرخين من يرى أن نشأة السبئية كان بعد عهد علي ﷺ، يقول الشهرستاني (ت:٥٤٨هـ):.. وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد مقتل علي ﷺ واجتمعت عليه جماعة[٣٣٢]. ويذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة الرأي نفسه ويقول: فلما قتل أميرا لمؤمنين عليه السلام أظهر ابن سبأ مقالته وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه[٣٣٣].

---

(٣٢٨) الفرق بين الفرق، البغدادي: ١٥.

(٣٢٩) تاريخ دمشق (مخطوط): ١٢٥،أ.

(٣٣٠) الخوارج والشيعة، فلهاوزن: ١٧٠. ط. الكويت ١٩٧٦.

(٣٣١) الصواعق المحرقة، الهيثمي: ٦.

(٣٣٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ١:١٥٦.

(٣٣٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩٩/٢.

وهناك رأي ثالث عن نشأة السبئية يعود بها إلى عهد عثمان ﷺ، يقول به الدكتور نايف محمود[٣٣٤]، وقبله قال به الدكتور جواد علي، فالسبئية في نظره هي المسئولة عن قتل الخليفة عثمان[٣٣٥].

أما ارتباط السبئية بعبد الله بن سبأ فهو محل إجماع كتب المعارف العامة وأصحاب المقالات وكتب الأنساب، الشيعة والسنة على السواء، على رأسهم الناشئ الأكبر (ت:٢٩٣ هـ)[٣٣٦] والقمي[٣٣٧]. ومن المتأخرين والمعاصرين الشيعة يقول محمد جواد مغنية: (الغلاة أصناف منهم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ[٣٣٨]، أما من أهل السنة، فمنهم ابن حبيب البغدادي في المحبر: عبد الله بن سبأ صاحب السبئية[٣٣٩]. وابن قتيبة[٣٤٠] والخوارزمي[٣٤١]. وفي تاريخ ابن عساكر: عبد الله بن سبأ هو رأس الطائفة السبئية[٣٤٢]، والصفدي[٣٤٣] والمقريزي[٣٤٤] والجرجاني[٣٤٥]

وحتى الذين أطلقوا على السبئية تسمية أخرى، يرجعون بنسبتها إلى عبد الله بن سبأ، فالطيارة التي وصفهم بها (ابن طاهر المقدسي) قدم لها بالقول: وأما السبئية فإنهم يقال لهم الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون، وان موتهم طيران نفوسهم في الغلس.. ثم ذكر عبد الله ابن سبأ زعيماً لهذه الطائفة[٣٤٦].

ويقول ابن كثير: إن ابن سبأ افتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالؤوا على ذلك وتكاتبوا فيه وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان[٣٤٧].

---

(٣٣٤) الخوارج في العصر، الدكتور نايف محمود: ٤١.
(٣٣٥) مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد٦ : ٨٤ و١٠٠.
(٣٣٦) مسائل الإمامة، الناشئ الأكبر: ص٢٢.
(٣٣٧) المقالات والفرق، الأشعري القمي : ٢٠.
(٣٣٨) محمد جواد مغنية: مع الشيعة الأمامية: ٢٠.
(٣٣٩) ابن حبيب البغدادي، المحبر: ٣٠٨.
(٣٤٠) ابن قتيبة الدينوري: المعارف: ٢٦٧.
(٣٤١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم: ٢٢.
(٣٤٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر: ١٢٣،ب.
(٣٤٣) الوافي بالوفيات (مخطوط)، الصفدي، ٢ ،٣٥٣.
(٣٤٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار ٣٥٣/٢.
(٣٤٥) الجرجاني، التعريفات: ٧٩.
(٣٤٦) البدء والتاريخ، المقدسي ١٢٩/١٥.
(٣٤٧) ابن كثير، البداية والنهاية ١٨٣/٧.

ويقول السيوطي: فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكان ذلك مبدأ تآلبهم على عثمان(٣٤٨). ويصف ابن سعد قتلة عثمان، فيقول: ان قتل عثمان كان على يد جماعة اتفقوا على الشر.

ومما تقدم يمكن القول إن أول نشوء السبئية كان قبل خلافة علي ﷺ، وبالتحديد في الفترة الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ وهم الذين كانوا على رأس الغلاة الذين ساهموا في قتل عثمان، وجاءوا من مصر والبصرة والكوفة بعد مراسلات بينهم وبين زعيمهم ابن سبأ الذي كان في مصر. ثم تبلورت أفكارهم وعقائدهم بعد مقتل علي ﷺ، ثم ازدادوا غلواً وشططاً بعد مقتل الحسين وظهور حركة التوابين(٣٤٩)، التي مهدت لظهور المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة في عهد عبد الملك بن مروان، ويؤكد منشأ السبئية في أواخر عهد عثمان ﷺ الطبري، إذ يؤكد في أحداث سنة ٣٥هـ أن ابن سبأ يظهر بوصفه زعيماً لطائفة، يبث دعاته لنشر مذهبهم ويكاتب أهل الأمصار فتستجيب له طوائف منهم ويكاتبونه، وتحاط دعوتهم بالسرية والكتمان، متسترين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعيبون ولاتهم، ويتكاتبون فيما بينهم(٣٥٠).

وينعتهم الذهبي بأنهم رؤوس شر وأهل جفاء، ويسميهم ابن العماد الحنبلي: أنهم أراذل من أوباش القبائل(٣٥١).

وهذه الصفات التي ذكرها العلماء لقتلة عثمان ﷺ تنطبق بشكل تام على السبئية وأنصار ابن سبأ، الذين ذكرهم الطبري صراحة ضمن من حاصر المدينة وشارك في قتل الخليفة، فقال:... ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ويسألون عثمان ﷺ عن أشياء لتطير في الناس، ولتحقد عليه، فتوافوا بالمدينة(٣٥٢).

---

(٣٤٨) حسن المحاضرة،السيوطي،١٦٥/٢.

(٣٤٩) حركة التوابين، ظهرت في الكوفة عقب استشهاد الحسين، بعد ما شعر الكوفيون بالندم وفداحة الخطأ الذي ارتكب بحق الحسين ﷺ وأهل بيته بخذلانه وعدم نصرته ومساعدة عدوه على قتله، فقرروا الانتقام للحسين من أعدائه وخصومه السياسيين.

(٣٥٠) تاريخ الطبري،٤،٣٢٦،٣٢٧،٣٤١.

(٣٥١) انظر طبقات ابن سعد ٧١/٣، دول الإسلام، الذهبي،١٢/١، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٤٠/١.

(٣٥٢) تاريخ الطبري،٤،٣٢٦،٣٢٧،٣٤١.

من هذه الأخبار المتضافرة يتضح أن جذور نشأة السبئية كان في أواخر عهد عثمان ﷺ وهذا لا يمنع القول بأن هذه الطائفة إنما نضجت أفكارها، وباتت – كفرقة– تواجه الناس بمعتقداتها في عهد علي ﷺ وبعد مماته، ولم يعد الأمر مجرد آراء لأبن سبأ يعلنها، ثم يلتف حوله جماعة يقولون بقوله. فقد واجه الإمام علي في عهده مشكلة طائفة السبئية، وهم الذين جاؤوا إليه وقالوا له: أنت الخالق البارئ فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً عظيمة وأحرقهم، وقال مرتجزاً:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجَّجت ناراً ودعوت قنبرا[٣٥٣]

عقيدة السبئية من كتب المتقدمين الشيعة

إن أول النصوص التي أبانت العقيدة السبئية في التراث الإسلامي هي (رسالة الأرجاء) تلك التي كتبها الإمام الحسن بن محمد بن الحنفية (ت:٩٥) حفيد الإمام علي ﷺ، لكي تقرأ على الناس[٣٥٤].

ومما جاء في رسالة الأرجاء:

ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا، إذ يقولون: هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي، ويزعمون أن نبي اللّه كتم تسعة أعشار القرآن، ولو كان نبي اللّه كاتماً شيئاً مما أنزل اللّه، لكتم شأن امرأة زيد: ﴿إذ تقول للذي أنعم اللّه عليه﴾ الآية[٣٥٥] وقوله: ﴿لِمَ تُحرّم ما أحل اللّه لكَ..﴾ . الآية[٣٥٦] وقوله:

﴿لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾[٣٥٧] .

---

(٣٥٣) المطلي: التنبيه والرد: ١٨، الشهرستاني، الملل والنحل، ١٥٥/١.

(٣٥٤) ورسالة هذه ضمنها العدني في كتابه (الإيمان) وقد حفظ لنا (الذهبي) بعضا منها، وقال عن سبب كتابة الحسن لها: (..وذلك إن الخوارج تولت الشيخين، وبرئت من عثمان وعلي، فعارضتهم السبئية، فبرئت من أبي بكر وعمر وعثمان وتولت عليا، فأفرطت فيه، وقالت المرجئة الأولى نتولى الشيخين، ونرجئ عثمان وعلي فلا نتولاهما ولا نتبرأ منهما..) تاريخ الإسلام، الذهبي،٣ /٣٥٨، كما ذكر (ابن حجر) الرسالة وأشار إلى مكان وجودها (تهذيب التهذيب، ابن حجر،٣٢١/٢).

(٣٥٥) سورة الأحزاب:٣٣.

(٣٥٦) سورة التحريم:١.

(٣٥٧) سورة الإسراء: ٧٤.(انظر: كتاب الإيمان، محمد بن يحيى المكي العدني: ٢٤٩،ب، والعدني عالم بالحديث، من شيوخ الإمام مسلم، تولى قضاء عدن، صنف المسند في الحديث، توفي سنة ٢٤٣) (ابن حجر: التقريب، ٢١٨/٢، الزر كلي: الأعلام،٣/٨).

ومن النصوص القديمة أيضاً عن السبئية، ما يروى عن قتادة (ت:١١٨هـ) أنه كان إذا قرأ هذه الآية ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾[٣٥٨]. قال: (إن لم يكونوا الحرورية والسبئية، فلا أدري من هم..) وكان يقول: (..واللّه إن الحرورية لبدعة، وان السبئية لبدعة، ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي[٣٥٩].

ويقول الجرجاني عنهم: (.. ثم السبئية إذ غلت في الكفر، فزعمت أن علياً إله، حتى حرقهم بالنار إنكاراً عليهم واستبصاراً في أمرهم..) وقال عن زعيمهم عبد الله بن سبأ، إنه زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي، فضربه علي ونفاه بعدما كان همَّ به[٣٦٠].

إن هذه المعتقدات السبئية الغالية، وغيرها مما سنذكره، تؤكدها أغلب المصادر الشيعية والسنية الموجودة بين أيدينا -كما مر ذكرها-[٣٦١].

وتأتي عقيدتا (الوصية) و (الرجعة) في مقدمة العقائد التي قال بها ابن سبأ، وأصبحت من عقائد السبئية فيما بعد، ويفسر الأشعري الرجعة عندهم فيقول: والسبئية يقولون بالرجعة وان الأموات يرجعون إلى الدنيا[٣٦٢].

ويوضح (ابن سبأ) عقيدة الرجعة هذه بقوله: (لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال اللّه عز وجل: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد﴾[٣٦٣] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[٣٦٤] (والسبئية يعتقدون برجعة الإمام علي إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وانه سينزل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً[٣٦٥].

---

(٣٥٨) سورة آل عمران:٧.

(٣٥٩) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري٦/١٨٧-١٨٩.

(٣٦٠) الجرجاني: الضعفاء:٣/ب.

(٣٦١) انظر رجال الكشي:١٠٠، وتنقيح المقال،٢ ١٨٣. والتبصر في الدين، الاسفرايني:١٠٨، والفرق بين الفرق، البغدادي: ٢٣٣، والتنبيه والرد، الملطي:١١٨، والملل والنحل، الشهرستاني، ١/١٥٥، وتاريخ دمشق، ١٢٥أ، ولسان الميزان، ٣/٢٠٩، والزينة، الرازي: ٣٠٥. وغيرها من المصادر المعتمدة.

(٣٦٢) مقالات الإسلاميين، بدوي، ١/٦٨.

(٣٦٣) سورة القصص: ٨٥.

(٣٦٤) الطبري: ٣/٣٤٠.

(٣٦٥) العيني، عقد الجمان، ٩/٦٨.

ويقول السكسكي في (البرهان): كان ابن سبأ وفرقته يقولون بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت، وهو أول من قال بذلك(٣٦٦).

ومن مقتضيات عقيدة الرجعة عندهم القول بأن علياً حي لم يمت، والسبئية يعتقدون هذا، ويقولون أن علياً لم يقتل ولم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه، وهذا ما يرويه الأشعري القمي الإمامي في كتابه المقالات والفرق(٣٦٧).

والسبئية تقول في تفسير مقتل علي، إن شيطاناً تصور للناس في صورة علي، ويقولون: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى، كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي(٣٦٨) وهم يعللون اختفاء علي ﷺ (بالغيبة) ولذلك قالوا بغيبته بعد موته. ومن هنا كانوا يعتقدون أن الرعد صوته، وان البرق سوطه، وانه في السحاب، وإذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة مبرقة، قاموا إليها يبتهلون ويتضرعون ويقولون: قد مر علي بنا في السحاب(٣٦٩). وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: وعليك السلام يا أمير المؤمنين !، وفيهم قال الشاعر:

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا علياً   يردون السلام على السحاب(٣٧٠)

ويذكر العلامة الناشئ الأكبر الأمامي في مسائل الإمامة، أن السبئية تزعم أن اللّه عز وجل رفع علياً إليه، كما رفع المسيح، وقالوا: إنما رفعه لغضبه على أهل الأرض إذ خالفوه ولم يطيعوا أمره(٣٧١).

أما (الوصية) فقد وضعها ابن سبأ للسبئية، وكان ابن سبأ يقول وهو في يهوديته في (يوشع بن نون) بعد موسى، مثل ما قال في علي بعد النبي ﷺ كما رواه القمي(٣٧٢).

---

(٣٦٦) السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: ٥٠.
(٣٦٧) انظر القمي/ المقالات والفرق: ١٩-٢١.
(٣٦٨) البغدادي/ الفرق بين الفرق:٢٢٤.
(٣٦٩) الملطي/ التنبيه والرد:١٨.
(٣٧٠) البغدادي/ الفرق بين الفرق:٢٣٤.
(٣٧١) الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة:٢٣.
(٣٧٢) القمي/ المقالات والفرق:٢٠، وانظر الشهرستاني/ الملل والنحل، ١٥٥/١، والرازي: الزينة:٣٠٥.

وينشأ عن القول بالوصية، القول بفرض إمامة الموصى له، وهو ما يؤكده القمي أيضاً، ويقول: إن ابن سبأ هو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي[٣٧٣] وأول من أظهر القول بالنص بإمامة علي[٣٧٤].

كما يروي القمي، أن السبئية هي أول فرقة قالت بالوقف بعد النبي ﷺ في الإسلام، من هذه الأمة[٣٧٥]. وهم يسمون انتظار ظهور الإمام بالتوقف.

([٣٧٣]) القمي/ المقالات والفرق:٢٠، وانظر الزينة في الكلمات الإسلامية: ٣٠٥.

([٣٧٤]) الشهرستاني/ الملل والنحل، ١٥٥/١.

([٣٧٥]) القمي/ المقالات والفرق: ٢٠.

أهم العقائد السبئية المعروفة الأخرى:

1- عقيدة عدم ختم النبوة عند السبئية:

نقل البغدادي عن ابن سبأ زعمه أن علياً كان نبياً[٣٧٦]. ويقول الملطي: والسبئية يزعمون أن علياً شريك النبي ﷺ في النبوة، وان النبي مقدم عليه إذا كان حياً، فلما مات ورث النبوة، فكان نبياً يوحى إليه، ويأتيه جبريل بالرسالة[٣٧٧].

ويروي المامقاني في تنقيح المقال: أن ابن سبأ كان يزعم أن علياً إله وانه نبي[٣٧٨].

وعليه يظهر أن الذين قالوا بجواز النبوة بعد النبي ﷺ وأبطلوا مبدأ ختم النبوة القرآني هم السبئية، ثم انتقلوا إلى القول بإلوهية علي ﷺ.

2- عقيدة سب الصحابة:

ذكر القمي والنوبختي: أن عبد الله بن سبأ كان أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان، والصحابة وتبرأ منهم[٣٧٩]. وتدين السبئية من بعده بهذه العقيدة، كما جاء في العديد من المصادر[٣٨٠].

وذكر ابن حجر إن سويد بن غفلة[٣٨١] دخل على علي في إمارته، فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ. فقال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ اللّه أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيره إلى المدائن، ونهض إلى المنبر، حتى إذا اجتمع الناس، أثنى عليهما خيراً، ثم قال: ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري[٣٨٢]، إلا إن خير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر وعمر[٣٨٣].

---

[٣٧٦] الفرق بين الفرق: ٢٣٣.

[٣٧٧] النبيه والرد: ١٥٨.

[٣٧٨] المامقاني: تنقيح المقال في معرفة الرجال،١٨٣/٢.

[٣٧٩] القمي: المقالات والفرق: ٢٠،النوبختي: فرق الشيعة:٤٤.

[٣٨٠] انظر البلاذري: انساب الأشراف: ٣٨٢، وابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٩٢/٦.

[٣٨١] وهو تابعي ثقة من أتباع الإمام علي ﷺ.

[٣٨٢] لسان الميزان، ٢٩٠/٣.

[٣٨٣] تلخيص الشافي، الطوسي ٢:٤٢٨، وانظر كتاب تثبيت النبوة، عبد الجبار الهمداني.

ويروي الهيثمي: إن السبئية كانوا يسبون أصحاب رسول اللّه ﷺ إلا قليلاً، وينسبونهم إلى الكفر والنفاق ويتبرؤون منهم، ولذا سموا أيضاً (بالتبرئة)(٣٨٤).

3- عقيدة الحلول والتناسخ:

زعم عبد الله بن سبأ لما قتل علي ﷺ، أنه لم يمت وان فيه الجزء الإلهي، كما كان يزعم أن روح اللّه حلت فيه(٣٨٥).

ويقول البغدادي عن عقيدة الحلول عندهم: أما السبئية فإنما دخلت في جملة الحلولية لقولها بأن علياً صار إلهاً بحلول روح اللّه فيه(٣٨٦).

ومن السبئية من يزعم أن روح القدس كانت في النبي ﷺ، كما كانت في عيسى ﷺ، ثم انتقلت إلى علي ثم الحسن ثم إلى الحسين، ثم كذلك في الأئمة(٣٨٧).

وقال آخرون، كما يذكر محمد جواد مغنية: إن السبئية كانت تقول بحلول جزء إلهي في علي، وانه اتحد بجسده، وبه يعلم الغيب(٣٨٨).

وإذا كانت عقيدة الحلول قال بها بعض السبئية، فقد قال بالتناسخ عامة السبئية(٣٨٩).

والتناسخ –عند السبئية– يعني تناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي ﷺ، أو هو انتقال هذا الجزء الإلهي بنوع من التناسخ من إمام إلى إمام(٣٩٠).

---

(٣٨٤) ابن حجر الهيثمي/ الصواعق المحرقة:٦.

(٣٨٥) رجال الكشي: ٩٨. البشبيشي/ الفرق الإسلامية:٢٧،٣٤.

(٣٨٦) البغدادي/ الفرق بين الفرق:٢٤١.

(٣٨٧) المقدسي/ البدء والتاريخ، ١٢٩/٥.

(٣٨٨) محمد جواد مغنية/ مع الشيعة الأمامية: ٤٠.

(٣٨٩) ابن طاهر المقدسي/ البدء والتاريخ، ١٢٩/٥.

(٣٩٠) انظر: محمد جواد مغنية/ مع الشيعة الأمامية: ٤٠، وانظر أيضا الشهرستاني/ الملل والنحل، ١٥٦/١.

4- عقائد أخرى:

ومن عقائد السبئية الأخرى (البداء)، والسبئية يقولون بذلك، زاعمين أن اللّه تبدو له (البداوات) وغير ذلك من العقائد التي لا تليق بالذات الإلهية وتنسب الجهل له، مما استعظمه الملطي وقال: إن هذا الكلام لا أستجيز شرحه في كتاب، ولا أقدم النطق به[٣٩١]. وأول من قال من السبئية بالبداء الكيسانية في زمن المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة. ومن العقائد الأخرى التي مر ذكرها، الغيبة والرجعة وتأليه الأئمة وغيرها.

---

(٣٩١) الملطي/ التنبيه والرد: ١٩.

إحراق الإمام علي للسبئية:

إن خبر إحراق الإمام علي ﷺ لطائفة من السبئية تؤكده الروايات الصحيحة، وكتب المعارف العامة وأصحاب الفرق والمقالات لدى الفريقين الشيعة والسنة على سواء.

فقد جاء في شرح عقائد الصدوق: الحديث عن الغلاة من المتظاهرين بالإسلام الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الآلوهية والنبوة، فحكم فيهم أمير المؤمنين (علي) بالقتل والتحريق بالنار[٣٩٢]. وفي معرفة أخبار الرجال: أن أناساً أتوا علياً وقالوا له: أنت أنت، فقال لهم: إني لست كما قلتم، إنما أنا عبد مخلوق، فأبوا عليه، فقال لهم: إن لم ترجعوا أو تتوبوا لأقتلنكم، فأبوا ذلك، فأمر أن يحفر لهم آبار فحفرت ثم خرق بعضها إلى بعض فقذفهم بها، ثم طم رؤوسها، ثم ألهب النار في بئر ليس فيها أحد، فدخل الدخان عليهم فماتوا[٣٩٣].

ويروي المامقاني في تنقيح المقال: أن علياً حرق عبد الله بن سبأ، في جملة سبعين رجلاً ادعوا فيه الإلوهية والنبوة[٣٩٤].

أما مصادر أهل السنة فتؤكد أيضاً إحراق علي ﷺ لطائفة من السبئية.

جاء في البخاري، عن عكرمة: إن علياً ﷺ حرق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم.. ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ من بدل دينه فاقتلوه[٣٩٥].

وروى أيضاً: أتى علي ﷺ بزنادقة فأحرقهم.. الحديث[٣٩٦].

ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرقه بالنار[٣٩٧].

ويروي ابن حجر إحراق الإمام علي ﷺ طائفة من السبئية بسبب اعتقادهم بإلوهيته فيقول: وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[٣٩٨]. وروى أيضاً حادثة الإحراق أبو داود في سننه، والنسائي والترمذي والطبراني[٣٩٩].

---

(٣٩٢) الشيخ المفيد/ شرح عقائد الصدوق: ٢٥٧.

(٣٩٣) الكشي/ معرفة أخبار الرجال: ٧١.

(٣٩٤) المامقاني/ تنقيح المقال، ١٨٤/٢.

(٣٩٥) صحيح ألبخاري/ ١٢.

(٣٩٦) رواه البخاري ٨/ ٥٠.

(٣٩٧) ميزان الاعتدال/ الذهبي ٢/ ٤٢٦.

كما روى خبر الإحراق (ابن شاهين) بسنده عن الشعبي: أن علياً حرق جماعة من غلاة الروافض ونفى بعضهم، ومن المنفيين عبد الله بن سبأ[٤٠٠].

ويذكر (ابن قتيبة) خبر الإحراق في أكثر من موضع، ففي المعارف: وكان أول من كفر من الرافضة هم السبائية، وقالوا: إن علياً رب العالمين، فأحرق علي أتباع ابن سبأ في النار[٤٠١]. ويقول ابن قتيبة: إن عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي فأحرق علي أصحابه بالنار[٤٠٢]. كما ذكر (الجرجاني) خبر الإحراق هذا في كتابه (الضعفاء)[٤٠٣].

وإذا كان إحراق علي ﷺ لطائفة من السبئية قد ثبت لنا من خلال التواتر والإجماع عند علماء الشيعة والسنة، فان مسألة إحراق ابن سبأ نفسه، مما اختلف فيه، والقول الشائع المشهور هو نفي ابن سبأ دون إحراقه، يروي الأشعري القمي، أن علياً أمر بقتل ابن سبأ بعد أن استتابه فلم يرجع عن كفره، فصاح الناس إليه من كل ناحية: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك، فسيره إلى المدائن[٤٠٤].

غير أن الكشي من المتقدمين والمامقاني من المتأخرين يرويان -كما تقدم- روايات تقول بإحراقه مع طائفته، وهذا يضعفه إجماع العلماء على إحراق بعض طائفته، ونفيه هو إلى المدائن، والأخبار المتضافرة عن دور ابن سبأ بعد وفاة الإمام علي ﷺ، كما روى الناشئ الأكبر الأمامي والبغدادي والمقدسي، وأشهر هذه

([٣٩٨]) لسان الميزان/ ابن حجر ٢٩٠/٣.

([٣٩٩]) انظر سنن أبي داود/١٨٠، وسنن النسائي ١٠٤/٧، وسنن الترمذي٥٩/٤، وفتح الباري ١٧٠/١٢.

([٤٠٠]) منهاج السنة/ ابن تيمية ٧/١.

([٤٠١]) المعارف/ ابن قتيبة الدينوري: ٢٦٧.

([٤٠٢]) تأويل مختلف الحديث/ ابن قتيبة:٧٣.

([٤٠٣]) الضعفاء: ٣/ب.

([٤٠٤]) القمي: المقالات والفرق: وابن عباس هو الذي أشار إلى علي ﷺ بعدم قتل ابن سبأ حينما بلغه عنه غلوه فيه، وأشار عليه بنفيه إلى (المدائن)حتى لا تختلف عليه أصحابه، لا سيما وهو عازم على العود إلى قتال أهل الشام...(البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٢٥). ومن هذا الخبر نستشعر دور الغلاة بين أصحاب الإمام علي ﷺ ، ومدى تدخلهم في أي قرار يحاول الخليفة اتخاذه، وحرج الإمام علي وخوفه من فتنة أتباعه وصعوبة إنفاذ رغبته ورأيه، وهو الذي طالما كان يشكو من جنده وعصيانهم والخروج عليه رضي الله عنه وأرضاه.

الروايات قول ابن سبأ لمن جاءه -وهو في المدائن- ينعى علياً ﷺ: (لو أتيتنا بدماغه في سبعين صرة ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت)[٤٠٥].

ويقول الصفدي (ت: ٧٦٤هـ): فلما قتل علي كرم اللّه وجهه زعم ابن سبأ انه لم يمت لأن فيه جزءاً إلهياً[٤٠٦]. وغيرها من الروايات التي تثبت وجود ابن سبأ بعد موت الإمام علي ﷺ.

نماذج من السبئية في صدر الإسلام

١- كنانة بن بشر التجيبي (ت:٣٦ هـ):

كنانة بن بشر أحد قنائص عبد الله بن سبأ في مصر[٤٠٧]، وكان أحد النفر الذين حاولوا استمالة عمار حين بعثه الخليفة عثمان ﷺ ليتبين حقيقة ما يشاع في أقطار الخلافة من بوادر الفتنة[٤٠٨] وكان أميراً على إحدى الفرق الأربعة التي خرجت من مصر إلى المدينة في شوال سنة ٣٥ هـ[٤٠٩] وكان له دور بارز ضمن من حاصر عثمان في داره، وقد اقتحم الدار وبيده شعلة من نار، ثم دخل الآخرون يحملون الشعل على أثره، حتى اشتعل الخشب والخليفة يقول: ما بعد الحريق شيء[٤١٠].

وأخيراً كان من أبرز من رمى عثمان بالسهام فقتله، حتى قال عبد الرحمن بن الحارث (ت:٤٣هـ): الذي قتل الخليفة كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي[٤١١]، وكانت نهاية كنانة سنة ٣٦ هـ، حينما طلبه معاوية بدم عثمانﷺ، وقبض عليه بمصر، وسجنه مع من سجن بفلسطين فهربوا من السجن، فأدركهم والي فلسطين فقتلهم[٤١٢].

---

(٤٠٥) انظر الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة، القمي:المقالات: ٢١ والبغدادي/ الفرق بين الفرق: وابن طاهر المقدسي/ البدء والتأريخ/١٢٩.

(٤٠٦) الصفدي: الوافي وبالوفيات/٢٠.

(٤٠٧) العواصم من القواصم، محب الدين الخطيب (الهامش): ١١٢.

(٤٠٨) الطبري: ٣٤١/٤.

(٤٠٩) المصدر نفسه ٤/ ٣٤٨.

(٤١٠) المصدر نفسه ٤/ ٣٤٨.

(٤١١) المصدر نفسه، ٣٩٤/٤.

(٤١٢) الزر كلي/ الأعلام/ ٩٤.

٢- عمير بن ضابيء (ت:٨٥هـ).

هو عمير بن ضابيء الحنظلي التميمي، شاعر كوفي[٤١٣]، أشار الطبري وابن الأثير إلى سبئيته، بعد الحديث عن أبيه (ضابيء بن الحارث) وسجن عثمان له وموته في السجن، قالا: (.. فلذلك صار ابنه عمير سبئياً[٤١٤] ويقول عنه (المالقي). (فكذلك صار عمير بن ضابيء سبئياً، والسبئية قوم يسبون عثمان ﷺ وينسبون إلى عبد الله بن سبأ[٤١٥].

وكان عمير هذا أحد النفر الذين أمر الخليفة عثمان ﷺ بتسييرهم من الكوفة وإلحاقهم بمعاوية نتيجة ما أحدثوه في مجلس والي الكوفة من فتنة، أحوجت أهل الكوفة إلى أن يكتبوا إلى عثمان في أمرهم، ولم يجد عثمان بداً من تسييرهم والكتابة إلى معاوية بشأنهم ومما قاله فيهم: (إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة، فراعهم وقم عليهم، فان آنست منهم رشداً فاقبل منهم وان أعيوك فارددهم عليهم[٤١٦] وعن أثر (عمير) في الفتنة ومقتل عثمان، يروى أنه ركب إلى المدينة لقتل عثمان مع جماعته، لكنه نكل عنهم[٤١٧]. ويروى أنه كسر ضلعاً لعثمان بعد مقتله، وهو يقول: سجنت أبي حتى مات في السجن[٤١٨].

وعاش عمير حتى عصر عبد الملك، وكانت نهايته على يد الحجاج، حين دعا الناس لقتال الخوارج، فاعتذر عمير بأنه شيخ كبير، وأراد أن يبعث ابنه مكانه فقال له الحجاج: من أنت؟ قال: عمير بن ضابيء التميمي.. قال: ألست الذي غزا أمير المؤمنين عثمان؟ قال: بلى، قال: وما حملك على ذلك؟ قال: حبس أبي وكان شيخاً كبيراً.. قال: إني لأحسب في قتلك صلاح المصرين، فقتله[٤١٩].

---

(٤١٣) الزر كلي/ الأعلام/ ٢٦٥.

(٤١٤) الطبري ٣/٤، وابن الأثير/ ١٨٣.

(٤١٥) المالقي/ التمهيد والبيان:٦٧.

(٤١٦) المصدر نفسه، الفصل الثالث، وانظر الطبري ٤/ ٣١٨.

(٤١٧) الطبري: ٤٠٣/٤.

(٤١٨) المصدر نفسه ٤/ ٤١٤.

(٤١٩) المصدر نفسه ٢٠٧/٦.

٣- رشيد الهجري (ت:٥٨هـ):

يذكر الناشئ الأكبر الأمامي في (مسائل الإمامة) عن رشيد الهجري خبراً، فيقول: (وروي عن رشيد الهجري -وكان ممن يذهب مذهب السبئية- أنه دخل على علي عليه السلام بعد موته وهو مسجى، فسلم وقال لأصحابه: انه ليفهم الآن الكلام، ويرد السلام، ويتنفس تنفس الحي، ويعرق تحت الدثار الوثير، وانه الإمام الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)[٤٢٠].

ويروي الذهبي عن حبيب بن صهبان، قال: سمعت علياً على المنبر يقول: دابة الأرض تأكل بفيها وتحدث بإستها، فقال رشيد الهجري: أشهد أنك تلك الدابة، فقال له علي قولاً شديداً[٤٢١].

ويقول ابن حبان: كان رشيد يؤمن بالرجعة[٤٢٢] ويروي الشعبي خبر نفي رشيد الهجري موت علي، فيقول: فقيل لرشيد: أما إذا عرفت سر آل محمد، فأدخل وسلم عليه واخرج قال: فدخلت على أمير المؤمنين فأنبأني بأشياء تكون[٤٢٣].

ورشيد هذا واهي الحديث ، وإنما دخل في الإسناد -ضمن من دخل- نتيجة لما جاء به من أخبار، وحدث من أحاديث، ولكن علماء الجرح والتعديل كشفوه ووضعوه ضمن الكذبة والمجروحين، لكي يميزوا مروياته، قال عنه ابن حصين: ليس يساوي حديثه شيئاً[٤٢٤]. وكذا الشعبي فيما نقله العقيلي عنه[٤٢٥]، وقال الجرجاني في رشيد: كذاب غير ثقة[٤٢٦].

٥- المغيرة بن سعيد (ت:١١٩هـ):

هو أبو عبد الله المغيرة بن سعيد الكوفي البجلي ولاء، كان يعتقد بإلوهية علي رضي الله عنه، وقد سأله مرة الأعمش: أكان علي يحيي الموتى؟ فقال: أي والذي نفسي بيده لو شاء أحيا عاداً وثمود[٤٢٧].

---

(٤٢٠) الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة: ٢٣.

(٤٢١) الذهبي/ ميزان الاعتدال/ ٥٢.

(٤٢٢) ابن حبان/ المجروحين ٢٩٨/١.

(٤٢٣) الذهبي/ تذكرة الحفاظ ٨٤/١.

(٤٢٤) ابن حجر/ تعجيل المنفعة: ١٣٠.

(٤٢٥) العقيلي/ الضعفاء:١٢٧.

(٤٢٦) الذهبي/ ميزان الاعتدال/٥١.

(٤٢٧) المصدر نفسه: ١٦١/٤، وانظر ابن حبان: المجروحين ٨١/٣.

ويذكر الشهرستاني وابن حزم غلو المغيرة في علي وتأليهه، وسبه لبقية الصحابة ولعنه الشيخين أبي بكر وعمر[٤٢٨]. ونقل (الزركلي) ان المغيرة كان يقول بتأليه علي وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا نفراً قليلاً[٤٢٩] والى جانب هذا الغلو، فقد ادعى (المغيرة) النبوة وقتل على ادعائها، وكان قد أشعل النيران بالكوفة للتمويه والشعبذة حتى أجابه خلق[٤٣٠] وقد قتل هذا المغالي السبئي سنة (١١٩هـ) على يد خالد القسري، ويروي البغدادي إن خالداً صلب المغيرة وحرق (المغيرية) بالنار[٤٣١].

ويروي ابن عبد ربه عن مقتل المغيرة، فيقول: وكان المغيرة بن سعيد من السبئية الذين احرقهم علي ﷺ بالنار.. وخرج لخالد بن عبد الله القسري، فقتله خالد وصلبه بواسط[٤٣٢] وقال ابن قتيبة عنه: وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبئياً[٤٣٣].

ومن الآثار السيئة التي خلفها المغيرة في التراث الإسلامي انه كان يضع الحديث، ويذكر ابن حبان المغيرة ضمن صنف من المجروحين وهم الزنادقة، فيقول: فأما النوع الأول من أنواع الجرح في الضعفاء، فهم الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر.. وكانوا يدخلون المدن ويتشبهون بأهل العلم ويضعون الحديث على العلماء.. ثم ذكر المغيرة بن سعيد ضمن هذا النوع[٤٣٤].

وقال عنه ابن عدي: لم يكن بالكوفة العن من المغيرة بن سعيد فيما يروى عنه من الزور عن علي، هو دائم الكذب على أهل البيت، ولا اعرف له حديثاً مسندا[٤٣٥]. ومن آثاره السيئة أيضا، انه خلف فرقة نسبت إليه، وهم (المغيرية) الذين قالوا بنبوته، وكان لهم عدد ضخم بالكوفة[٤٣٦].

---

(٤٢٨) انظر الملل والنحل: ١٣/٢، والفصل، ابن حزم: ١٨٤/٤، ولسان الميزان، ابن حجر ٦ /٧٦.

(٤٢٩) الأعلام، الزركلي ٨/ ١٩٩٨.

(٤٣٠) ميزان الاعتدال، الذهبي١٦١/٤.

(٤٣١) انظر المحبر للبغدادي: ٤٨٣ والطبري ١٢٨/٨.

(٤٣٢) ابن عبد ربه/ العقد الفريد ٢/ ٢١٩.

(٤٣٣) ابن قتيبة/ عيون الأخبار/ ١٤٩.

(٤٣٤) ابن حبان/ الجروحين ٦٣/١.

(٤٣٥) الذهبي/ ميزان الاعتدال/ ١٦٢، لسان الميزان ٧٧/٦.

(٤٣٦) ابن حزم/ الفصل ١٨٤/٤.

وقد اشتهر عن الإمام محمد الباقر انه كان يحذر أتباعه منه، لكثرة البدع والعقائد المنحرفة التي قال بها[437]. وقد روى الكشي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (لعن الله المغيرة بن سعيد انه كان يكذب على أبي فأذاقه الله حر الحديد، لعن الله من قال فينا مالا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزلنا عن العبودية لله الذي خلقنا واليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا)[438]. وعن الصادق عليه السلام أيضا قال: (لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة فان المغبر بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحابه أبي أحاديث لم يحدث بها أبي)[439] وقال أيضا: (كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحاب أبي، فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم)[440] وروى الكشي عن الصادق عليه السلام قال: (لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله جاريته اليهودية كان يختلف إليها، يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب علىِ أبي فسلبه الله الإيمان)[441] ونقل الماقعاني عن المغيرة بن سعيد انه قال: (قد دست في أخباركم أخبارا كثيرة تقرب من مائة ألف حديث)[442].

٦- جابر الجعفي (ت:١٢٨هـ):

هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي وكان خليفة المغيرة بن سعيد[443]، بعد أن أحرقه القسري -كما مر- ذكره (ابن حبان) في عداد السبئية، فقال: كان جابر سبئياً من أتباع عبد الله بن سبأ، وكان يقول: إن عليًّا عليه السلام يرجع إلى الدنيا[444].

---

(٤٣٧) انظر الخوني/ معجم رجال الحديث ٢٦٠/١٤، والقرشي/ عيون الأخبار/ ٢٥٠، والشهرستاني/ الملل والنحل ١٢٠/٢.

(٤٣٨) رجال النجاشي: ١٩٥.

(٤٣٩) رجال النجاشي: ١٩٥.

(٤٤٠) رجال النجاشي: ١٩٦.

(٤٤١) رجا النجاشي: ١٩٩.

(٤٤٢) مقدمة تنقيح المقال، الماقعاني: ١٧٤/١، ط. النجف.

(٤٤٣) ابن حزم/ الفصل ١٨٤/٤.

(٤٤٤) المجروحين: ٢٠٨/١.

وروي عن ابن عيينة: إن جابراً الجعفي كان يقول: علي دابة الأرض، وعاب أقوام عليه قوله: حدثني وصي الأوصياء ! فقال سفيان: هذا أهونه[٤٤٥]، وقال أيضاً: جابر الجعفي يؤمن بالرجعة[٤٤٦] كما أورد الإمام مسلم عدة روايات في مقدمة صحيحه تؤكد عقيدة الرجعة عند الجعفي[٤٤٧]. وكان هذا السبئي، فضلاً عن اعتقاده أن علياً دابة الأرض واعتقاده بالوصية والرجعة، يشتم أصحاب النبي ﷺ[٤٤٨].

وقال عنه الإمام أبو حنيفة: ما لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي، ما أتيته بشيء قط من رأي إلا جاءني فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث عن رسول اللّه ﷺ لم ينطق بها[٤٤٩]. وقال عنه الحر العاملي: (روى سبعين الف حديث عن الباقر عليه السلام وروى مئة وأربعين ألف حديث، والظاهر انه ما روى احد بطريق المشافهة عن الأئمة عليهم السلام أكثر مما روى جابر)[٤٥٠].

ويروي الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مليح قال: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر الباقر عن النبي ﷺ كلها[٤٥١].

كما وضعه (ابن حبان) ضمن أنواع المجروحين، حينما عده من المبتدعة الذين يدعون الناس إلى بدعهم[٤٥٢]، ويقول عنه ابن سعد: كان يدلس وكان ضعيفاً في رأيه ورؤيته[٤٥٣]. وقال عنه النسائي وغيره: متروك لا يكتب حديثه ولا كرامة[٤٥٤]، وقال سفيان الثوري: كنت إذا مررت بجابر الجعفي، سألت ربي العافية[٤٥٥]. ومما يميز جابر بن يزيد انه أكثر من روى الأحاديث التي تطعن في القرآن الكريم والتشكيك به وتحريفه في كتب الحديث المشهور عن الشعة. وروى

(٤٤٥) ميزان الاعتدال/ الذهبي ٣٨٤/١.
(٤٤٦) المجروحين: ٢٠٩/١.
(٤٤٧) صحيح مسلم/ شرح النووي ١ /١٠٢.
(٤٤٨) ابن حجر العسقلاني/ التهذيب ٤٩/٢.
(٤٤٩) المجروجين: ٢٠٩/١.
(٤٥٠) خاتمة وسائل الشيعة/ الحر العاملي، ١٥١.
(٤٥١) صحيح مسلم/ شرح النووي ١٠٢/١.
(٤٥٢) المجروجين: ٨٢/١.
(٤٥٣) ابن حجر/ تهذيب التهذيب ٤٩/٢.
(٤٥٤) ميزان الاعتدال ٢٨٠/١.
(٤٥٥) ميزان الاعتدال ٢٨٠/١.

الكشي إن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام عن أحاديث جابر؟ فقال: ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة، وما دخل علي قط)[٤٥٦]. وقال عنه السيد هاشم معروف الحسيني: إن جابر الجعفي من المتهمين عند أكثر المؤلفين في علم الرجال)[٤٥٧].

كان هذا السبئي يروي الموضوعات والغرائب التي أصبحت وبالاً على الأمة فيما بعد، ومهدت رواياته وروايات أصحابه إلى تفشي البدع والعقائد المنحرفة، في التراث الإسلامي مما شجع من جاء بعدهم من أصحاب الملل والنحل الغالية إلى الاستقاء من هذه البدع والمنكرات التي تخيلها هؤلاء الغلاة، فكانت الزاد الوافي والمنهل الخصب لابتداع عقائد ومنكرات لا تقل خطورة عن سابقتها، تلك التي تلت العصر العباسي على يد الغلاة والشعوبيين في عهد البويهيين والقرامطة والاسماعيليين وغيرهم. وتجمع هذا الركام من الروايات والأخبار المكذوبة والعقائد الشاذة لكي يظهر ويجتر بأشكال جديدة في عهد الصفويين الذين اشتهروا بتشجيع الكثير من المستحدثات والبدع والعقائد التي كانت تعتبر من عقائد الغلاة التي كفر أئمة أهل البيت ومجتهدو الأمامية حامليها، فأصبحت في العصر الصفوي من العقائد الشائعة والمقبولة. فكان الصفويون بحق الورثة الشرعيين للسبئية وعقائد الغلو التي جاؤوا بها[٤٥٨].

لقد توفي الجعفي هذا في أواخر العهد الأموي سنة ١٢٨ هـ تاركاً وراءه مروياته ومرويات شيخه المغيرة بن سعيد وتراث فرق الغلو وأتباعها، ليكون الوقود الدائم الذي سيغذي التيار الشعوبي الذي تبلور وتفاقم خطره في العصر العباسي وما تلاه، كما هو معروف في التاريخ الإسلامي.

ولقد اختلف في سنة وفاته فهي بين ١٢٧ هـ -١٣٢ هـ حسب ما رواه العلماء[٤٥٩].

---

(٤٥٦) رجال الكشي: ١٩١.

(٤٥٧) الموضوعات في الآثار والأخبار/ هاشم معروف الحسيني: ٢٣٤.

(٤٥٨) انظر كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي: د. علي شريعتي، وكتاب: التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي/ محمد البنداري.

(٤٥٩) انظر ابن حبان: المجروحين ١/ ٢٠٨والذهبي: ميزان الاعتدال/ ٣٨٤، وابن حجر/ التقريب ١/١٢٣.

٧- ابن السائب الكلبي (ت:١٤٦ هـ):

هو أبو النضر محمد بن السائب الكلبي، النسابة المشهور وصاحب التفسير، من أهل الكوفة، وهو من كلب بن وبرة من قضاعة، شاهد الكلبي وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك، وقضى على حركته الحجاج. توفي الكلبي سنة ١٤٦هـ في زمن الخليفة المنصور العباسي. قال عنه ابن حبان: وكان الكلبي سبئياً من أتباع عبد اللّه بن سبأ[٤٦٠]. ويروي الذهبي عن همام يقول: سمعت الكلبي يقول أنا سبائي[٤٦١]. وإذا كان الأمر كذلك في معتقده، فان معرفة آثاره ترتبط بمعرفة ما قيل فيه جرحاً أو تعديلاً. وجاء في التهذيب: كان بالكوفة كذّابان أحدهما الكلبي[٤٦٢].

ويقول ابن الجوزي: والكذابون والوضاعون خلق كثير.. وكان من كبار الكذابين وهب بن وهب القاضي (ت:٢٠٠ هـ) ومحمد بن السائب الكلبي[٤٦٣]. يقول الحاكم عنه: انه روى عن أبي صالح أحاديث موضوعة[٤٦٤]. وقال الساجي: متروك الحديث وكان ضعيفاً جداً.. وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع[٤٦٥].

ويقول عنه أبو حاتم الرازي: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه[٤٦٦]. بل لقد اعترف الكلبي على نفسه بالكذب، روى البخاري عن سفيان الثوري قال: قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب[٤٦٧] وكما كان الكلبي يضع في الحديث، فقد كانت له أكاذيب في التفسير، حتى إن الطبري تحاشا النقل عنه وعن أمثاله في تفسيره (جامع البيان[٤٦٨]. وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول في تفسير الكلبي: تفسير الكلبي من أوله إلى آخره

---

(٤٦٠) المجروحين ٢٥٣/٢.
(٤٦١) ميزان الاعتدال ٥٥٨/٣.
(٤٦٢) التهذيب ١٧٨/٩.
(٤٦٣) ابن الجوزي/ الموضوعات ٤٧/٧.
(٤٦٤) التهذيب ١٨١/١.
(٤٦٥) التهذيب ١٨١/١.
(٤٦٦) المجروحين٢٥٥/٢.
(٤٦٧) الذهبي: ميزان الاعتدال/٥٥٧.
(٤٦٨) انظر: الفتاوى/ ابن تيمية: ٣٨٥/١٣، ومعجم الأدباء/ ياقوت الحموي٦٤/١٨.

كذب[٤٦٩]. ومن أكاذيبه في التفسير قوله: كان جبرائيل يملي الوحي على النبي ﷺ، فلما دخل النبي ﷺ الخلاء جعل يملي على علي[٤٧٠].

وإضافة إلى ما ذكر أعلاه، فقد كان الكلبي ممن عرف بنعوت وأسماء مختلفة يظن أنها نعوت لأناس كثيرين، فهو محمد السائب الكلبي صاحب التفسير، وهو أبو النضر الذي روى عنه ابن إسحاق حديث (زكاة المسك) وهو أبو سعيد الذي يروي عنه (عطية العوفي) الضعيف المتروك الرواية، وهو في التفسير يدلس به موهماً أنه أبو سعيد الخدري الصحابي[٤٧١].

٤- المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت:٦٧هـ):

المختار الثقفي من أهل الطائف، وانتقل إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر ﷺ، وتوجه أبوه إلى العراق فاستشهد في معركة الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم، ثم كان مع علي ﷺ بالعراق وسكن البصرة بعد علي[٤٧٢]. وتتوالى الأحداث عن المختار، ويعظم شأنه، ويكثر أتباعه، ويعلن آراء غريبة.. لاسيما بعد استشهاد الحسين وظهور حركة التوابين في الكوفة، لقد كان المختار ذا طموحٍ سياسي ليس له حدود، وحاول أن يستثمر علاقته الودية بمحمد بن الحنفية، ممثلاً عن أهل البيت، وبعبد اللّه بن الزبير، الذي أعلن نفسه خليفة بعد موت يزيد، ثم اختلف مع ابن الزبير وحاول التقرب إلى محمد بن الحنفية، ولكن ابن الحنفية رأى طموحه وأطماعه فلم يكن يؤيد حركته، ورغم ذلك رفع المختار شعار الدعوة لآل البيت ولمحمد بن الحنفية، ثم قام بالدعوة لنفسه بعد أن توطدت حركته وثبت أقدامه مع الكوفيين، فهو -إذن- في بداية حركته السياسية كان أحد غلاة الرافضة السبئيين[٤٧٣]، وهو في ذلك تابع للسبئية، وكان أيضاً من الكيسانية الغلاة في الكوفة، الذين كانوا يدعون باسم محمد بن الحنفية[٤٧٤]. وقد ادعى المختار عندما

---

(٤٦٩) الأسرار المرفوعة:٤٠٠.

(٤٧٠) ميزان الاعتدال ٥٥٨/٣.

(٤٧١) ابن الصلاح/ علوم الحديث:٢٩١، والبغدادي/ موضع الأوهام/٣٥٥.

(٤٧٢) الزركلي/ الأعلام،٧٠/٨.

(٤٧٣) ابن قتيبة، المعارف: ٢٦٧.

(٤٧٤) والكيسانية أتباع كيسان مولى محمد بن الحنفية، وقد ظهرت هذه الفرقة بعد مقتل الحسين ﷺ سنة ٦١ هـ تدعو إلى أخيه محمد بن الحنفية، واشتهرت بدورها في حركة المختار بن أبي عبيد ما بين٦١-٨١هـ، وبعد وفاة محمد بن الحنفية تعددت فرقها.

عظم أمره النبوة، وأعلن أن الوحي ينزل عليه[٤٧٥]، يروي ابن كثير عن رفاعة القتباني قال: دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك[٤٧٦]، وحينما قيل لأبن عمر ﷺ أن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، قال: صدق، قال تعالى ﴿وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾[٤٧٧] ويروي أيضاً: سأل أتباع المختار عكرمة ﷺ: ما تقول في الوحي؟ قال: فقلت الوحي وحيان: قال تعالى ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ وقال تعالى:﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ قال: فهموا أن يأخذوني، فقلت: مالكم وذاك ! إني مفتيكم وضيفكم فتركوني[٤٧٨].

وإذا كانت تلك دعوى المختار في النبوة وتصديق أتباعه له فيها، فقد سبقهم إلى ذلك ابن سبأ وطائفته السبئية حينما قالوا بنبوة علي ﷺ، والسبئية هم الذين حملوا المختار على دعوى النبوة حينما قالوا له: (أنت حجة هذا الزمان، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها عند خواصه، وزعم أن الوحي ينزل عليه)[٤٧٩].

ومن عقائده الأخرى، أنه قال بالبداء، وقد قال به حينما انهزم أمام جيش (مصعب بن الزبير)، فقال له أتباعه: ألم تكن قد وعدتنا بالنصر؟ فقال: إن اللّه وعدني بالنصر، ولكنه بدا له !! وقرأ قوله تعالى: ﴿يمحو اللّه ما يشاء ويثبت﴾[٤٨٠] حتى قال ابن الأثير: (فقيل إن المختار أول من قال بالبداء)[٤٨١]. ويذكر ابن قتيبة، أن الكيسانية هم أتباع المختار فيقول: الكيسانية من غلاة الرافضة، هم أصحاب المختار بن أبي عبيد[٤٨٢] وتعتقد الكيسانية بإمامة محمد بن الحنفية –الذي كان

---

[٤٧٥] انظر الخوئي: معجم رجال الحديث ١٨/ ١٠٨ و د.كامل الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع:١٢٦، والقرشي عيون الأخبار ٤/٣٠٠،٢٤٦ وأبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية: ٤٧، والشهرستاني/ الملل والنحل ٢/ ٦٩.

[٤٧٦] ابن كثير: البداية والنهاية ٣١٣/٨.

[٤٧٧] المصدر نفسه ٣١٣/٨.

[٤٧٨] المصدر نفسه ٣١٣/٨.

[٤٧٩] البغدادي: الفرق بين الفرق: ٣٥.

[٤٨٠] المصدر نفسه:٣٦ ، وابن الأثير: الكامل في التاريخ/ ٢١٧.

[٤٨١] الكامل ٢٧٢/٤.

[٤٨٢] ابن قتيبة/ المعارف: ٢٦٧.

يدعو له المختار- والقول بجواز البداء على اللّه -وهو معتقد المختار أيضاً-[483] ويظهر مما ذكر أعلاه، مدى تأثر (المختار) بالسبئية، ومن المرجح أيضاً أن يكون للسبئية وجود بين أتباعه، وهذا الوجود كان يظهر بين حين وآخر، ويبلغ من قوته أن يملي على المختار مواقف معينة، كما حملوه على دعوى النبوة، وحملوه أيضاً على تبني خرافة الكرسي، التي تشبث بها المختار قائلاً: (انه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وانه كان في بني إسرائيل التابوت، فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وان هذا (الكرسي) فينا مثل التابوت، اكشفوا عنه، فكشفوا عنه أثوابه، وقامت السبئية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثاً، فقام شبث بن ربعي وقال: يا معشر مضر لا تكفرن، فنحوه وذبوه وصدوه وأخرجوه[484]، ومما نستنتجه من ذلك، أن السبئية كانوا أبرز جنود المختار، ولعل مما يؤيد ذلك ما ذكره (البغدادي) أن السبئية وعبيد أهل الكوفة كانوا هم السند الذين اعتمد عليهم المختار حينما خرج عليه أهل الكوفة بسبب تكهنه[485] ولهذا قال المستشرق (فلهاوزن)، وهو يتحدث عن قتال المختار للعرب، مستعيناً عليهم بالموالي والسبئية: (.. ومن هنا اضطر المختار إلى خوض الكفاح ضدهم، والى الارتماء بكليته في أحضان الموالي والسبئية[486] ثم يقول (والحقيقة إن السبئية لم يصبح لهم شأنهم التاريخي إلا على يد المختار الثقفي، وان كانوا موجودين قبل ذلك[487]. ومما روى الكشي الاماني عن غلو المختار وكذبه، نذكر روايته عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: (كان المختار يكذب على علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام[488].

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: (كتب المختار إلى علي بن الحسين عليه السلام وبعث إليه بهداياً، فلما وقفوا على بابه، ليستأذنوا فخرج إليهم رسوله فقال: أحيطوا عن بابي فاني لا أقبل هدايا الكذابين ولا اقرأ كتبهم)[489].

---

[483] البغدادي، الفرق بين الفرق: ٢٧.
[484] الطبري: ٨٣/٦.
[485] البغدادي، الفرق بين الفرق: ٣٥.
[486] فلهاوزن، الخوارج والشيعة: ١٧٦.
[487] المصدر نفسه: ٤٧٥.
[488] رجال الكشي: ١١٥.
[489] رجال الكشي: ١١٦.

وأخيرا فقد أنبأ النبي ﷺ المسلمين بخروج هذا الكذاب فقال: يخرج من ثقيف كذاب ومبير[٤٩٠] قال الترمذي: المبير هو الحجاج، والكذاب هو المختار، وكلاهما من ثقيف.

٨- هشام بن الحكم:

كان رديئاً خبيثاً عاصر الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام (١١٤-١٨٣هـ): أول من أعلن القول بالإمامة نصاً ووصية، وهذب مذهبه بالنظر، وكان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي وكان المتحدث الأول بمجالسه، كتب في (الإمامة)، وقال بالتشبيه والتجسيم فذمه الأئمة، وتبرؤوا منه[٤٩١]. ويروي النوبختي براءة الإمام الباقر منه حين قال: اللهم إني أبرأ إليك من بيان بن سمعان وهشام بن الحكم[٤٩٢].

روى الكليني عن الحجاني قال: قلت لأبي الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام إن هشام بن الحكم زعم إن الله جسم ليس كمثله شيء...، فقال: قاتله الله، أما علم إن الجسم محدود والكلام غير المتكلم، معاذ الله وابرأ إلى الله من هذا القول، لا جسم ولا صورة..)[٤٩٣]. وروى أيضاً عن محمد الرخمي، قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام اسأل عن قول هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة، فكتب لي: دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهامشان)[٤٩٤].

٩- صاحب الطاق:

هو محمد بن علي بن النعمان الأحول، يسميه أتباعه مؤمن الطاق، ولقبه العلامة الطوسي الأمامي بلقب شيطان الطاق، حين ذكره بهذا الاسم عندما عدد كتب هشام بن الحكم، فقال: وكتاب الرد على شيطان الطاق، وأهم ما جاء عنه من أخبار أنه خرج على الإمام الصادق عليه السلام فكان يتكلم بالقياس، وبكلام لم يقره الصادق. حتى قال فيه: إن أقررته ورضيته أقمت على الضلالة. من أقواله: أن اللّه

---

(٤٩٠) رواه الترمذي وأحمد وابن عساكر.

(٤٩١) انظر الخوئي: معجم رجال الحديث ٢٣١/١٩، ٨٤/١٦، والطوسي، الفهرست،٢٠٣، وابن بابويه القمي، التوحيد: ٩٧-١٠٤، والشهرستاني، الملل والنحل١٣٥/٢.

(٤٩٢) النوبختي، فرق الشيعة:٦٠.

(٤٩٣) أصول الكافي، للكليني: ١٠٦/١.

(٤٩٤) أصول الكافي، للكليني: ١٠٥/١.

أجوف إلى السرة والباقي صمد، وعندما سمع ذلك الإمام الرضا عليه السلام خر ساجداً مستنكراً ذلك.. عاصر الإمام الصادق والكاظم والرضا. وقال شيطان الطاق بالتناسخ والحلول والرجعة، وان اللّه لا يعلم شيئاً حتى يكون[٤٩٥]. قال عنه النجاشي الأمامي: (كان يعرف عند الستة والشيعة باسم شيطان الطاق، وكان يشبِّه الله عز وجل وردَّ عليه علماء الشيعة)[٤٩٦].

١٠- آخرون:

وأخيراً فان ذلك لا يعني حصر نماذج السبئية، أو حصر آثارهم وعقائدهم، فهناك نصوص كثيرة تؤكد وجود جماعة من الناس تأثرت بابن سبأ وافتتنت به في البصرة والكوفة ومصر وغيرها، يقول ابن كثير:.. فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة فتمالؤوا على ذلك[٤٩٧]. وفي قتل عثمان ذكر العلماء: أنه قتل على يد جماعة اتفقوا على الشر ورؤوس شر وأهل جفاء[٤٩٨]. وينطبق هذا الوصف على قتلة علي أيضاً. وعلى الذين غدروا بالحسين ونكثوا العهد معه وتركوه فريسة بيد أعدائه. ثم استمر وجود أتباع هذه الطائفة الذين تمالؤوا على الشر في العصر والعباسي، فمن الطبيعي أن يكون من هؤلاء من يشكل نموذجاً من السبئية تضاف إلى النماذج السابقة[٤٩٩]، ويمكن

---

(٤٩٥) انظر الخوئي: معجم رجال الحديث ١٩/١٧،٣٦/٣٣١، والطوسي، الفهرست، ٢٠٣، وابن بابويه القمي، التوحيد ١١٣.

(٤٩٦) رجال النجاشي: ٢٢٨، ٣٠٥.

(٤٩٧) ابن كثير، البداية والنهاية/١٨٣، ابن سعد، الطبقات ٣/٧١.

(٤٩٨) الذهبي: دول ألإسلام/١٢، وابن سعد، الطبقات ٣ /٧١.

(٤٩٩) وقد أحصى العلماء الكثير من هؤلاء، كنماذج لتلك المدرسة التي تركز وجودها في الكوفة والبصرة وخراسان وغيرها، ومن هؤلاء الغلاة المندسين، عدا ما ذكر أعلاه، هشام بن سالم الجواليقي الذي روى الكشي، انه كان يقول إن الله أجوف إلى السرة. (رجال الكشي: ١٤١)، ومنهم أيضا بيان بن سمعان الذي عاصر الإمام زين العابدين والإمام الباقر، وكان يكذب عليهما، وقد تبرأ منه أئمة أهل البيت وحذروا أتباعهم منه (البنداري، التشيع: ٣٠) وأبو الجارود سرحوب بن المنذر، وقد لعنه الأمام الصادق ووصفه بالكذب والكفر كما روى الكشي في رجاله (ص ٢٠٠) وأبو الخطاب الأجدع، وقد أذى هذا الرجل الإمام الصادق، حتى دعا عليه كما رواه الكشي (ص ٢٤٦) بقوله: (اللهم العن أبا الخطاب فانه خوفني قائما وقاعداً.. اللهم أذقه حر الجحيم). ومن المندسين بمجلس الإمام الصادق الآخرين أبو بصير ليث المرادي وزرارة بن أعين بن سنسن الراهب، وقد ذكر غلو وكذب أبي بصير عدد من علماء الرجال الشيعة، منهم الكشي والمامقاني، أما زرارة بن أعين، فقد كان جده سنسن راهباً رومياً، وأبوه أعين بن سنسن عبداً رومياً لرجل من بني شيبان (الفهرست، للطوسي: ١٤١)، وقد روى عن الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق رضي الله عنه أكثر من ألفي رواية

الاستنتاج بسهولة أن ورثة هؤلاء الغلاة في فكرهم وعقائدهم ومنهجهم ونشاطهم، في العصر العباسي كانوا الكثير من غلاة الإسماعيلية والقرامطة والمزدكية وخصوصاً في العهد البويهي وما بعده، ومنهم –على سبيل المثال– ميمون القداح وحمدان قرمط وغيرهم من الذين اتفقوا على الدعوة إلى مبادئهم الغالية المتطرفة باسم الدعوة إلى آل البيت في العراق وفارس والبحرين، ومنهم غلاة الإسماعيلية في مصر والمغرب وغيرهم من الحركات الهدامة في العصر العباسي حتى احتلال بغداد على يد المغول، وكان الشعوبيون هم الحلفاء التقليديون لهذا المد المغالي الذي تفشى في جسم الأمة المسلمة، ثم ورث الصفويون هذا التراث وهذه المستحدثات وصنفوها وحولوها من شكلها المغالي المنبوذ إلى صورتها العملية المقبولة التي ألفها الناس ولم يستو حشوها، بعد جهد كبير من التنظير والتبرير والتدريج، وساعدت التقية والتقليد

حسبما أورده الخوئي في معجمه (معجم رجال الحديث: ٢٤٩/٧). وأورد الكشي عن الصادق ﷺ قوله في زرارة: زرارة شر من اليهود والنصارى(ص١٦٠) كما لعنه حين غير جوابه عند سؤاله عن موضوع الحج فقال الإمام جعفر :ليس هكذا سألني، ولا هكذا قلت، كذب علي والله، لعن الله زرارة (رجال الكشي ص١٤٧ط. مشهد، تنقيح المقال للمامقاني جـ١ص٤٣٤). ومن هؤلاء الغلاة، سليم بن قيس الهلالي، وله كتاب في السيرة لم يروه عنه إلا أبان بن عياش (وهو تابعي ضعيف كما يراه الاردبيلي، وينسب وضع كتاب سليم بن قيس إليه(جامع الرواة جـ ١ص٩) ويقول ابن الغضائري عن هذا الكتاب: أسانيده مختلقة لم يروه عنه إلا أبان بن عياش وفي الكتاب منا كير مشتهرة وما أظنه إلا موضوعا. (الرجال/ لابن داود ص ٤٦٠) ويقول السيد هاشم معروف الحسيني عن سليم ومروياته: إنها من مرويات سليم بن قيس وهو من المشبوهين المتهمين بالكذب (ص ١٨٤) ومن هؤلاء أيضاً محمد النميري، وقال عنه هاشم معروف: من المتفق عليه انه من الغلاة، وجاء في إتقان المقال، انه ادعى النبوة، وان الإمام الحسن العسكري أرسله إلى الناس، وكان يقول بالتناسخ وإباحة المحرمات.. إلى غير ذلك من المقالات المنافية للإسلام (الموضوعات في الآثار ص ١٩٣ رجال الكشي، رجال الكشي، ٤٣٨)، ومن هؤلاء سعيد بن طريف الاسكافي الذي ضعفه الحر العاملي وابن الغضائري وقال عنه الكشي انه كان ناووسياً، والناووسية فرقة من الغلاة تعتقد إن جعفر الصادق لم يمت وهو المهدي الموعود ومنهم صفوان بن يحيى قال عنه محمد بن علي الاردبيلي: (مذهبه مع الوقف وجماعة من الواقفة بذلوا مالاً كثيراً (جامع الرواة: ٤١٣/١). والواقفية فرقة تعتقد بان الإمام موسى الكاظم حي يرزق، وهم الذين توقفوا في موت الكاظم وقالوا انه لم يمت، وقد وصفه الإمام الرضا بالكفر، فقد روى الكشي عن رجل سأل الرضا ﷺ عن الزكاة يعطيها هؤلاء الواقفية، فقال له: لا تعطيهم فإنهم كفار ومشركون (رجال الكشي: ٤٥٦). ومنهم علي بن أسباط وقد كان أفطحياً، والافحطية هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر الصادق دون أخويه موسى وإسماعيل، وكان عبد الله افطح الرأس، وكان الابن الأكبر لأبيه، (رجال الكشي: ٤٥٦). ومن هؤلاء عبد الرحمن بن كثير وكان من الباطنيين، قال عنه هاشم معروف الحسيني انه كان من الوضاعين، وقد أكثر الرواية عنه الكليني (دراسات في الحديث: ١٩٤)، وغير هؤلاء كثير. وقد انتخبنا هذه النماذج من الفرق التي ورثت السبئية، واستمدت منها عقائدها وأبرزها: الكيسانية والخطابية والبيانية والجارودية والناووسية والواقفية والقرمطية وغيرها من فرق الغلو والباطنية، التي ظهرت في تلك العصور من تاريخ الإسلام.

الأعمى في قبول الناس لها وعدم استنكارها وتغلغلها في التراث الأمامي عموماً، ومع ذلك فقد قاوم الكثير من الأئمة والمجتهدين هذهِ العقائد الغالية المدسوسة التي أرساها أتباع ابن سبأ في العهد البويهي العباسي ونظَّر لها مجتهدو العصر الصفوي –فيما بعد– وعلى رأسهم الكركي والمجلسي، اللذان عملا مع الحكام الصفويين على تثبيت سياسة فرض العقائد الغالية على الناس بالتسلط وقوة السلاح حتى شاع في إيران الصفوية فرض التشيع الصفوي وسب الشيخين، فكان ذلك العمل يؤدي إلى تمييز من يجب قتله ام لا، اعتماداً على الاستعداد للسب والتكفير، وقد ساعد الصراع الطائفي بين الصفويين والعثمانيين على المضي في هذه السياسة الطائفية. وبالمقابل ظهر العديد من المجتهدين والعلماء للتصدي لهذه المستحدثات وعقائد الغلو هذه، فكان الشريف المرتضى في العهد البويهي من أشهر من تصدى لهذا الانحراف ودعا إلى التقريب والوحدة الإسلامية، كما كان العلامة البهائي[٥٠٠] والقطيفي من أشهر علماء العهد الصفوي الذين تصدوا لعقائد الغلو والمستحدثات التي أراد الصفويون فرضها على الشيعة، فبقيت بصماتهم في كتبهم ومنهجهم ودعوتهم وزيارتهم المتبادلة للعالم الإسلامي، وكان البهائي –مثلاً– حين يزور مصر أو الحجاز، يظنه أهل السنة كأنه أحد علمائهم، وحين يزور مناطق إيران وباكستان يتصرف كشيعي معتدل ذي نزعة ربانية صافية ودعوة قرآنية صادقة، وكان يدافع عن الصحابة مثلما يدافع عن أهل البيت، وكان هو والعلامة القطيفي في خلاف

---

(٥٠٠) من المعلوم انه لا صلة بين هذا العالم الجليل وفرقة البهائية الغالية المنحرفة. ويذكر الدكتور علي الوردي في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ الجزء الأول، ص٧١ ، ما ملخصه في ترجمة هذا العلامة، فيقول: هو الشيخ محمد بن الشيخ حسين العاملي الملقب بـ (البهائي)، عاش في زمن الشاه عباس الصفوي، وتولى مشيخة الإسلام في إيران، وكان عالماً موسوعياً كابن سينا وأمثاله من مشاهير المفكرين القدامى، سئم البهائي منصب (شيخ الإسلام)، وحنت نفسه إلى حياة التصوف والرحلة في سبيل العلم على طريقة المسلمين الأوائل، فأخذ يتجول في مختلف الأقطار الإسلامية كتركيا وبلاد الشام ومصر والحجاز، وسكن القدس حيناً من الزمن، كما سكن دمشق والقاهرة، واستغرق في رحلاته ثلاثين عاماً، ونال إعجاب العلماء وثقتهم في كل بلد حل فيه، لأنه كان مخلصاً في طلب العلم، حر التفكير لا يماري ولا يكابر. ومما يلفت النظر في أمر البهائي، إن أهل السنة يعتبرونه سنياً والشيعة يعتبرونه شيعياً، وقد راج كتابه (الكشكول) في مصر وإيران معاً. ومن أفكاره في المعرفة ونبذ التعصب والانفتاح الفكري مع المخالفين، انه كان يرى: (إن المكلف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده، ولا يخلد في النار، وان كان بخلاف الحق) وفي ذلك إشارة منه إلى المجتمع الإيراني – الذي كان مصاباً بالغلو والتكفير للمخالفين في العصر الصفوي – بان لا يكفر فرداً أو جماعة من المسلمين إذا اخطؤا الصواب والاجتهاد. ودعوة منه إلى الاعتدال والتكامل وتوحيد الجهود والقلوب تحت راية القرآن.

دائم مع الحكام في إيران لتشددهم وتشجيعهم الروح الطائفية وسياسة الخصومة والتكفير، وهكذا نجد أن العالم الرباني سواء من الشيعة أو أهل السنة، هو الذي يقوم بالتصحيح والتقريب ومحاربة الغلو والطائفية، التي أرسى قواعدها الأعداء، بتآمرهم وتحالفهم ضد الإسلام منذ عصر صدر الإسلام حتى اليوم(٥٠١).

وللتعرف على علاقة فرق الغلاة بابن سبأ، نذكر بعض ما ذكره العلماء في ذلك، يقول أبو حاتم الرازي (ت:٣٢٧هـ) وهو يتحدث عن السبئية: (... ومن السبئية انشعبت أصناف الغلاة وتفرقوا في المقالات ومنهم أصناف الكيسانية والبيانية والنهدية(٥٠٢). ويقول الشهرستاني وهو يتحدث عن ابن سبأ: (.. ومنه انشعبت أصناف الغلاة(٥٠٣). ويقول ابن حزم وهو يتحدث عن السبئية: (ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة(٥٠٤). وكذلك ابن عساكر وهو يتحدث عن نفي ابن سبأ إلى المدائن: (فثم القرامطة وغلاة الرافضة)(٥٠٥).

وهذه النقولات عن علاقة الفرق الباطنية والغالية بالسبئية على غاية من الأهمية، وهي تشير إلى جذور المذاهب الباطنية والفرق المنحرفة، وهو أمر جدير بالبحث والتقصي بأيد أمينة.

---

(٥٠١) للمزيد من التفصيل راجع كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي/ د. علي شريعتي، وكتاب هكذا تكلم علي شريعتي/ د. فاضل رسول ، وكتاب التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي/ محمد البنداري، وكتاب الشيعة والتصحيح/ د. موسى الموسوي، وكتاب تطور الفكر السياسي الشيعي/ احمد الكاتب، وكتاب الحقائق الغائبة بين الشيعة وأهل السنة/ سالم علي البهنساوي، وكتاب الأمة الوسط/ للمؤلف.

(٥٠٢) الرازي، الزينة: ٣٠٥.

(٥٠٣) الملل والنحل، ١١٦/٢.

(٥٠٤) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل١٠٩/٢.

(٥٠٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٥٢،ب.

الخوارج وعلاقتهم بالسبئية

نشأة الخوارج في صدر الإسلام

روى ابن هشام في السيرة (ت ٢١٣هـ): إن بعض الغنائم جاءت النبي ﷺ، فأخذ يوزعها بين الناس، فجاءه رجل من تميم يقال له ذو الخويصرة واعترض على قسمته قائلاً: يا رسول اللّه اعدل ! فغضب النبي ﷺ وقال له: ويحك ! من يعدل إذا لم أعدل؟، فقال أحد الصحابة: يا رسول اللّه دعني أضرب عنقه، فقال له الرسول ﷺ: دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية[٥٠٦].

وقال ابن الجوزي وهو يورد خبر هذا التميمي: وهو أول خارجي خرج في الإسلام[٥٠٧].

وفي شرح ابن حجر لحديث ذي الخويصرة يذكر: وقيل اسمه حرقوص بن زهير السعدي[٥٠٨] ويظهر حرقوص السعدي في أواخر عهد عثمان، ليكون عنصراً بارزاً في التآمر على عثمان، ويجيء على رأس ثوار البصرة، الذين أسهموا في الثورة عليه، ثم في صفين، حين انشق على الخليفة علي ؓ أتباعه، نجد حرقوصاً هذا من بين قادة الخوارج البارزين، وبعد أن كان قد اشترك في إلزام علي بقبول مبدأ التحكيم، نراه ثانية يأتي بصحبة زرعة بن البرج الطائي فيدخلان على الخليفة، ويقول له حرقوص: تب من خطيئتك.. وذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه[٥٠٩].

وبعد خروج الخوارج وانحيازهم إلى النهروان، نجدهم يؤمرون عليهم اثنين أحدهما حرقوص بن زهير السعدي الذي قتل في تلك الموقعة[٥١٠]، وكان حرقوص أميراً على الجند في عهد عمر عند فتح الأهواز، ثم ترد شكوى من الجند، بأنه كان قاسياً معهم ويشق على الجند الامتثال لأوامره، ويشير الطبري وابن الأثير أن

(٥٠٦) سيرة ابن هشام، ٢ :٤٩٦ والحديث متفق عليه.

(٥٠٧) ابن الجوزي/ تلبيس إبليس:٨٧.

(٥٠٨) فتح الباري في شرح البخاري.

(٥٠٩) الطبري، ٦:٣٣٦٠-٣٣٦٣.

(٥١٠) احمد الدينوري الأمامي، الأخبار الطوال: ٢٠٤.

حرقوصاً هذا بقي إلى يوم صفين وصار حرورياً، وشهد معركة النهروان مع بقية الخوارج[٥١١].

وينقل الزبيدي في تاج العروس أن حرقوصاً كان سخّاطاً، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾[٥١٢].

ذو الثدية وحرقوص التميمي:

يقول الشهرستاني عن قدامى الخوارج: وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية[٥١٣]. وقد قتل ذو الثدية في النهروان أيضاً، ويتضح من خلال الروايات أن ذا الثدية هو غير ذي الخويصرة، وان ذا الثدية هو علامة الخوارج للمستقبل ليس غير، ويورد المبرد عن النبي ﷺ في وصف الخوارج: (سيماهم التحليق.. علامتهم رجل مخدج اليد[٥١٤] أي انه ناقص اليد، ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة.

وهكذا يفهم من حديث المارقة، أن النبي ﷺ بعد أن يقفي هذا الرجل المعترض على قسم النبيﷺ، يخبر أصحابه بأنه سيظهر من بين المسلمين قوم من أمثال هذا التميمي، يخرجون -بغلوهم وتطرفهم في دينهم- من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية، بسبب منهجهم المتشدد التكفيري فضلاً عن جهلهم وجلافتهم في التعامل مع الآخرين.

إن هذا الأعرابي الذي أعلنها صريحة في وجه النبي ﷺ ليس غريباً أن يعلنها ثورة حمراء في وجه أي إمام لا تعجبه سيرته، أو يخالفه في اجتهاده، وهكذا وجدناه في موقفه من عثمان أولاً، وتصلبه مع علي ثانياً، وفي خروجه مع رؤوس الخوارج ومقتله في النهروان أخيراً، أنه يمثل روح الخوارج الثائرة العنيفة في تطرفها، الصلبة في مطلبها، المتعصبة لآرائها، فلتكن العدالة التي يرونها، ولو فنيت الدنيا بأسرها.

---

(٥١١) المصدر نفسه:٢١٦، وحروراء قرية بظاهر الكوفة،نزل فيها الخوارج الذين خالفوا عليا ؑ بعد قبوله التحكيم، فنسبوا إليها.(انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي).

(٥١٢) سورة التوبة/ ٥٨.

(٥١٣) الملل والنحل/ ١:١١٦.

(٥١٤) المبرد/ الكامل ٩٥٥/٣.

وقد كان معظم الخوارج على شاكلة هذا التميمي، يزنون الأمور بموازينهم الحساسة، فيخسرون هنا، ويستوفون هناك(٥١٥).

السبئية ونشأة الخوارج

لم تكن حركة الخوارج وليدة صفين كما يظن البعض، ولا كانت بنت التحكيم، بل كانت بذْرتها موجودة قبل هذا التاريخ، وإنما حادثة التحكيم أظهرتهم كتيار سياسي له دور في الأحداث التي حدثت فيما بعد. فما كانت قضية التحكيم إلا ذريعة ملائمة استغلها قادة هذه الجماعة لإبرازها إلى حيز الوجود العلني، كدعوة دينية إصلاحية في ظاهرها وكحزب سياسي في جوهره وأهدافه، فقد كان المارقون المتطرفون منذ بدء الإسلام، يجعلون من أنفسهم موازين الحق والباطل، ومن عقولهم مقاييس للخطأ والصواب. واستمرت هذه البذرة في النمو البطيء الخفي في بعض الزوايا المظلمة، ويذكر الطبري في خبر له عن حرب الجمل، أن الخوارج لم ترض عن موقف علي، الذي منعهم من أخذ أموال خصومهم من أنصار عائشة، ويلاحظ أيضاً أن الطبري في هذه الرواية لا يفرق بين من يسميهم الخوارج وبين السبئية(٥١٦). ويروي ابن أبي الحديد عن نصر بن مزاحم (ت:٢١٢) يقول: إن رجلاً خرج من بين الفريقين في صفين، لا يعلم من هو، فقال: (أيها الناس، أخرج فيكم المحلقون؟ فقيل: لا، فقال: إنهم سيخرجون، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر). ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو(٥١٧). وهذه الرواية تدل –إن صحت–إن الخوارج السبئية كانوا موجودين بين عساكر علي في صفين، وكانوا ينتظرون الفرصة المواتية للخروج(٥١٨).

ولا يفرق أيضاً ابن كثير بين القوم الذين خرجوا على عثمان ﷺ وقتلوه، وأولئك الذين شقوا عصا الطاعة على علي ﷺ عند قبوله التحكيم، فكلهم عنده خوارج(٥١٩). ويكفي لنا أن نعلم، إن رؤوس الخوارج أيام علي كانوا أنفسهم أولئك

---

(٥١٥) الخوارج في العصر الأموي/ د. نايف معروف: ١٩.
وانظر الخوارج والشيعة، فلهاوزن: ٣٦.
(٥١٦) الطبري ٣٢٢٧/٦.
(٥١٧) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٨/ ٥٧.
(٥١٨) الخوارج في العصر الأموي/ د. نايف معروف: ٥٥.
(٥١٩) ابن كثير، ٢٥٠/٧.

الثوار الذين خرجوا على عثمان ﷺ، حتى ليكفي القول: إن حركة الخوارج هي امتداد للمؤامرة على الخليفة الراشد الثالث، وبخاصة بعد أن أدرك هؤلاء الغلاة أن علياً ﷺ لن يكون تابعاً لأهوائهم. ويبدو أن الأمر كان واضحاً وقتئذ، أن قتلة عثمان ﷺ ومسببي معركة الجمل من السبئية والأعراب هم أسلاف حزب الخوارج الذي تبلور بعد التحكيم في صفين، وهذا نافع بن الأزرق الخارجي يعترف صراحة بأنه حضر عثمان يوم قتل[٥٢٠]. ويذكر فلها وزن أن الخوارج كانوا يتباهون بأول عمل ثوري قاموا به، ألا وهو قتل الخليفة عثمان[٥٢١].

ولعل هذا يفسر شدة معارضة خوارج السبئية لقضية التحكيم، خوفاً من الصلح بين المعسكرين المتنازعين على حسابهم فيقتصون منهم، وهذا الموقف يماثل موقفهم من معركة الجمل حين تآمروا سراً لإشعال نار الحرب بين الفريقين لإثارة الفتنة والنجاة من القصاص. لأن أصابع الاتهام كانت دائماً تشير إلى دورهم في الثورة على عثمان. وذلك باعتراف بعض قادتهم[٥٢٢]. ومع كل هذا فلا يمكن الجزم بأن كل الخارجين على علي بعد التحكيم كانوا من الغلاة. فلا بد أن تكون هذه الحركة قد جرفت في صفوفها كثيراً من المؤمنين الصادقين من القراء والعباد والزهاد، الذين ادخل في روعهم أنهم أنصار الحق وحفاظ القرآن، فقد كان فيهم من قرح جباههم السجود[٥٢٣]. كما كان فيهم من جرتهم العصبية القبلية، فكان أكثرهم من أعراب بكر وتميم[٥٢٤]. ومع ذلك فقد شهد التاريخ بسالة الخوارج وشدة إيمانهم بمبدئهم، حتى كان يقول احدهم حين يطعن بالرمح أو حين يقتل في أرض المعركة: فزت ورب الكعبة، ويؤكد أحد شعرائهم على قوة بأسهم وشجاعتهم حينما انتصر أربعون خارجياً على جيشٍ قوامه ألفين، فيقول:

---

(٥٢٠) المبرد/ الكامل، ١٠٣٧/٣، وابن عبد ربه/ العقد الفريد،٣٩٥/٢.

(٥٢١) الدولة العربية: ٤٥.

(٥٢٢) وقعة صفين/ ابن مزاحم: ٤٩٠.

(٥٢٣) العقد الفريد/ ابن عبد ربه، ٣٨٩/٢.

(٥٢٤) الطبري، ٦/ ٣٣٥٢.

أألفا مؤمنٍ فيما زعمتم ويقتلهم بآسكَ أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما ادعيتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئةُ القليلة غير شك على الفئة الكبيرة ينصرونا(٥٢٥)

أما أبرز زعمائهم الذين لم يتخلوا عن قيادتهم في النهروان فهم: حرقوص بن زهير السعدي وزيد بن الحصين الطائي وشريح بن أوفى العبسى، ويزيد بن قيس الارحبي وعبد الله بن الكواء، وأخيراً خليفتهم الأول عبد ا لله بن وهب الراسبي. ولعل معرفتنا بهؤلاء القادة يلقي ضوءاً أكثر على الغموض المحيط بنشأة الخوارج وعلى مدى علاقتهم بالسبئية.

قادة الخوارج الأوائل

إن حرقوص بن زهير، هو المارق المعترض على قسمة النبي ﷺ عند توزيع الغنائم، وهو رأس ثوار البصرة الذين أسهموا مع الغوغاء في حصارٍ عثمان وقتله، أما زيد بن الحصين، فكان على رأس العصابة التي جاءت تهدد علياً وتفرض عليه قبول التحكيم، وتقول له: أجب القوم إلى ما دعوك إليه، وإلاّ نفعل بك كما فعلنا بعثمان(٥٢٦) وهذا اعتراف باشتراك هذه العصابة بقتل عثمان، وقد وصفه ابن كثير بأنه (أي زيد بن الحصين) كان من السبئية(٥٢٧). أما شريح بن أوفى العبسي، فقد كان مع ابن سبأ عند مسيره إلى عثمان، ثم كان في عصبته قبيل انشاب معركة الجمل(٥٢٨)، وهو متهم بالإسراف وبأن فيه فتنة(٥٢٩)، أما يزيد بن قيس الارحبي، فقد كان أحد الذين سيرهم عثمان من الكوفة إلى الشام بسبب أحداث الشغب التي حدثت

---

(٥٢٥) انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٥٣/١، إذ يقول: آسك، بلد من نواحي الاحواز، قرب ارجان ورامهرمز . وكانت بها وقعة للخوارج. ثم يقول: كان أبو بلال مرداس بن أدية، وهو احد أئمة الخوارج، قد هرب من البصرة إلى آسك في أربعين من الخوارج خوفاً من بطش عبيد الله بن زياد والي العراق، وقطع طريق المال من فارس إلى العراق، فأرسل ابن زياد معبد بن اسلم الكلابي في ألفي فارس.. فحمل فرداس ورجاله عليهم حمله رجل واحد فهزموهم هزيمة منكرة، فقال شاعر الخوارج عيسى بن فاتك الخطي في تلك الوقعة قصيدته المشهورة، التي منها الأبيات أعلاه.

(٥٢٦) وقعة صفين، ابن مزاحم: ٧١،٣٥٧.

(٥٢٧) ابن كثير، ٢٧٣/٧.

(٥٢٨) الطبري، ٣١٦٣/٦.

(٥٢٩) المصدر نفسه، ٣٣٨١/٦.

في الكوفة قبيل مقتله[٥٣٠] وابن الكواء كان أيضاً من الذين أثاروا الفتنة على عثمان، فأمر بإبعاده عن المدينة[٥٣١] غير إن بعض المصادر ذكرت إن ابن الكواء عاد فرجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي بعد النهروان[٥٣٢].

رأس الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي

أما رأس الخوارج وخليفتهم الأول عبد الله بن وهب الراسبي، فهو رجل غامض النسب، تحوم حوله الشبهات[٥٣٣] فهناك من المؤرخين من يشك بشخصه ويجرده من لباس التقوى والإيمان، وهناك من يجعله من القراء ومن التابعين[٥٣٤].

فيذكر المسعودي الأمامي أنه كان حافظاً لكتاب اللّه، بينما لا يقيم حدود اللّه على نفسه[٥٣٥] وروى المسعودي أيضاً حين تحدث عن سبب تفرق الخوارج عن الراسبي، فقال: إن الخوارج تنادوا فيما بينهم عند إحاطة أصحاب علي بهم، فقالوا: يا أخوتنا، الروحة، الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: فلعلها إلى النار. فقال من فارقه: أنقاتل مع رجل شاك، ففارقوه[٥٣٦]. وذكر ابن كثير: إن عبد الله بن وهب كان شديد البغض لعلي. ولا يسميه إلا الجاحد[٥٣٧]. ولعل من الأمور المثيرة حقاً هو انطباق كثير من أوصاف هذا الراسبي على ابن سبأ اليهودي، فقد عاش الرجلان كلاهما في الفترة الزمنية نفسها وفي الظروف السياسية ذاتها، وقد حملا الدعوة نفسها، فشعارهما الأول كان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٥٣٨].

---

(٥٣٠) البلاذري، الأنساب،٥/٤٥.

(٥٣١) التمهيد، الباقلاني: ٢١٤.

(٥٣٢) ابن حجر، لسان الميزان ٣/٣٢٩.

(٥٣٣) الموسوعة المبسطة للإسلام، جب:٢٤٦.

(٥٣٤) العثمانية، الجاحظ: ١٧٤، وابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/١١١، أما ابن حجر العسقلاني فلا يدرج اسمه تحت أسماء من عرفوا بـ (عبد الله بن وهب) من قراء التابعين في الإصابة /١٤١.

(٥٣٥) مروج الذهب، المسعودي: ٢/٣٤٦.

(٥٣٦) التنبيه والأشراف، المسعودي: ٢٥٧.

(٥٣٧) ابن كثير، ٧/٣٨٩.

(٥٣٨) الطبري،٦/٢٩٤٢ عن شعار السبئية،والطبري أيضا ٦/٣٣٤٩ عن شعار أصحاب الراسبي حين نزلوا حروراء جعلوا دعواهم أيضاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا كان زعيم الخوارج قد اشتهر بأنه من القراء، فان ابن سعد يشير إلى أن ابن سبأ كان أحد القراء الذين صحبوا علياً[٥٣٩]. ولا يقف أمر المقارنة والتشابه عند حد التوافق فحسب، بل يتعداه إلى التسمية والنسب، فيلاحظ أن نسبهما لا يختلف إلا في الجد الأعلى لكل منهما، فابن سبأ هو: عبد الله بن وهب الهمداني، وخليفة الخوارج هو عبد الله بن وهب الراسبي، الذي ترده بعض المصادر أزديا، وهمدان والازد قبيلتان من القبائل السبئية اليمنية[٥٤٠] فهل كان أمير الخوارج الأول هو نفسه ابن سبأ اليهودي، أم انه مجرد اتفاق في التسمية والنسب والأهداف؟! فلولا أن بعض الروايات ذكرت أن الراسبي قتل يوم النهروان، وان ابن سبأ عاش بعد مقتل علي، لكان التطابق غريباً وكبيرا، ولأمكن اعتبارهما شخصية واحدة، لاسيما وأننا نجد أن المقدسي ينفي مقتل الراسبي في النهروان ويروي أنه عاد من النهروان قبل القتال[٥٤١] وإذا لم يكن رأس الخوارج هو نفسه رأس السبئية، فانه -على الأقل-كان أحد أركانها، فقد وصفه الذهبي بأنه كان من السبئية[٥٤٢].

وهناك قرائن أخرى تشير إلى احتمال صلة قادة الخوارج الأولين باليهود، فالمسعودي يروي أن رسول الخوارج إلى علي يوم النهروان كان من يهود السواد[٥٤٣].

وفيما بعد نجد أبا عبيدة معمر بن المثنى الخارجي (ت: ٢١٠هـ) والذي اشتهر بالطعن في بعض أصحاب النبي ﷺ، وتتبع مثالب الناس كان جده يهودياً[٥٤٤]. كما يرى البعض أن ثورات الخوارج الأولى كانت في العراق وفارس حيث يوجد عدد كبير من اليهود[٥٤٥].

وهكذا يتضح أن رؤوس الخوارج -في البدء- كانوا من الثائرين على عثمان ومن أنصار ابن سبأ، فهذا رأس الازارقة الخوارج نافع بن الأزرق لا يكتفي بالتصريح

---

[٥٣٩] انظر رونلدسن، عقيدة الشيعة:٥٩.

[٥٤٠] المسعودي، التنبيه: ٢٥٦،المبرد،الكامل،٨٩٠/٣.

[٥٤١] المقدسي، البدء والتأريخ /١٣٧..

[٥٤٢] الذهبي، العبر ٤٤/١، المشتبه في أسماء الرجال: ٢٥٠.

[٥٤٣] المسعودي،مروج الذهب، ٢٨٤/٢.

[٥٤٤] الامالي/ المرتضى،٨٨/٣، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤٢٧/٤.

[٥٤٥]النظرية السياسية للخوارج/ أيري سالم:٢٠.

بخروجه على عثمان، بل يمتدح قتلته من المتمردين، فيقول متباهياً: وقد حضرت عثمان يوم قتل، وكان قاتلوه من المهتدين[٥٤٦].

ولعل تلك الشبهات حول أصولهم وارتباطهم وأعمالهم فضلاً عن انحراف معتقدهم، وذم الرسول ﷺ لهم ووصفهم بالمارقين، هي التي جعلت المسلمين يستحلّون قتالهم ودماءهم بالاتفاق.

إن العلاقة الوثيقة بين رؤوس الخوارج الأُول وبين ابن سبأ وأنصاره، تجعلنا نميل إلى أن حركة الخوارج قد نمت في أجواء الفتنة، حتى تهيأت لها الفرصة المواتية فخرجت إلى ميدان العمل العلني بعد التحكيم، ويمكننا القول أيضاً، إن المصالح المشتركة بين السبئية والخوارج، قد وحدت العمل بينهما قبل مقتل عثمان، ثم أدى التحكيم إلى انفصالهما. أما ما يذكره البعض من أن الخوارج كانوا يشنعون على خصومهم من غلاة الروافض ويرمونهم بالسبئية[٥٤٧] فقد كان ذلك بعد أن تم الطلاق الحاسم بين الفريقين، وبخاصة حين رضي أتباع علي بمقاتلة الخوارج تحت راية معاوية وين[٥٤٨]. وبذلك وبعد انكشاف هويتهم وإظهار عداوتهم لعلي ثم اغتيالهم له، وفق الخطة المحكمة التي نفذها عبد الرحمن بن ملجم الخارجي المعروف، لم يعد من سبب ظاهر لإيقاع الشبهة عليهم بأنهم من السبئية، ولكن ستبقى هذه الشبهة تحوم حول الغلاة من الرافضة، الذين تأصل وجودهم ودورهم بعد استشهاد الحسين والمآسي التي تعرض لها بعده رجال أهل البيت من العلويين وظهور حركة التوابين في الكوفة، حتى بلغوا منزلة سياسية عالية في زمن المختار الثقفي، الذي قربهم وجعل منهم حرساً خاصاً به[٥٤٩]. كما ان ين وعمالهم كانوا يشنعون بهذه التهمة على خصومهم السياسيين أيضاً، فقد كتب زياد بن أبي سفيان إلى معاوية بشأن تحرك المعارضة في العراق، فوصفهم بالسبئية أيضاً[٥٥٠].

ومنذ مطلع العصر ، حدث الانفصال التام بين الخوارج وبقية الغلاة والباطنيين ولم يبق من تشابه بين شطري الغلاة هؤلاء سوى ميزة الغلو والتطرف التي بقيت تتسم بها حركتا الخوارج والباطنية خلال العصر والعباسي، وامتزجت أفكار

---

(٥٤٦) المبرد/ الكامل ١٠٣٧/٣، وابن عبد ربه/ العقد الفريد ٣٩٦/٢.

(٥٤٧) انظر، فلهاوزن/ الخوارج والشيعة: ٢٥.

(٥٤٨) الطبري/ تاريخ ٤٣/٧.

(٥٤٩) فلهاوزن/ الدولة العربية وسقوطها: ٥٧.

(٥٥٠) الطبري/ تاريخ ١٣٦/٧.

هاتين الفرقتين مع بقية الفرق والتيارات الإسلامية السياسية والفكرية لتنشطر إلى العديد من الفرق والتيارات الهدامة في جسم الأمة: كالإسماعيلية والقرمطية والمرجئة والجبرية وغيرها.

الإمام علي والخوارج

وجه الإمام علي ابن عمه عبد الله بن عباس إلى الخوارج الذين نزلوا حروراء (خارج الكوفة) بعد قبول التحكيم، ليسألهم ما نقموه على أمير المؤمنين، ولما سألوه عن سبب مجيئه إليهم قال: جئتكم من عند صهر رسول اللّه ﷺ وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار[٥٥١]. وأضاف: وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم احد[٥٥٢]. فعرضوا عليه ما نقموه على علي ؓ فقالوا: (قد كان للمؤمنين أمير، فلما حكّم في دين اللّه خرج من الإيمان، فليتب بعد إقراره بالكفر نعد إليه)، وهكذا اخرجوا علياً ؓ من دائرة الإيمان لشكه بأمره وقبوله بالتحكيم. فرد عليهم ابن عباس، بأن اللّه قد أمر بالتحكيم في قتل الصيد (سورة المائدة: ٩٥) كما أمر بالتحكيم في شقاق الرجل وامرأته (سورة النساء:٣٥) فلم يقبل الخوارج بهذا القياس، ورفضوا أن يكون الحكم في الصيد وفي الشقاق بين الرجل وزوجته كالحكم في دماء المسلمين، إذ إن القرآن لم يقل بالتحكيم في الحرب[٥٥٣]. ثم اخذوا عليه انه محا اسمه من أمرة المؤمنين في كتاب التقاضي. وهذا جعله في كفة الميزان مع معاوية. فذكّرهم ابن عباس بأن النبي ﷺ نفسه محا اسمه من النبوة قبل الهدنة يوم الحديبية[٥٥٤]. وكان ما يزال نبياً. وقد اخذ أمير المؤمنين على الحكمين إن لا يجورا، فان جارا في التحكيم فلا طاعة لهما ولا قبول لحكمهما[٥٥٥].

وأخيراً أخذوا على الإمام علي ؓ انه قتل ولم يغنم ولم يسب يوم الجمل. فرد عليهم بقوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى

---

(٥٥١) ابن عبد ربه/ العقد الفريد ٣٨٩/٢.

(٥٥٢) ابن الجوزي/ تلبيس إبليس: ٩٢.

(٥٥٣) ابن الأثير/ الكامل ٣٢٧/٣.

(٥٥٤) الحديبية مكان على مرحلة من مكة، كان فيه شجرة جمع النبي ﷺ أصحابه تحتها وطلب إليهم مبايعته قبل مفاوضاته مع قريش للصلح ودخول الكعبة للزيارة (العمرة)، وتلا ذلك هدنة بين المسلمين وكفار قريش (ياقوت/ معجم البلدان ٢٢٩/٢).

(٥٥٥) المبرد/ الكامل ٣/ ٩١٠،٩٤٤ .

بعض﴾[٥٥٦] . فقال ابن عباس لهم: (فهل تسبون أمكم وتستحلون منها ما تستحلّون من غيرها؟!) فأخرستهم حجة ابن عباس، ووضعوا أصابعهم في آذانهم، وعاد كثير منهم إلى الكوفة[٥٥٧]. وحين عاد ابن عباس، سأله الخليفة علي ﷺ إن كان رآهم من المنافقين، فقال: (واللّه يا أمير المؤمنين، ما سيماهم بسيما المنافقين، إن بين أعينهم لأثر السجود، وهم يتأولون القرآن[٥٥٨]. وحاول الإمام علي ﷺ إن يقوم بنفسه، بإقناع بقية الحروريين، فخرج إليهم، وبدأ معهم الحوار بالتذكير بموقفه يوم كشف لهم مكيدة رفع المصاحف، وكيف أنهم استكرهوه على قبول التحكيم، وانه اشترط حكم القرآن في ذلك[٥٥٩]. فأقر الخوارج بمواقفهم السابقة، وقالوا: (أما نحن فلا ريب إنا رضينا بالتحكيم في أول الأمر، لكننا ندمنا عليه، وعلمنا إنا كنا مخطئين[٥٦٠]. ثم أعلنوا عن توبتهم، وطلبوا إليه أن يعلن توبته، فقال إرضاء لهم وتورية منه: (إني استغفر اللّه من كل ذنب) فعادوا معه إلى الكوفة، وهناك أشاعوا أن علياً ﷺ رجع عن الحكومة، وانه رآها ضلالاً[٥٦١]. فجاءه الأشعث بن قيس فقال: (يا أمير المؤمنين ! إن الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً !) فخطب علي ﷺ الناس فقال: (من زعم إني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فهو أضل). فخرجت عليه الخوارج ثانية وعادوا سيرتهم الأولى واخذوا يحكّمون في جوانب المسجد – أي ينادون: لا حكم إلا لله – فلما سمع علي نداءهم قال: (كلمة حق أريد بها باطل)[٥٦٢].

وعلى الرغم من تكفير الخوارج لعلي ﷺ ومضايقتهم المستمرة له، فانه استمر بسياسة المهادنة معهم، واعتمد الرويَّة والحجة في مواجهته لهم، فقال لهم أخيراً: (أما إن لكم عندي ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد اللّه إن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء مادامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا)[٥٦٣]. ولكن الخوارج

---

(٥٥٦) سورة الأحزاب/ ٦.

(٥٥٧) احمد الدينوري الأمامي/ الأخبار الطوال: ١٥٠، المقدسي/ البدء والتاريخ، ٢٢٤/٥، المبرد، الكامل ٩٧٦/٣.

(٥٥٨) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة ٣١٠/٢.

(٥٥٩) ابن قتيبة/ الإمامة والسياسة،١٢٧/١. ابن عبد ربه/ العقد الفريد،٣٥١/٤.

(٥٦٠) ابن الطقطقي/ الفخري:٨٥.

(٥٦١) المبرد/ الكامل، ٩٤٣/٣.

(٥٦٢) المبرد/ الكامل، ٩٤٣/٣. ابن عبد ربه/ العقد الفريد،٣٨٨/٢.

(٥٦٣) ابن الأثير/ الكامل،٣٣٥/٣.

لم يتخلوا عن إزعاجهم للأمام علي ﷺ، فقد صعد يوماً منبر الكوفة ليخطب الناس، فجعلت الحرورية تقول له: (جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلا اللّه). فرد عليهم: (حكم اللّه انتظر فيكم)، فقالوا: ﴿ولقد أوحي إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين﴾[٥٦٤].

وهكذا استمرت المحاورات العنيفة بين الإمام علي ﷺ والخوارج، فتبادلوا التهديد والوعيد. وقبل أن يحين موعد الحكومة، جاءه رجلان من الخوارج، هما: زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي، فخاطبه حرقوص وطالبه بالرجوع عن التحكيم والعودة للقتال، بعد أن يعلن توبته من خطيئته. فلم يستجب لهما وأصر على التمسك بالعهد والميثاق، عملا بقوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد اللّه إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم اللّه عليكم كفيلا﴾[٥٦٥]. ثم ذكرهم بأنهم هم الذين اجبروه على قبول الحكومة.

ولما بعث علي ﷺ أبا موسى الأشعري لإنفاذ الحكومة، لقيت الخوارج بعضها بعضاً، فعرضوا الخلافة على يزيد بن الحصين ثم شريح بن أوفى العبسي، فأبيا أن يقبلاها، فعرضوها على حرقوص بن زهير وحمزة بن سنان الاسدي فأبيا أيضاً. فقال عبد الله بن وهب الراسبي: (هاتوها، فو اللّه ما اقبلها رغبة في الدنيا، ولا فراراً من الموت، ولكني اقبلها لما أرجو فيها من عظيم الأجر). فبايعوه لعشر خلون من شوال سنة ٣٧هـ[٥٦٦]. ثم اقترح شريح العبسي أن يتجمعوا في المدائن، فاعترض يزيد الطائي بحجة إن في المدائن من يمنع منها. فاتفقوا أخيراً على النزول في النهروان. وكتبوا إلى أصحابهم لموافاتهم هناك، وقد أرسلوا كتابهم على لسان قادتهم، وهم: عبد الله بن وهب ويزيد بن الحصين، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى العبسي[٥٦٧].

أما الإمام علي ﷺ، فانه بعد صدور قرار الحكومة، القاضي بخلعه -والذي رآه لم يستند إلى حكم القرآن في الخلاف بينه وبين معاوية فرفضه- أخذ يتأهب للمسير ثانية إلى الشام لإخضاع معاوية في عقر داره. وحاول أن يسترضي الخوارج قبل ذلك، فكتب إليهم يدعوهم للإقبال إليه، فقال في كتابه: (إن الرجلين اللذين

---

(٥٦٤) المسعودي/ مروج الذهب،٢/٢٧٥، والآية في سورة الزمر/٦٥.

(٥٦٥) سورة النحل:٩١.

(٥٦٦) احمد الدينوري/ الأخبار الطوال:٢٠٢.ابن قتيبة الدينوري/ الإمامة والسياسة١/١٢١. الطبري/ تاريخ،٦/٣٣٦٥.

(٥٦٧) احمد الدينوري/ الأخبار الطوال:٢٠٤.

ارتضيناهما للحكومة خالفا كتاب اللّه واتبعا هواهما..، فلما لم يعملا بالسنة ولم يحكما بالقرآن تبرأنا من حكمهما. ونحن على أمرنا الأول، فأقبلوا إلي رحمكم اللّه، فأنا سائرون إلى عدونا وعدوكم لنعود لمحاربته حتى يحكم اللّه بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين).

ولكن الخوارج لم يرحبوا بكتابه هذا، ولم يستجيبوا لدعوته، واشترطوا عليه التوبة من الكفر والضلال الذي وقع فيهما لينظروا الأمر فيما بينهم. فلما قرأ الإمام علي ﷺ جوابهم، ايس من إرجاعهم إلى حضيرته، فرأى أن يدعهم وشأنهم ويمضي بعسكره إلى أهل الشام(٥٦٨).

يوم النهروان

أثناء عزم الخليفة واستعداده للتوجه إلى الشام، مرت الخوارج في المدائن، فالتقوا واليها الصحابي عبد ا لله بن خباب، فأسروه مع زوجته الحامل.. بعدها سألوه أن يخبرهم بحديث سمعه عن أبيه عن النبي ﷺ، فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي. فاستوضحوه رأيه بأبي بكرٍ وعمر. فذكرهما بكل خير، وسألوه عن عثمان في أول خلافته وآخرها، فجعله محقاً في أولها وآخرها، فسألوه عن علي قبل التحكيم وبعده، فقال لهم: (انه اعلم باللّه منكم واشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة)، فاخذوا عليه انه لا يتبع الهدى، كما تأولوا عليه انه يدين بتخطيتهم في الخروج. فجاءوا به إلى حافة النهر وذبحوه، وبقروا بطن امرأته بجنينها. ثم قتلوا بعض النسوة، واخذوا يعترضون الناس ويقتلون الأطفال(٥٦٩).

فلما بلغ علياً قتلهم ابن خباب واعتراضهم السابلة، بعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيه بخبرهم، فقتلوه أيضا. حينذاك لم يجد علي ﷺ بداً من الاستجابة لطلب أتباعه، بالبدء بحرب الخوارج قبل التوجه إلى الشام، وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي، فكلمه بالمسير إلى الحرورية أولا(٥٧٠).

---

(٥٦٨) المصدر نفسه:٢٠٦،الطبري،٣٣٦٩/٦.

(٥٦٩) الطبري، تاريخ،٣٣٧٤/٦. المقدسي/ البدء والتاريخ، ١٣٦/٥.

(٥٧٠) انظر الطبري، ٣٣٧٥/٦، والدينوري/ الأخبار الطوال: ٢٠٧.

وهكذا قرر الإمام علي ﷺ مواجهة هؤلاء الثائرين قبل أن يستفحل خطرهم ويستطير شرهم، فأزمع على المسير إليهم. ولكنه لم يشأ مقاتلتهم قبل محاورتهم وإقامة الحجة عليهم. فسار بعسكره حتى نزل بالقرب منهم، ثم أرسل قيس بن سعد بن عبادة وأبا أيوب الأنصاري.. فلم يجد الرسولان منهم إلا رداً وصداً ومزيداً من القذف على علي ﷺ. فجاءهم أمير المؤمنين بنفسه فوقف عليهم بحيث يسمعونه وقال: (أيتها العصابة التي أخرجتها اللجاجة وصدها عن الحق الهوى، فأصبحت في لبس وخطأ، إني نذير إليكم أن تتمادوا في ضلالكم فتلفوا مصرعين من غير بينة من ربكم ولا برهان[٥٧١]. وناظرهم علي ﷺ وحاججهم بأقوالهم..، ثم حذرهم من الهلاك في الدنيا والآخرة حين قال لهم: (سيهلك في صنفان: محب مفرط (غال) يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط (غال) يذهب به البغض إلى غير الحق[٥٧٢]. واستمر الحوار بينه وبينهم طويلاً، فأجابهم على كل مآخذهم عليه وأفحمهم، حتى قال له ابن الكواء أخيراً: (أنت صادق في جميع ما تقول، غير انك كفرت حين حكمت الحكمين[٥٧٣].

وهكذا لم يستطع علي ﷺ إقناعهم وإرجاعهم عن رأيهم، وأصروا على موقفهم وأبوا إلا تكفيره، ومع ذلك حاول علي ﷺ أرجاء المعركة معهم، فطلب منهم تسليمه قتلة ابن خباب وغيره من المسلمين ليقتلهم بمن قتلوهم، ثم يتركهم وشأنهم حتى ينتهي من أهل الشام.. فلم يستجيبوا له وقالوا: (كلنا قتلة وشرك في دمه، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم[٥٧٤].

وبذلك فشلت جميع المحاولات التي بذلها الإمام علي ﷺ لتجنب الصدام معهم. وقبل أن يلتحم الجيشان رفع علي ﷺ راية للامان ضم إليها ألفي رجل، وجعل عليها أبا أيوب الأنصاري، الذي اخذ ينادي: (من التجأ إلى هذه الراية فهو آمن) فانسحب من بين الخوارج عدد كبير إلى هذه الراية، خمسمائة رجل مع قائدهم فروة بن نوفل الاشجعي، واستأمن إلى الراية ألف رجل آخر من الخوارج، وخرجت طائفة أخرى التحقوا بالكوفة[٥٧٥]. وبذلك لم يبق مع ابن وهب الراسبي الا اقل من أربعة

---

(٥٧١) الدينوري/ الأخبار الطوال: ٢٠٨.

(٥٧٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة، ١١٢/٨.

(٥٧٣) الدينوري/ الأخبار الطوال،٢٠٩.

(٥٧٤) المبرد، الكامل،٩١٦/٣. الطبري/تاريخ،٣٣٧٦/٦.المقدسي/ البدء والتاريخ، ١٣٧/٥.

(٥٧٥) احمد الدينوري/ الأخبار الطوال: ٢١٠.الطبري/ تاريخ، ٣٣٨٠/٦.

آلاف، يصفهم القلقشندى، بأنهم من الغوغاء الذين لا رأس لهم، ويقول الطبري عنهم إنهم بقوا اقل من ثلاثة آلاف، في حين ينخفض بهم ابن الأثير إلى اقل من ألفين[٥٧٦].

ولم يشأ الإمام علي ﷺ البدء بالقتال، حتى إذا ابتدأ الخوارج الرمي، صاح علي ﷺ: اللّه اكبر.. الآن حل قتالهم، احملوا على القوم[٥٧٧].

فالتقى الجمعان، وتنادت الخوارج: (الرواح، الرواح إلى الجنة) وشدوا على جيش الإمام علي، وقاتلت الخوارج في تلك الموقعة ببسالة نادرة، ولكنهم في النهاية لاقوا مصيرهم المحتوم، وقتلوا ولم ينج منهم إلا نفر يسير فروا من أرض المعركة[٥٧٨].

أما جرحى النهر، فقد أمر عليٍ ﷺ بمداواتهم ودفعهم إلى عشائرهم. وعلى الرغم من أن وقعة النهروان كانت نصراً عسكرياً حاسماً لعلي ﷺ على خوارج النهر، إلا أنها لم تستأصل شأفتهم، بل اذكت روح التعصب والعناد والتضحية والفداء عند بقاياهم.

ويرى نيكلسون، إن النهروان بالنسبة للخوارج أصبحت –فيما بعد– مثل كربلاء عند الشيعة[٥٧٩]. ولكن يجب أن لا ننسى إن بطل كربلاء كان سبط الرسول ﷺ الحسين الشهيد، فبقيت كربلاء عند سائر المسلمين تمثل الاستشهاد في سبيل الحق والعقيدة والدفاع عن المبادئ، بينما كانت الخوارج في النهروان تمثل التطرف والعناد والنظرة الضيقة والعزة بالإثم، لا سيما وان الخليفة علي ﷺ عاد فدعاهم إلى استئناف القتال ضد معاوية بعد فشل التحكيم، فأصروا على تكفيره وتوبته، دون أن يأتوا بدليل كاف يؤيد مزاعمهم. أما بالنسبة لقائد النهروان من الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي، فكان في ميمنته يزيد بن الحصين الطائي، وعلى الميسرة شريح بن

الأشعري القمي، ١/٢١٠..

([٥٧٦]) انظر القلقشندى/ أصبح الأعشى،٢٢/١٣.الدينوري/ الأخبار الطوال: ٢١٠.

وانظر الطبري،٦/ وأبن الأثير/ الكامل ، ٢/٢٨٤.

([٥٧٧]) المسعودي/ مروج الذهب ٢/٢٨٤.

([٥٧٨]) الدينوري/ الأخبار الطوال:٢١٠.الطبري ٦/٣٣٨٢.

([٥٧٩]) نيكلسون/ تاريخ العرب: ٢٠٨.

أوفى العبسي، وكان على الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، وقد لقوا مصرعهم جميعاً في المعركة[٥٨٠].

ولكن ما يلفت النظر إن الطبري وابن الأثير لا يأتيان على ذكر الراسبي في هذه التعبئة، ويجعلان بدلاً منه على الخيل حمزة بن سنان الاسدي![٥٨١].

خروج الخريت الناجي:

كان الخريت الناجي من ضمن جند الإمام علي ﷺ في وقعة صفين، إلا انه نقم عليه بعد اجتماعِ الحكومة، وكان في نفسه قد نقم عليه مبدأ قبول الحكومة، وقد كان الخريت معتزلاً يوم النهروان ولم يشترك بتلك الحرب، وكان –على الأرجح– يتربص الفرصة المؤاتية لإعلان أمره. فلما رفض الإمام علي أن يذعن لحكم أبي موسى في ترك أمر الإمامة شورى بين المسلمين، لامه الخريت على ذلك[٥٨٢].

ويبدو انه لم ينضم إلى خوارج النهر أيضاً، ولكن بعد هزيمة الخوارج وتخاذل أنصار علي ﷺ عن المسيرِ إلى معاوية، أعلن الخريت خروجه على علي ﷺ، وسنجده في خروجه هذا رجلاً لا مبدأ له ولا ذمام. جاء الخريت بن راشد الناجي إلى علي ﷺ وقال له، وقد جرده من إمارة المؤمنين: (يا علي، واللّه لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، واني غداً مفارق لك) وذلك بعد تحكيم الحكمين[٥٨٣]. فناظره علي ﷺ وحاول إقناعه فلم يرتدع. وسار بجمع من أصحابه فالتقى في طريقه رجلاً مسلماً، فسأله عما يقوله في علي ﷺ، فأثنى عليه وقدمه. فحملت عليه عصابة من أصحاب الخريت فقطعوه بأسيافهم، بينما التقوا يهودياً فخلوا سبيله[٥٨٤]. فقاتلهم جيش الإمام علي ﷺ بقيادة زياد بن خصفة البكري في المذار[٥٨٥]. فاقتتل الطرفان قتالاً شديداً دون أن يتمكن احدهما من الأخر ثم تنكر الخريت وأصحابه تحت جنح الظلام وهربوا من ارض المذار، واتجهوا صوب الاحواز وكان الخريت قد اجتمع إليه خلق كثير من قطّاع الطرق والخارجين على النظام ممن امتنعوا عن دفع الخراج، كما

---

(٥٨٠) احمد الدينوري/ الأخبار الطوال: ٢١٠.

(٥٨١) الطبري، ٣٣٨٠/٦. وابن كثير، ٩٤٥/٣.

(٥٨٢) الطبري،٣٣٨٠/٦.ابن ،٩٤٥/٣.

(٥٨٣) الطبري،٣٤٣٤/٦. ابن كثير/ البداية والنهاية،٣٠٨/٧.

(٥٨٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة.١٣٢/٣.

(٥٨٥) المذار، بلدة بين واسط والبصرة (ياقوت/ معجم البلدان،٨٨/٥).

انضمت إليه طائفة من الأعراب كانت ترى رأيه، وتمكنوا من بعض مناطق فارس واخرجوا عاملها لعلي ﷺ سهل بن حنيف. وحدثت معركة أخرى بين الفريقين قرب جبال رامهرمز في الاحواز، فخرج الخريت من المعركة منهزماً حتى لحق بساحل بحر فارس[٥٨٦].

ولكن الخريت لم يلق سلاحه، بل استمر بجمع الناس حوله، فكان يأتي من يرى رأي الخوارج فيسر إليهم: (إني أرى رأيكم، وان علياً ما كان ينبغي له أن يحكم الرجال في دين اللّه) ثم يأتي لمن يرى رأي عثمان وأصحابه، فيقول لهم: (أنا على رأيكم، وان عثمان قتل مظلوماً معقولاً). كما كان يجيء مانعي الصدقة والخراج فيقول: (شدوا على صدقاتكم، ثم صلوا بها أرحامكم، وعودوا إن شئتم على فقرائكم). وهكذا كان يعمل في إرضاء كل طائفة من الناس بضرب من القول يتفق وهواهم. وبذلك استطاع أن يستهوي كثيراً من الأقوام من مختلف الميول والاتجاهات[٥٨٧].

ولما علم قائد جند الخليفة معقل بن قيس الرياحي –الذي أرسله الإمام علي ﷺ في أربعة ألاف رجل لملاحقة الخريت– بموقعه بساحل البحر بفارس، عبأ جنده وزحف نحو الخريت وأصحابه، وهزمهم هزيمة منكرة، قتل فيها الخريت، وتفرق من بقي من أتباعه هنا وهناك[٥٨٨].

وهكذا، انتهت حياة الخريت الناجي الذي لم تعرف هويته الفكرية على حقيقتها، إذ وجدناه تارة يحارب إلى جانب علي ﷺ، وطوراً يخرج على إمامته ويشدد النكير عليه، ومرة يزعم انه من الخوارج، وأخرى يتآمر على حياة زعمائهم، فيستعدي علياً ﷺ على عبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن الحصين ليقتلهما[٥٨٩].

ويؤكد المسعودي إن الخريت ارتد مع أصحابه إلى النصرانية[٥٩٠]. ولعل الخريت لم يكن إلا رجلاً نفعياً متلوناً، لا مبدأ له فينصره، ولا عقيدة عنده فيلتزم بها. كما لا يستبعد أن يكون عيناً رومياً أو مجوسياً أو غير ذلك من أعداء الإسلام، وكان في فتنته يتحرك وفق منهج أعد له من قبل أسياده، لإثارة الفتنة والصراع داخل الدولة الإسلامية.

---

(٥٨٦) الطبري/ تاريخ،٣٤٣٢/٦. ابن كثير/ الكامل،٣٦٧/٢.

(٥٨٧) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة، ١٤١/٣، الطبري/ تاريخ ٣٤٣٣/٦.

(٥٨٨) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة، ١٤٢/٣، الطبري/ تاريخ ٣٤٣٧/٦.

(٥٨٩) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة، ١٤٨/٣. الطبري/ تاريخ ٣٤٤٣/٦.

(٥٩٠) المسعودي/ مروج الذهب، ٢١١٦/٢.

خارجون آخرون في عهد الإمام علي ﷺ والأمويين:

لم يكن أصحاب النهروان والخريت الناجي هم وحدهم الذين خرجوا على الإمام علي، بل أن مجموعات أخرى شقت عصا الطاعة عليه، وأعلنت الخروج على إمامته، وكان أشهرهم:

١- أشرس بن عوف الشيباني بالدسكرة قرب بغداد خرج في مائتين من أتباعه، ثم نزل الانبار على الفرات فقضي عليه في ربيع الثاني سنة ٣٨هـ[٥٩١].

٢- هلال بن علّفه في أكثر من مائتين في ماسندان بفارس، فقهرهم الرياحي في جمادى الأولى سنة ٣٨هـ[٥٩٢].

٣- الأشهب بن بشر البجلي في ثلاثمائة رجل في جرجرايا (في النهروان بين واسط وبغداد) فقتل في جمادى الآخرة ٣٨هـ[٥٩٣].

٤- سعيد بن قفل التيمي في المدائن ومعه مائتا رجل، فقتل في رجب ٣٨هـ[٥٩٤].

٥- ابو مريم السعدي التميمي في شهر زور في شمال فارس، وهو اخطر من خرج على علي ﷺ بعد النهروان، اجتمع له أربعمائة أكثرهم من الموالي، فتوجه صوب العراق، ونزل قرب الكوفة، فبعث إليه شريح بن هاني في سبعمائة رجل فهزمهم أبو مريم. فاضطر علي ﷺ للخروجٍ إليه بنفسه، فقهرهم وشتتهم بعد قتل قائدهم، وبعد أن استأمن منهم خمسون رجلاً وذلك في رمضان ٣٨هـ. وقد وصفهم ابن الأثير بأنهم أشجع من قاتل من الخوارج[٥٩٥].

٦- ابن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي. وقد اجتمع هؤلاء فذكروا قتل أصحابهم من أهل النهروان، فثارت شجونهم لذكراهم، واتفقوا على الثأر لهم بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، فتعهد ابن ملجم أن يكفيهم عليا، فجاء الكوفة وكتم الأمر على أصحابه، وهناك لقي بعض الخوارج من معارفه، ثم التقى امرأة من تيم

---

(٥٩١) ابن الأثير/ الكامل، ٣٧٢/٣.
(٥٩٢) ابن الأثير/ الكامل، ٣٧٢/٣.
(٥٩٣) المصدر نفسه.
(٥٩٤) المصدر نفسه.
(٥٩٥) ابن الأثير/ الكامل، ٣٧٢/٣.

الرباب يقال لها قطام[٥٩٦]. فأعجب بجمالها وخطبها لنفسه، فاشترطت عليه قتل علي لتقبل به، فأسرها حينذاك بسبب مجيئه إلى الكوفة، وتم له ما أراد، فقتل الإمام علي ﷺ في شهر رمضان سنة ٤٠هـ. فقتل الحسن بن علي ﷺ ابن ملجم بعد وفاة أبيه، ضربه بضربة في الموضع الذي أصاب فيه أباه، فقتله[٥٩٧].

وقد ذكرت بعض المصادر إن للأشعث بن قيس الكندي دوراً في التآمر على حياة علي ﷺ، كما أشيع إن ابنته – فيما بعد – جعدة بنت الأشعث قد سمت زوجها الحسن بن علي ﷺ، وهذه الأخبار واهنة، وربما دست من قبل بعد الرواة الشعوبيين أو الجهلة، عن عائلة الأشعث الكندي طعناً فيه وفي ولائه للإمام علي ﷺ، ونذكر الأسباب التي تجعلنا نوهن هذه الأخبار.:

١- كان الأشعث بن قيس من قواد الإمام علي البارزين والمخلصين واشترك معه في جميع حروبه، وقد ذكر ابن سعد وغيره إن الحسن ﷺ قد تزوج ابنته، وقد صلى عليه عند مماته، أما أصل خبر تورط الأشعث في مقتل علي ﷺ فيرويه الأصفهاني والمبرد، فقد ذكر الأصفهاني، إن الأشعث بن قيس دخل على علي فأغلظ له علي، فاستشاط الأشعث غضباً وهدده بالقتل[٥٩٨] وزعم المبرد إن الأشعث سهل لابن ملجم تنفيذ خطته وانزله في بيته ليلة الاغتيال، فاتهمه حجر بن عدي بالاشتراك في قتل علي[٥٩٩] إلا إن المبرد نفسه يزعم في موضع آخر إن الأشعث حذر علياً من ابن ملجم، كما اظهر له الإخلاص في كثير من المواقف[٦٠٠].

٢- إضافة إلى زواج الإمام الحسن ﷺ من جعدة بنت الأشعث، فقد استمر هذا البيت في موالاة أهل البيت بعد علي ﷺ، فقد قام عبد الرحمن بن الأشعث بحركته المشهورة ضد ين، فخرج على عبد الملك وعامله في العراق الحجاج بن يوسف، ثم قتل بعدها، وكان من اشد خصوم ين في وقته، وقد حاول عبد الملك إقناعه بالعدول عن خروجه مقابل إقصاء عامله الحجاج لرفع جوره عن العراقيين لكنه أبى، مما أدى إلى هزيمته في معركة دير الجماجم ثم مقتله بعد ذلك.

---

(٥٩٦) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة،١١٥/٦، وقال إن اسمها قطام بنت الأخضر من تيم الرباب، وانظر ابن قيمة الدينوري، الإمامة والسياسة،١٣٧/١، إذ قال إنها قطام بنت علقمة التيمية.

(٥٩٧) السجستاني، المعمرون والوصايا:١٥٣. ابن الأثير، الكامل، ٣٩٠/٣-٣٩١. المبرد، الكامل،٩٢٨/٣-٩٣١.

(٥٩٨) مقاتل الطالبيين/ الأصفهاني: ٣٤.

(٥٩٩) الكامل في الأدب/ المبرد: ٩٨٣/٣.

(٦٠٠) المصدر نفسه: ٩٢٨/٣.

٣- بعد وفاة الحسن بن علي، تزوجت جعدة بنت الأشعث من ابن عمه العباس بن عبد الله بن العباس ثم بعده من يعقوب بن طلحة، ولو كانت هذه المرأة متهمة بقتل زوجها (الحسن) والتواطؤ مع ين، كيف سيستسيغ هؤلاء الزواج منها وكيف يأمنونها على أنفسهم، لاسيما من أقارب زوجها الأول الإمام الحسن بن علي ﷺ.

٤- تجمع الأخبار العديدة على موالاة الأشعث وأبنائه الإمام علياً ﷺ وأبنائه، واستمرار تحالفهم السياسي ضد ين، واستمرار العلاقات الاجتماعية الطيبة بينهم، مما يجعلنا نجزم ببراءة الأشعث من دم الإمام علي ﷺ، كما انه لم يقل احد من المؤرخين بوجود صلة بينه وبين الخوارج بل كان من المتحمسين لمحاربتهم والقضاء عليهم.

إن الباحث في أمر اغتيال علي، يظهر له أن هذا العمل لم يكن عملاً فردياً وثأراً لأقارب قطام وغيرها من الخوارج الذين قتلوا يوم النهروان -وان كان ذلك أحد مظاهره ودوافعه-، بل كان عملاً مدروساً ومدبراً من قادة الخوارج، الذين أرادوا بذلك أن يهدموا إمامة علي بقتله[٦٠١].

ولعل هناك قرائن كثيرة تشير إلى إن الخوارج هم الذين خططوا ودبروا اغتيال علي ﷺ، وان ابن ملجم كان أداة تنفيذ الجريمة ليس غير، فقد أشار إلى ذلك ابن سعد وابن قتيبة والمبرد[٦٠٢]. وربما لم تكن خطة اغتيال الإمام علي ﷺ إلا حلقة في سبيل مطامح سياسية كانت الخوارج تحلم بتحقيقها. ويذكر المستشرق سايكس: إن الخوارج عملوا على إزاحة علي من طريقهم، لأنه كان يشكل عقبة كأداء أمام طموحهم في السيطرة على الدولة الإسلامية[٦٠٣].

ولعل ذلك الرأي محتمل، إذ أن الخوارج بعد أن كفروا علياً ومعاوية، أصبحوا -حسب اعتقادهم- يمثلون الفئة المؤمنة الوحيدة المؤهلة لقيادة العالم الإسلامي. وهذا الطموح السياسي والديني مما سيتجلى -فيما بعد- بحروبهم المتواصلة طوال العصر ، ولم يكونوا يستهدفون علياً فحسب، وإنما ابرز قادة المسلمين من قريش، أي أنهم كانوا يستهدفون إزاحة المرشحين لخلافة المسلمين ليخلوا لهم الجو بالانقضاض عليها. ومن

---

(٦٠١) يذكر البغدادي في الخزانة، (إن ملجم عند الخوارج أفضل أهل الأرض لأنه خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد) (البغدادي، خزانة،٤٣٦/٢)..

(٦٠٢) ابن سعد/ الطبقات،٣٥/٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ،١٣٧/١. المبرد/ الكامل،٩٢٦/٣..

(٦٠٣) سايكس/ تاريخ بيريسيا: ٥٣٥.

هنا فلم يدخلوا أبا موسى الأشعري ضمن أهدافهم، ورغم تكفيرهم له وتحميله وزر التحكيم وما نجم عنه[٦٠٤].

٧- ثم استمر خروج الخوارج في العهد حتى آخر خليفة لهم (مروان بن محمد)، وأول من حاربهم معاوية بن أبي سفيان، وذلك بعد الصلح الذي ابرمه مع الحسن بن علي ﷺ فحينما خرجوا عليه في العراق، هدد معاوية أهل الكوفة من أتباع علي ﷺ السابقين وبقية جنده في الكوفة، حينما طالبوه بالأمان والصلح، وقال لهم: لا أمان لكم عندي حتى تكفوني عدوي وعدوكم، وذلك بعد هزيمة جنده أمام الخوارج، فهب الكوفيون من أتباع العلويين لحرب الخوارج المجاورين لهم، فقالوا لهم، كيف تحاربوننا، ومعاوية عدوكم مثلما هو عدونا، ولكن الكوفيين استطاعوا هزيمتهم وتشتيتهم، انتقاماً منهم لقتلهم الإمام علياً ﷺ واستجابة لشرط معاوية، لإتمام الصلح معهم. واستمر خروجهم في العهد الزبيري وفي خلافة عبد ا لملك بن مروان، حتى عصر عمر بن عبد العزيز الذي استطاع أن يعقد هدنة معهم وان يقنع الكثير منهم بالعدول عن غلوهم وتصلبهم وتكفيرهم بقية المسلمين، إلا أن موت عمر بن عبد العزيز المفاجئ حال دون الاتفاق النهائي معهم، ثم عادوا إلى سابق عهدهم في الخروج على السلطان . ومن أشهر الخوارجِ في العصر :

١- قريب بن مرة الازدي وزحاف الطائي في زمن معاوية.

٢- مرداس بن أدية التميمي (أبو بلال) وخروجه في معوية ويزيد.

ومما ساعد معاوية من التقليل من خطر الخوارج وتقليص نفوذهم، ذلك الاستقرار الذي نعمت به الدولة الأموية بعد تنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخلافة، ثم حماس أتباعه في العراق في مقاتلة الخوارج، ولا ننسى دور ولاة العراق الذين استطاعوا بالشدة والعنف حيناً، والحكمة والحزم حيناً آخر، أن يحولوا دون تصاعد أمر هؤلاء الجماعة طوال عهد معاوية.

٣- نافع بن الأزرق (زعيم الفرقة الازرقية) ورجاء النميري وخروجهم على عبد الله بن الزبير.

٤- نجدة بن عامر الحنفي (زعيم النجدية) وأبو طالوت في اليمامة.

٥- صالح بن المسرح رأس الصفراية من الخوارج وخروجه زمن عبد الملك بن مروان.

---

[٦٠٤] د. نايف محمود معروف/ الخوارج في العصر الأموي: ١٠٦.

٦- شبيب الصفري وخروجه على الحجاج الثقفي والي العراق في عهد عبد الملك.
٧- بهلول بن مبشر الشيباني الملقب بكثّارة وخروجه في عهد هشام بن عبد الملك.
٨- سعيد بن بهدل الشيباني والضحاك بن قيس الشيباني في عهد مروان بن محمد.
٩- أبو حمزة الخارجي في أواخر العهد ، واحتلاله المدينة المنورة لمدة ثلاثة أشهر، حتى أخرجه مروان منها بعد هزيمة منكرة، وتابعهم في مراكز تجمعهم في اليمامة وحضرموت وعمان وغيرها في حروب ومعارك عديدة حتى اضعف شأنهم، قبيل سقوط الدولة الأموية، وكأن مروان كان يمهد للعباسيين وضعاً سياسياً أفضل بقضائه على تجمعات الخوارج وقادتهم في الجزيرة والعراق وفارس[٦٠٥].

وقد انتهى أمر الخوارج في أواخر العصر وانكسرت شوكتهم، ولم يعودوا يشكلون خطراً يذكر على كيان الدولة الإسلامية فيما بعد. ولكن يبدو أن نهايتهم كان مقدمة لنهاية حكم ين أيضا. ولعل الناظر في تاريخ الخوارج طوال العصر، يجد إنهم لم يتخلوا عن محاولاتهم العسكرية لإسقاط حكم بني أمية والاستيلاء على الخلافة الإسلامية.

ويلاحظ أن هؤلاء الخوارج الذين حملوا لواء الثورة المستمرة، واستطاعوا -أحيانا- أن يبسطوا سلطانهم على أرض فارس والعراق وبعض مناطق الجزيرة واليمن لم يتمكنوا بحال من الأحوال أن يجدوا لهم موطئ قدم في بلاد الشام وذلك لبعدها عن مراكز تجمعهم، ولأن نفوذ ين في تلك المناطق كان أقوى من أن يؤثر فيه دعاة الخوارج ومؤيدوهم[٦٠٦].

---

(٦٠٥) ابن الأثير/ الكامل، ٣٩٢/٥.المسعودي/ مروج الذهب،١٧٢/٣ وغيرها.
(٦٠٦) انظر د. نايف محمود/ الخوارج في العصر الأموي: ١٨٤.

أشهر أسماء الخوارج في صدر الإسلام

لقد عرفت الخوارج بألقاب عديدة قبل أن يعصف بهم التفرق والتمزق إلى جماعات تناصب بعضها العداء والتكفير، ولعل أشهر الألقاب التي عرفوا بها هي:

- الحرورية: نسبة إلى قرية تدعى حروراء (في ضواحي الكوفة) التي انحاز فيها الخوارج بعد قبول علي ﷺ التحكيم وعند رجوعهم من صفين إلى الكوفة، فسموا الحرورية بذلك[٦٠٧].

- المحكّمة: جاءت هذه التسمية من الشعار الذي رفعته الخوارج عند قبول علي ﷺ بالتحكيم، إذ قالوا يومذاك: (لا حكم إلا للّه، ولا حكم للرجال). فلما سمعها علي (ر ض) قال قوله المشهور (كلمة حق أريد بها باطل)[٦٠٨].

- المارقة: ويستند المسلمون في تسميتهم لهم بالمارقة إلى حديث ذي الخويصرة الذي جاء فيه: (سيخرج من ضئضيء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[٦٠٩].

ويكاد يجمع علماء المسلمين على أن هذا الحديث جاء في وصف الخوارج، وانه سماهم المارقة[٦١٠].

- الشراة: إن هذا الاسم بعكس الاسم السابق -المارقة- كان أثيراً عند الخوارج، وقد ظل يتردد على ألسنة شعرائهم طوال العصر [٦١١] لاعتقادهم أنهم شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم، وذلك بنصرهم لدين اللّه[٦١٢]. ولا يختلف الباحثون في أن الشراة هو لقب عام لجميع الخوارج، وانه من الألقاب المحببة إليهم[٦١٣].

- الخوارج: هو أشهر اسم عرف به هؤلاء الناس، حتى صار علماً مميزاً لهم عن غيرهم من الفرق الإسلامية. ولعل شيوعه جاء من اتفاق الجميع على استعماله وإشاعته، بضمنهم الخوارج أنفسهم، وإذا كانت الأمة الإسلامية قد رمتهم بهذا الاسم

---

(٦٠٧) اليعقوبي/ تاريخ،١٩١/٢. البغدادي/ الفرق بين الفرق :٦٧.

(٦٠٨) المقريزي/ خطط: ١٧٨.

(٦٠٩) الشهرستاني/ الملل والنحل ٢١/١.

(٦١٠) الملطي/ التنبيه والرد:٥١.

(٦١١) راجع ديوان الخوارج.

(٦١٢) انظر، المبرد/ الكامل، ٩٤٨/٣. المقريزي/ خطط :١٨١.

(٦١٣) الأشعري القمي/ المقالات والفرق،١/ ٢٠٦البغدادي/ الفرق: ٦٦.

البغدادي/ الخزانة،٤٤١/٢.

لخروجهم على إمامة مشروعة، فان الخوارج يرون في هذه التسمية معنى مخالفاً لما يراه خصومهم، كما يرون فيها دعما لحجتهم، واعتبروا خروجهم من ديار أعدائهم كخروج النبي ﷺ من مكة إلى دار هجرته، فقد قال احد الخوارج الازارقة: (انا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة)[٦١٤]. وكان زعيمهم عبد ربه يناديهم بقوله: (يا معشر المهاجرين)[٦١٥]. وعلى أساس هذا الاعتقاد، فإنهم يطلقون على أنفسهم لقب الخوارج، كما ردده بعض شعرائهم.

- النواصب: ذكر المقريزي في حديثه عن الخوارج، إنهم سموا بالنواصب، ربما لنصبهم العداوة لعلي ﷺ، وغلوهم في حب أبي بكر وعمر ﷺ[٦١٦].

- الراسبية: يروي المقدسي إن الخوارج بعد أن أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي سموا بالراسبية[٦١٧].

---

(٦١٤) الأشعري القمي/ المقالات: ١٧٣/١.

(٦١٥) المبرد/ الكامل، ١١٦٢/٣. مع أن النبي ﷺ يقول: (لا هجرة بعد الفتح) صحيح البخاري/ شرح ابن حجر،٥٣٠/٦.

(٦١٦) المقريزي/ خطط:١٧٢. الأشعري القمي/ مقالات،١٦٧/١. البشبيشي/ الفرق الإسلامية:٤١..

(٦١٧) المقدسي/ البدء والتاريخ، ١٣٦/٥.

عقائد الخوارج العامة:

لم تكن للخوارج عقائد خاصة بهم عند نشأتهم فالتفوا حول شعارات دينية تثير حماسهم وتحرك عواطفهم، وتدفعهم إلى التضحية والفداء، فقد ظل الشعار الذي رفعته الخوارج يوم صفين (لا حكم إلا للّه) لحقبة طويلة هو الراية التي يلتفون حولها، وهو النداء الذي يثير حميتهم، حتى يوطنوا أنفسهم على الموت طلباً للشهادة. ولم تقف الخوارج عند حد هذا النداء القرآني فحسب، بل طبقوه على مخالفيهم، فكفروا علياً وأصحابه، ومعاوية وناصريه، والحكمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص.

ولم يؤثروا من الخلفاء الأوائل إلا أبا بكر وعمر اللذين رأوهما إمامي حق. أما عثمان فلم ينج من تشنيعهم عليه بالكفر لسيرته في السنوات الست الأواخر من خلافته[٦١٨].

ولم يكتف الخوارج بتكفير غيرهم من المسلمين، بل نظروا إليهم نظرة المسلمين إلى عرب الجزيرة، فكان عليهم إما الإسلام وإما السيف، في حين كانت نظرتهم إلى غير المسلمين أكثر رحمة وإنسانية، إذ كانوا يرون المحافظة على أهل الذمة من اليهود والنصارى –في الوقت الذي كانوا يستبيحون دماء المسلمين– ويقولون: (أحفظوا ذمة نبيكم)[٦١٩].

ولم يكونوا يرون الإقامة بين مخالفيهم من المسلمين لاعتقادهم إن ديار السلطان هي ديار جور واستبداد، وان المقيمين بها هم أهل بدع مضلة.

وقد عرفت الخوارج منذ بداية أمرهم بالزهد والعبادة، حتى تقرحت جباههم من أثر السجود. وأثقل بعضهم على أنفسهم في العبادة، فجاوزوا حدود اللّه على عباده، وحملوا الناس ما هو فوق طاقتهم[٦٢٠].

وعلى الرغم من مظاهر العبادة والتقوى التي كان يتسربل بها الخوارج فان الإمام الحسن البصري كان يراهم أصحاب دنيا، لمقاتلتهم السلطان على السلطة

---

(٦١٨) المسعودي/ مروج الذهب،٨٧/٣. المبرد/ الكامل،٩٠٩/٣. الأشعري القمي، ١٦٧/١. ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة، ١١٣/٨.

(٦١٩) المبرد/ الكامل،٩٤٦/٣.

(٦٢٠) ابن الأثير/ الكامل،٤١٠/٣.السمعاني/ الأنساب:١٣٤.

والحكم وطموحهم الذي لا يحده حد[٦٢١]. فقد كان الخوارج –وبخاصة قادتهم– يقاتلون للوصول إلى الحكم والسلطان، عن طريق الثورة والعنف.

وقد اختلف أهل السنة بشأن أمانة الخوارج في نقل الحديث فقد رأى بعضهم أنهم اصح أهل الأهواء حديثاً، بينما حكا آخرون إن بعض الخوارج كانوا إذا هووا أمرا صيروه حديثاً[٦٢٢]. فنرى احمد بن حنبل يوثق عكرمة (مولى ابن عباس) ويروي عنه، بينما يضعفه آخرون لكونه صاحب نزعة خارجية.

ويبدو أن الخوارج ظلوا –في أول أمرهم– على رأي واحد، فكانوا يتولون أهل النهروان الذين يصفونهم كشهداء بدر عند المسلمين، كما كانوا يتولون كبيرهم أبا بلال مرداس بن أديه[٦٢٣].

إن الخوارج –في بدء أمرهم– لم يكونوا أصحاب نظريات عقيدية خاصة بهم، بل كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم الذين لم تكن قد تبلورت لديهم أفكار محددة واضحة يتميزون بها عن سائر المسلمين، وربما كان انشغالهم بالحروب المتواصلة قد حال بينهم وبين تبلور الأمور الفكرية، التي لم يتسن لهم ممارستها إلا في مرحلة متقدمة من العصر ، حين تسرب إلى عقائدهم طرف من المباحث الكلامية، كالكلام في الاستطاعة وخلق الأفعال والوعد والوعيد وغيرها.

أما أهم المحاور الأساسية لعقائد الخوارج التي تبلورت مع الزمن فأهمها، مفاهيمهم في:–

الإمامة، الإيمان والتوحيد، الوعد والوعيد، خلق القرآن، التأويل والقياس

وهي محاور قد تناولتها الفرق والمقالات والكتب التي بحثت في موضوع الخوارج[٦٢٤].

ولعل من المفيد أن نذكر ما ذكره القلقشندى حول عقيدة (إيمان) جميع الخوارج، التي تكشف لنا العديد من آرائهم وأفكارهم في كثير من الأمور المختلفة.

---

(٦٢١) التوحيدي/ البصائر:١٥٤.

(٦٢٢) ابن حجر/ التهذيب: ١٢٨/٨.

(٦٢٣) الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة: ٦٩.المبرد/ الكامل ١٠٣١/٣.

(٦٢٤)انظر مصادر الموضوع، الإبانة/ الأشعري، فيصل التفرقة/ الغزالي، الحور العين/ الحميري، المقالات والفرق/ الأشعري القمي، تاريخ الفرق الإسلامية/ الغرابي، التنبيه والرد/ الملطي، اعتقادات الفرق/ الرازي، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد، الإنصاف/ الباقلاني، الفرق بين الفرق/ البغدادي، الإيمان/ ابن تيمية، الكامل/ ابن الأثير، الكامل/ المبرد.

فعلى الرغم من إن هذه العقيدة الخارجية تتطابق في أصولها مع إيمان أهل السنة والجماعة، إلا أنهم يزيدون عليها، فيقولون: (.. وإلا أجزت التحكيم وصوبت قول الفريقين في صفين، وأطعت بالرضى حكم أهل الجور (يقصدون حكم علي ومعاوية) وقلت في إمارة بني أمية عدل، وان قضاءهم حق، ولقيت اللّه مثقلا بالأوزار، وقلت: إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كفر، وان قاتل خارجه (وهو نائب عمرو بن العاص، وقد قتل مكانه) آثم، وبرئت من فعلة قطام، وخلعت طاعة الرؤوس، وأنكرت أن تكون الخلافة إلا في قريش، وإلا فلا رويت سيفي من دماء المخطئين[٦٢٥].

وقد ظلت الخوارج على رأي واحد منذ أن فارقوا علياً ﷺ حتى العهد الزبيري، وتفرقهم عن عبد الله بن الزبير، بعد أن رفض دعوتهم للتحالف معه ضد ين في الشام. فقد كانوا حتى ذلك الحين يتولون أهل النهروان وزعيمهم مرداس بن أدية الذي جاء بعد ابن وهب الراسبي. وكانوا لا يختلفون إلا في صغائر الأمور[٦٢٦].

فلما عاد نافع بن الأزرق إلى البصرة –بعد فشل تحالف الخوارج مع ابن الزبير–، وجد الناس هناك قد اجتمعوا على حرب الخوارج، فلحق بالاحواز، ثم لحق به عدد من أتباعه. وأبى عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض الخروج معه وخالفاه، وبقي معهما رجال آخرون على رأيهما[٦٢٧].

ثم نشهد بعد ذلك انقسام الخوارج على أنفسهم، فبعد أن كانوا كتلة واحدة يجتمعون على رأي واحد، شجر الخلاف بينهم وأصبحوا على أربعة أضرب يتبرأ بعضهم من بعض. وبذلك ظهرت أربع فرق خارجية، يمكن اعتبارها الأصول التي تفرعت منها سائر الفرق الخارجية الأخرى. وهؤلاء الأصول هم:–

الازارقة، والنجدية، والاباضية، والصفرية[٦٢٨].

وهكذا نستطيع أن نؤرخ لظهور الفرق الخارجية بأوائل العهد الزبيري، دون أن يكون لعبد الله بن الزبير يد في نشأة هذه الفرق إلا ما كان من خذلانه للخوارج ورفضه دعوتهم، وما تركه هذا الموقف من أثر سياسي ومعنوي عليهم. والجدير بالذكر إن الخوارج الأُول كانوا من الغلاة والقتلة والمتصلبين بآرائهم، وقد خف هذا التوجه لديهم بعد أن ظهرت فرقهم الأصولية وبنت أصول عقائدهم على الأسس

---

[٦٢٥] القلقشندى/ أصبح الأعشى، ٢٢٥/١٣.

[٦٢٦] الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة:٦٩. المبرد/ الكامل، ١٠٣١/٣.

[٦٢٧] ابن الأثير/ الكامل،١٦٧/٤.

[٦٢٨] الأشعري القمي/ المقالات والفرق،١٨٣/١. الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة:٦٨.

الشرعية من القرآن والسنة وأراء السلف الصالح، وكذلك بعد الصراع الدامي مع السلطان والذي كانت نتيجته الفشل الذر يع في فرض نهجهم المغالي على المسلمين وذلك في محاولاتهم لاستلام الخلافة الإسلامية، فكانت بعض فرق الخوارج في العصر العباسي وما بعده، قد تقاربت مع الفرق الإسلامية الأخرى، وأصبح الخلاف في الأمور الاجتهادية، ولم يكن هناك ما يدعو إلى تكفيرهم وخروجهم عن الملة، سوى مسألة تكفيرهم لبعض كبار الصحابة. وهكذا كان منشأ الخوارج على يد الغلاة من قتلة عثمان والأعراب والغوغاء الذين ناصروهم، ثم انفصلوا عن أتباع ابن سبأ ليشكلوا حزباً سياسياً معارضاً للخليفة الشرعي الإمام علي ﷺ بعد قبوله التحكيم، وانتهى أمرهم في العصر العباسي، لينصهروا مع بقية الفرق الإسلامية، ويخرج من بينهم العلماء والمنظرون، وقد تركوا لنا كثيراً من الركام التكفيري الذي لازمهم طوال العصر ، باعتبارهم الفرقة الوحيدة المؤمنة بين بقية المسلمين الذين كانوا قد أحلوا دمهم.

الخوارج حزب سياسي

يمكن القول بناء على ما تقدم، إن نشأة الخوارج كانت لأسباب سياسية، وإنهم في البدء شكّلوا حزباً سياسياً، كان قادته من زعماء السبئية وبعض العاملين معهم من الأعراب وغيرهم، أما الطابع الديني الذي ستروا به دعوتهم، فلم يكن إلا ستاراً لإخفاء نوايا أولئك القادة، لأنه ما كان لحركة أن تنجح أو تجد لها أنصاراً في ذلك الوقت المبكر، إذا لم تتخذ الإسلام لبوساً والقرآن شعاراً، ولكننا في الوقت ذاته لا يمكننا تجاهل الكثير من القراء الذين انضموا إلى حزب الخوارج، وكان انضمامهم بدافع ديني لا سياسي دنيوي. ولكن ما يسترعي النظر، ويقلل من أهمية الأسباب الدينية التي كانت وراء نشأة الخوارج، أننا لا نجد صحابياً واحداً من المهاجرين أو الأنصار ينضم إليهم(٦٢٩) مع أنهم أولى الناس بذلك، كما إنهم أجدر الناس لحمل الدعوة للإصلاح الديني والسياسي معاً. ولو لم تكن دعوة الخوارج مشبوهة لما أجمع المهاجرون والأنصار على قتالهم، فيذكر القضاعي أن الخوارج ظهروا في وقت كان فيه كثير من أهل بدر والحديبية من المهاجرين والأنصار في المدينة والشام والعراق، فما خرج أحد منهم حرورياً بل كانوا يحدثون بعيب رسول اللّه إياهم، ونعتهم الذي نعتهم به(٦٣٠).

إن الخوارج –رغم أثر ابن سبأ في بداية نشاطهم السياسي– كانوا يمثلون ما عليه الأعراب من الجلافة والتعصب الأعمى لآرائهم، يصل إلى حد رمي المخالف لهم بالكفر أو الفسوق، مع الجرأة في التصريح بالرأي المخالف وعدم السكوت على ما يرونه باطلاً، وهم يضعون فهمهم للدين الموضع الأول ويكفرون المخالف ولو بالأعمال، وهذه الظاهرة المتطرفة تهدم الدين من الداخل، وتولد التشتت والانتقائية في التعامل مع النصوص والأحكام.

إن الطابع السياسي والعسكري ظل يغلب على تحركات الخوارج الحربية، إلى أن خرج من بينهم علماء وفقهاء مزجوا نظرياتهم السياسية بمعتقدات دينية في مرحلة متقدمة من العصر ، ويبدو أنهم بعد أن عجزوا عن تحقيق أهدافهم السياسية بقوة

---

(٦٢٩) ابن الجوزي/ تلبيس إبليس: ٩٢.

(٦٣٠) القضاعي/ فرقان القرآن:٦٤.

السلاح العسكري، عكفوا على الانشغال بالدراسة المذهبية والدينية، فأنتجوا كثيراً من المؤلفات الفقهية والكلامية، واستحالوا فرقة دينية خالصة[٦٣١].

(٦٣١) ابن النديم/ الفهرست:١٨٨٢،٢٣٦، وانظر: جولد زيهر/ العقيدة والشريعة:١٧٢.
والجدير بالذكر إن فرق الخوارج المعاصرة لا ينطبق عليها نفس منظور الخوارج في صدر الإسلام، إذ تشكل اليوم جزءا من الفرق الإسلامية الأخرى ذات الانتماء الإسلامي المحدد، بعدما زال عنها –عبر الزمن– الغلو والتطرف والتكفير واستحالت إلى مذاهب إسلامية لا تختلف كثيرا عن بقية مذاهب الجمهور والأمامية كالاباضية في عمان والجزائر وغيرها.

مقارنة بين السبئية والخوارج

السبئية	الخوارج
رأس السبئية: عبد الله بن وهب بن سبأ اليمني.	رأس الخوارج: عبد الله بن وهب الراسبي اليمني.
اشترك قادة السبئية في حصار عثمان وقتله.	اشترك بعض قادة الخوارج في حصار عثمان وقتله.
إن جذور السبئية تعود إلى يهود المدينة في عصر النبي ﷺ	إن جذور الخوارج تعود إلى المارقين وبعض الأعراب من أحفاد ذي الخويصرة وأمثاله.
اشترك قادة السبئية في إشعال حرب الجمل.	اشترك بعض قادة الخوارج في إشعال حرب الجمل.
أثناء التحكيم في صفين فرض معظم قادة السبئية على الإمام علي قبول التحكيم وهددوا بقتله إن لم يفعل.	أثناء التحكيم بعد صفين رفض بعض قادة الخوارج التحكيم، وهددوا بقتل الإمام علي إن قبل التحكيم ونفذوا تهديدهم على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي.
ظهرت السبئية على المسرح السياسي في عهد علي ﵁ وبعد مقتل عثمان ﵁ مباشرة، وكانوا جزءاً من جيش الخلافة وهم الغوغاء والغلاة الذين شاركوا في قتل عثمان ﵁، وكانوا في معظمهم من مصر والبصرة والكوفة.	ظهرت الخوارج على المسرح السياسي في عهد علي ﵁ وبعد التحكيم في صفين مباشرة، وكانوا قبلها جزء من جيش الخلافة وهم الأعراب من الغوغاء والغلاة الذين شاركوا في قتل عثمان ﵁، وكانوا في معظمهم من أعراب مصر والبصرة والكوفة.
يؤلهون علياَ ويكفرون الخلفاء الثلاثة ويرفضون خلافتهم ولذلك فهم أول من سمي بأسم (الروافض).	يكفرون الصهرين عثمان وعلياَ ويوالون الشيخين أبا بكر وعمر. ويناصبون العداء لغيرهم من المسلمين وعلى رأسهم الإمام

قاتلهم الإمام علي بعد أن أظهروا بدعة تأليهه وتكفير الشيخين، وحرقهم ونفى بعضهم -ومنهم عبد الله بن سبأ- إلى المدائن، كما حاربهم أئمة أهل البيت وخلفاء المسلمين -فيما بعد-.

وجد السبئيون في أواخر عهد عثمان واستطاعوا أن يجمعوا لهم أنصارا في مصر والبصرة والكوفة للتمرد على الخليفة واستثمروا نزعة التشدد لدى المارقين والأعراب وتحالفوا معهم للقضاء على الخليفة عثمان ﷺ. ثم حدث الفراق بينهما بعد اغتيال الخوارج للإمام علي، وتأصل بعد أن قاتل أهل الكوفة الخوارج تحت راية معاوية، إذ قال لهم: لا أمان لكم عندي حتى تقاتلوا الخوارج، فتعاونوا مع ين على قتالهم واستئصال شأفتهم في العراق وفارس.

هم غلاة الروافض ويحسبون من فرق الغلاة. وقد رافقهم الغلو والتقديس والتأليه لأئمة أهل البيت وسب الصحابة وتكفيرهم طوال تاريخهم.

السبئية حزب سياسي باطني يتستر بشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالاة أهل البيت وتقديسهم لهدم الإسلام، وتمزيقه إلى فرق متناحرة، وإثارة الفتن والصراع بين

علي وأهل البيت لذلك سموا (النواصب).

قاتلهم الإمام علي في النهروان وغيرها وقتل جمعاً كبيراً منهم وتراجع عدد منهم عن خارجيته، ويروى أن عبد الله بن وهب قد قتل في النهروان مع الكثير من قادة الخوارج. كما قاتلهم الخلفاء ون -فيما بعد-.

الخوارج اسبق وجوداً من السبئية، فالمارقون أمثال ذي الخويصرة وغيره من الأعراب الأجلاف وجدوا منذ عصر النبي ﷺ والشيخين، ولكن السبئية استطاعوا تعبئتهم للفتنة والثورة على عثمان. ثم حدث الفراق بينهما بعد اغتيال الإمام علي. وتأصل بعد أن نجح معاوية في ضرب الخوارج بأهل الكوفة (وكان فيهم الغلاة والسبئية مع أتباع علي). وكان الخوارج يقولون للكوفيين:أليس معاوية عدونا وعدوكم، ولكنهم قاتلوهم لإمضاء الصلح مع ين وللثأر من قتلة الإمام علي وأعوانهم.

هم غلاة النواصب يحسبون من فرق الغلاة. وقد رافقهم الغلو والتكفير لغيرهم من المسلمين وعلى رأسهم أهل البيت والصحابة -عدا الشيخين-.

الخوارج -في مبدئهم- حزب سياسي ترعرع في ظل أجواء الفتنة ثم تبلور بعد مقتل علي ﷺ، ثم كون تياراً دينياً متطرفاً في العصر ورفع شعار (إن الحكم إلا لله لا للرجال) وتكفير صاحب الكبيرة وإلغاء

المسلمين.

ازداد النفوذ السبئي بعد مقتل الحسين عليه السلام وظهور حركة التوابين في الكوفة، وتفاقم دور المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة، وقرب السبئيين، وكان يدعو باسم محمد بن الحنفية وأتباعه (الكيسانية) وقد ضعف أمرهم بعد استتباب الأمر لعبد الملك على يد الحجاج في العراق والحجاز في نهاية العهد الزبيري.

كانوا أساس الشغب والفتن في عصر الصهرين وكان ابن سبأ يتظاهر بتقديس وتأليه علي رضي الله عنه ويعارض أفكاره في نفس الوقت وكان يكره الإمام علياً وأصحابه.

السبئية فرقة هالكة منحرفة خارجة عن الإسلام باتفاق العلماء، ولذلك احرقهم الإمام علي وحارب غلوهم، وبقية خلفاء المسلمين.

إن أول من اتهم أهل الكوفة وأتباع أهل البيت بأنهم سبئية هم الخوارج بعد أن قاتلوهم تحت راية معاوية، ثم تبعهم خصومهم التقليديون، ثم المستشرقون في العصر الحالي، والسبئية ليست أصل التشيع كما يحاول أن يشيع الأعداء ويتوهمه الجهال، إذ أن التشيع في أصله حزب سياسي يوالي أهل البيت ويطالب بحقهم في الخلافة مرتبة الفسوق، كما رفعوا شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً.

تحول الخوارج في العصر إلى تيار صدامي وفكري، وقام بالعديد من الأعمال المسلحة والتخريبية في الحجاز والعراق وفارس، كان أبرزها احتلال المدينة على يد أبي حمزة الخارجي لمدة ثلاثة أشهر في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء ين، وغيرها من أحداث الخروج على الحكم والصدام المسلح الذي استنزف طاقة الدولة الإسلامية.

كانوا من أشد المعارضين للإمام علي بعد قبوله التحكيم وقد كفّروا الصهرين كما هو معروف.

إن الخوارج في صدر الإسلام، فرقة هالكة منحرفة خارجة عن الإسلام، اتفق العلماء على قتالهم وإباحة دمائهم ولذلك حاربهم الإمام علي ومعاوية وغيرهم.

ظل الخوارج طوال العصر في صدام مسلح مع الدولة الأموية حتى ضعف شأنهم في أواخر العصر بعد الهزائم المتكررة التي لحقت بهم. فاختلطوا في العصر العباسي مع بقية التيارات الإسلامية الفكرية والسياسية وشكّلوا فرقاً عديدة لا تمت بصلة إلى الخوارج في صدر الإسلام إلاّ من حيث الشكل والاسم، ثم استحالوا فيما بعد إلى مذاهب لا تختلف

ويتبعهم في العبادة والمذهب، ومن أشهر مذاهبهم الزيدية والجعفرية، أما الإسماعيلية فقد اندمجوا مع الغلاة وأصبحوا جزء منهم في العصر العباسي، وكونوا فرق الغلاة من قرامطة وفاطمية وغيرها.

كثيراً عن مذاهب الجمهور والأمامية، بعد أن نبذوا التشدد والغلو والتكفير، واشتهر هذه المذاهب اليوم الاباضية والظاهرية وأمثالهما.

إن هذه القناعات تعبر عن وجهة نظر قابلة للخطأ والصواب والأخذ والرد، وجديرة بأن تبحث ضمن محاور المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام، التي سماها البعض خطأً (الفتنة الكبرى) تمويهاً على أن أصل الخلاف والصراع كان سببه فتنة عصفت بالمسلمين من الداخل – وعلى رأسهم الصحابة – أو نتيجة تأثير المادة والصراع على الحكم والسلطة، جرياً وراء الفكر الإستشراقي والنزعة الغربية الميكافيلية في تفسير التاريخ والأحداث السياسية عموماً، متناسين دور الأعداء في الخارج، وأثر القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف في جيل أهل البيت والصحابة والمسلمين عموماً في صدر الإسلام.

المؤامرة الكبرى بين الأمس واليوم

لم يهدأ ذلك العداء التقليدي والتاريخي بين الأعداء التقليديين والعالم الإسلامي عبر التاريخ حتى اليوم. كما لم يهدأ أو يتوقف تآمرهم مجتمعين ومنفردين طوال حقب التاريخ الطويلة منذ أربعة عشر قرناً حتى الآن، فنرى أحفاد هؤلاء الأعداء اليوم، متحالفين متفقين على ضرورة محاربة هذا الدين بكل ما أوتوا من قوة، ونرى الغرب الاستعماري والصهيونية العالمية والشعوبية التي تدعم الطائفية، تعمل بدقة مع تيارات الغلو والتطرف والنفاق والنظرة المصلحية، لتشكل وحدة تآمرية ذات تحالف استراتيجي لا ينفك مهما تغيرت الظروف والأحداث والأحوال. ولعل أبرز الأحداث التي صورت اتفاقهم على حرب الإسلام في العصر الحديث، إسقاط الخلافة العثمانية، والتمهيد لزرع الكيان الصهيوني في فلسطين، وحرب الخليج بين العراق وإيران، واحتلال منابع النفط في الخليج بعد حرب الخليج الثانية بين قوات التحالف الغربي والعراق، ومحاربة التيار الإسلامي في السودان والجزائر وتركيا وأفغانستان والهند والبوسنة والشيشان وغيرها كثير، ولقد كان دور الغرب والصهيونية في كل ذلك واضحاً، فضلاً عن دور الشعوبية والطائفية في تمزيق وحدة الأمة، يساعدهم الغلاة وأهل النفاق والمصالح والعملاء الذين لا يهمهم سوى الحفاظ على مناصبهم ومصالحهم وإرضاء شهواتهم وامتيازاتهم والتعصب لأفكارهم وعقائدهم المتطرفة المريضة.

أما الدور العدائي لتلك القوى عبر التاريخ -كل على حدة-، فيتضح من خلال استقراء أحداث التاريخ منذ عصر صدر الإسلام حتى اليوم، فالحروب الصليبية لم تنقطع ولم تهدأ، متخذة أشكالا عديدة من العدوان العسكري والحملات الاستعمارية التي شملت بلاد الأندلس وفلسطين واحتلال القدس الشريف، وبلاد المغرب ومصر والسودان والهند وبلاد الشام والعراق وغيرها من بلاد الإسلام، وكان أخر هذه الحملات حرب الخليج لتدمير البنية التحتية والاقتصاد الوطني لعدد من دول الإسلام، ثم ما صاحب ذلك من أساليب الحرب الاقتصادية والحصار الجائر لعدد من الأقطار العربية، ومن أشكال الحرب الصليبية التي يشنها الغرب المستعمر على العالم الإسلامي، حملات التبشير في إفريقيا وآسيا ومحاولة ربط بلدان العالم الإسلامي بالغرب من خلال الانتماء الديني، وما يواكب ذلك من الرعاية الصحية والتعليمية وتسخير كل ذلك لخدمة التبشير ومن ثم الاستعمار، ومن الأشكال الأخرى

ربط دول العالم الإسلامي بعجلة الغرب بإنشاء أنظمة عميلة مرتبطة ببعض دول الغرب، والاستعانة بالجواسيس والعملاء الذين يعملون لصالح الغرب بالارتزاق أو الانتماء الفكري، ومن تلك الأساليب الخبيثة، الغزو الثقافي والفكري والأخلاقي، عبر وسائل الإعلام وشبكات الصحف والمجلات والكتب والسينما والمسرح والتلفزيون ومفاهيم العولمة الغربي التي يبثها الانترنيت وغيرها من الوسائل المؤثرة على العقل المسلم، في محاولة لتغيير الهوية الإسلامية بالهوية الغربية .

أما دور اليهود عبر التاريخ فهو غير خاف أيضا في التاريخ الإسلامي، منذ مقتل عثمان ﷺ ، وظهور الحركات السبئية والتيارات الغالية والباطنية والمتعصبة، ومروراً بالتنسيق مع المجوسية في إنشاء الحركات الهدامة في العصر العباسي، ودور يهود الخزر في روسيا وأوربا الشرقية في توجيه العداء السافر ضد العالم الإسلامي في العصور الوسطى وما تلاها، ودور يهود الدونمة (الأتراك) في إسقاط الدولة العثمانية[٦٣٢]، ثم دور الصهاينة في التعاون مع الغرب المستعمر لتمزيق العالم الإسلامي، وأخيرا إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين والسيطرة على مقدرات العرب من خلال إثارة الفتن والحروب ونشر الفساد والأفكار المنحرفة في العالم العربي والإسلامي في العصر الحاضر .

أما الشعوبية التي هي وريثة المجوسية والمزدكية والأحلام الكسروية، فقد كان لها شأن خبيث آخر في التاريخ الإسلامي، إذ مهدت لنفسها لتقوم بدور مؤثر في أحداث التاريخ، بتغلغلها في الحركات الغالية والباطنية والإباحية، وكانت من أسباب سقوط الدولة الأموية، مما مهد للشعوبيين أن يكون لهم نفوذ قوي في العصر العباسي، كان من أشكاله استلامهم الوزارة في زمن الرشيد والمأمون وغيرهما، على يد البرامكة وآل سهل، كما مهد ذلك لتغلغلهم في الحركات الباطنية الغالية كالخرمية والقرامطة والتيارات الإسماعيلية باسم الدعوة لآل البيت، ثم سيطرتهم على مقاليد السلطة في العصر العباسي الثاني، وفي العصر البويهي بالتحديد، وكان للشعوبية الدور البارز في احتلال بغداد على يد المغول، وذلك بعد تآمر مؤيد الدين بن العلقمي (الوزير العباسي الشعوبي المعروف) في زمن آخر خلفاء بني العباس في بغداد المستعصم بالله، إذ كان أحد عيون هولاكو على مركز الخلافة في بغداد، وهو الذي نصح المستعصم بالاستسلام وأعطاه الأمان حيلة وغدراً بالاتفاق مع هولاكو.

---

(٦٣٢) راجع كتاب: اليهود والدولة العثمانية/ د. احمد النعيمي، ط١. بغداد ١٩٩٠.

ثم تفاقم الخطر الشعوبي الحاقد على العروبة والإسلام في مطلع العصر الصفوي، وذلك بسيطرة الصفويين الشعوبيين على أصقاع واسعة من بلاد المشرق الإسلامي، ونشر الاستبداد الديني والطائفي وسب الصحابة في الأراضي الواقعة تحت سيطرتهم، وتحالفهم المشين مع دول أوربا الغربية ضد الدول الإسلامية الأخرى، وفتح باب الصراع الدموي المرير بين المسلمين لمدة تزيد على ثلاثة قرون، بينهم وبين الدولة العثمانية، مما جعل المشرق الإسلامي مسرحاً رهيباً لحروب طاحنة أودت بحضارته وقوته على كافة المستويات. حتى أصبحت هذه المناطق من أكثر مناطق العالم تخلفاً وهمجية، كما كانت هذه السياسة الشعوبية المعادية للإسلام والتعصبية المتعطشة للدماء، إحدى الأسباب المهمة لسقوط الدولة العثمانية وسقوط الدول العربية فريسة سهلة بيد الغرب المستعمر، مما كان من الأسباب الممهدة لقيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة.

أما دور المحور الرابع، محور الغلو والنفاق والمصلحية، فلم يكن اقل خطراً من المحاور الثلاثة السابقة، بل كان الأداة المنفذة لما يخططه الأعداء، وقد أفرز هذا المحور تيارات وفرقاً انفصلت مع الزمن عن جسم الأمة المسلمة، وأصبحت معاول هدم وتمزيق للأمة، كالحركات الباطنية والمزدكية والقرمطية والإسماعيلية والمرجئة وغيرها، وقد ظهرت في العصر الحديث فرق شعوبية من نمط جديد تدعو أيضا إلى احتقار العروبة والإسلام وإهمال التراث الإسلامي، كالبربرية والفرعونية والفينيقية والآشورية والسامية والكسروية والطورانية والعلمانية، وبقية التيارات العرقية التي يرعاها الغرب وربيبته الصهيونية ويتبناها بعض شراذم الشعوبية وأهل الغلو والنفاق من المسلمين.

إذن فان التحالف الرباعي القديم المؤلف من (الروم – اليهود – المجوس – الغلاة) قد ورثه اليوم الرباعي المعاصر (الغرب الصليبي– الصهيونية – الشعوبية – الغلاة) لممارسة الدور ذاته في الهدم والإفساد بهدف القضاء على الإسلام ديناً ودولة وحضارة وأخلاقا، فإذا كان عدونا لم يتغير منذ أربعة عشر قرناً، ولم يغير إلا جلده واسمه أحيانا، فان أولى مراحل التصدي له، هو معرفته وتشخيصه، ومن ثم معرفة منهجه وأسلوبه وخططه، ثم توحيد الصف وتفويت الفرصة لنشر سمومه بيننا، وأخيرا التصدي له والانتصار عليه، ولا يتم ذلك إلا بالرجوع إلى تعاليم القرآن الكريم وهدي المصطفى ﷺ والاعتصام بحبل اللّه ومنهجه القويم الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال والتسامح والإخوة، والتسابق في طريق الربانية والقرآنية والحياة في ظل

الكتاب والسنة، لتكوين الأمة المسلمة التي تسري بها روح الإيمان، وتتصف باليقظة والكياسة والحكمة والقوة والمرابطة والإخوة والمحبة والعزة الإيمانية، كما أمرنا اللّه تعالى في كتابه العزيز: ﴿ولتكن منكم امة، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾[٦٣٣]. وإننا هنا حين نشجب ونحارب الخصومة والتعصب والطائفية البغيضة، وندعو إلى التسامح الإنساني والتعايش البناء والمذهبية السمحة، ونسعى لبناء الأسس القويمة للوحدة والإخوة والمحبة بين المسلمين... نتطلع مع كل ذلك إلى ما هو ارفع وأزكى، وصولا إلى القرآنية والربانية، ليتسامى المسلم صعوداً إلى الدرجات العلى في ظل تعاليم القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف واستلهام التراث الصادق للسلف الصالح لهذه الأمة، وعلى رأسهم أهل البيت والصحابة، الذين استقوا من ذلك النبع الصافي، فكانوا خير امة أخرجت للناس، فننتقل -بأذن اللّه- من المذهبية السمحة إلى القرآنية المنيرة، وليكن المسلم بعدها سنياً أو شيعياً، سلفياً أو صوفياً، حنفياً أو حنبلياً، جعفرياً أو شافعياً، زيدياً أو مالكياً، فكلها معارج مباركة لفهم الدين القويم والتعبد وفق تعاليمه الربانية، إذا استقت من ذلك القبس والنور الإلهي، الذي انزل على قلب المصطفى ﷺ، فكان الوحي هو المنار الهادي إلى سواء السبيل، فتلألأت حضارة القرآن تنشر النور والحق في أرجاء المعمورة، وتنير الطريق للبشرية لكي تحيى في كنف اللّه سبحانه.

[٦٣٣] آل عمران/ ١٠٤

خاتمة الكتاب

إن هذا الكتاب يسلط الضوء ويوجه الأنظار إلى الدور التآمري للقوى الخفية على دولة الإسلام منذ بزوغ فجره ونوره على الأرض، ومحاولة طرح موضوعات بصيغة فتح ملفات أو إعادة محاكمة للذين كانوا وراء اغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة ومشيراً إلى ما يأتي:

١- إن اغتيال عمر وعثمان وعلي والحسين كان بيد أثيمة واحدة.

٢- إن هذه الأصابع الخفية والقوى التي تحالفت لهدم الإسلام كانت وما تزال تعمل بنفس المنهج وتشكل تحدياً وتحالفاً مستمراً ضد الإسلام حتى اليوم.

٣- إن هذا التحالف الذي يتضمن اليهود والروم والمجوس يسانده في معقل الإسلام وينفذ خططه تيار الغلو والنفاق والمصالح ليشكل على الدوام تحالفاً رباعياً خبيثاً، كان وراء الكثير من النكبات والأحداث الأليمة في التاريخ الإسلامي.

٤- إن ابن سبأ والسبئية حقيقة تاريخية لا تقبل الجدل، وإنها أصل التآمر اليهودي على الإسلام وأداة فعالة بيد الأعداء، كما إنها أصل تيارات الغلو في التاريخ الإسلامي.

٥- إن تشخيص العدو مدعاة للوحدة والتقارب والتكاتف بين المسلمين مذاهب وإفراداً، لصد عدوانه وكشف تآمره، وتحذير بقية المسلمين من مغبة الانغماس في الغلو والتكفير والتعصب وحب الدنيا، لكي لا يتحولوا -مع الزمن- إلى مطية بيد الأعداء من حيث يشعرون أو لا يشعرون. وذلك مدعاة. -أيضا- إلى التوازن والوسطية والتكامل والقرآنية بما تعنيه من استلهام تعاليم القرآن الكريم وهدي المصطفى ﷺ بعيداً عن الغلو الذي لا يأتي بخير ويؤدي إلى الفرقة والخصومة والتكفير والطائفية..

قال الإمام الصادق عليه السلام:

(إياكم والخصومة في الدين، فإنها تحدث الشك وتورث النفاق).

٦- إن الإسلام اليوم يواجه ذلك التحالف ممثلاً بالغرب المستعمر والصهيونية والشعوبية والغلاة، وان سقوط الدولة العثمانية واستعمار ارض الإسلام وإيجاد إسرائيل على ارض فلسطين، هي من تآمرهم على الإسلام في العصر الحديث، وقد اتخذوا من إسرائيل مرتكزاً سياسياً لنشر الفساد والهدم في جسم الأمة.

ومن الطائفية مرتكزاً فكرياً لتحقيق أهدافهم الإستراتيجية وأحلامهم في القضاء على رسالة الإسلام.

ولكن هيهات للشيطان وأوليائه أن يجنوا غير الخزي والخسران.

قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

المؤلف في سطور

المؤلف هو باحث عراقي ولد في ديالى/ بلدروز، سنة ١٩٥٤م..

أكمل دراسته الجامعية في كلية الهندسة/ جامعة بغداد سنة ١٩٧٦، وعمل مهندسا ثم مديرا لدائرة الصيانة والخدمات في إحدى منشآت وزارة الصناعة والمعادن حتى سنة ١٩٩٢م، ثم أحيل على التقاعد في تلك السنة..

أعتقلته أجهزة الأمن السرية في عهد صدام عام١٩٩٥م لمدة سبعة أشهر.

تفرغ للبحوث والدراسات التاريخية والقرآنية لمدة ٢٥ سنة.

ويتمحور فكر المؤلف ومشروعه الحضاري في ثلاثة محاور قرآنية تجديدية رئيسية هي:

١- **محور الإعجاز العلمي وقد طبع له فيه أكثر من عشرة مؤلفات خلال السنين ١٩٨٦ – ١٩٩٦م.**

٢- **محور الوحدة والتقريب الإسلامي وعلاج الطائفية، وقد طبع له فيه أكثر من عشرين كتابا في بغداد وعمان والقاهرة والدوحة ودمشق، منذ سنة ١٩٩٤ – ٢٠٠٦م.**

٣- **محور الهوية والانتماء الحضاري للأمة، وأبحاث في لغة القرآن والتأكيد على فهمه فهما عصريا بلسان عربي مبين، وتعريف الإسلام العربي الرباني، والتأكيد على وحدة الأصل البشري والحضاري، لغة وعقيدة وجنسا، وقد طبع له في هذا المجال مؤخرا كتابان مهمان في عمان ودمشق، هما:**

- كتاب في آفاق عولمة اللغة والتاريخ.. لغة آدم ولغة القرآن وأثرها في لغات العالم، طبع عمان/ عالم الكتب الحديث ٢٠٠٨م.
- كتاب الانتماء الحضاري والهوية الثقافية في ضوء عروبة القرآن.. أو الإسلام العربي، طبع دمشق/ دار يعرب ٢٠٠٨م.

٤- إضافة إلى كتب وبحوث عديدة في مجال التراث والتاريخ وعلوم القرآن وبعض الكتب الهندسية (مجال تخصصه الوظيفي). وكتب المدرس عشرات المقالات التراثية والإسلامية في الصحف والمجلات العراقية والمواقع العربية والإسلامية، منها مجلة المفكر الإسلامي ومجلة الكوثر جريدة الزمان، وموقع هدي الإسلام وموقع الإسلام أون لاين وغيرها.. وطبع له أكثر من أربعين كتابا في بغداد وعمان والدوحة والقاهرة ودمشق وبيروت، أهمها:

١- الظاهرة القرآنية والعقل ط. بغداد سنة ١٩٨٦م.

٢- النبوءة والإعجاز في القرآن والسنة ط.بغداد سنة ١٩٨٨م.

٣- الوصايا الخالدة في القرآن الكريم ط.بغداد سنة ١٩٩٢م.

٤- النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة ط.بغداد وعمان والدوحة والقاهرة خلال السنين ١٩٩٨ – ٢٠٠٦م.

٥- ثقافة الوسط ط. بغداد وعمان سنة ٢٠٠٤– ٢٠٠٦م.

٦- الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة ط. بغداد وعمان ١٩٩٩م– ٢٠٠٥م.

٧- أقباس من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ط. بغداد٢٠٠١م.
٨- أقباس من أثر القرآن في التاريخ والحضارة والتراث ط. بغداد ٢٠٠١م.
٩- تراث الأنبياء بين العلم والقرآن والتوراة ط. بغداد سنة٢٠٠٠م.
١٠- تحت رماد الحرب العاصفة ط. بغداد وعمان وبيروت ودمشق سنة الطبع ٢٠٠٣م/ ٢٠٠٤م.

العضوية في النقابات والجمعيات:

١. عضو نقابة المهندسين العراقية رقم ١٢٥٣٥ سنة ١٩٧٦.
٢. عضو اتحاد المؤرخين العرب منذ سنة ١٩٩٨م.
٣. عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق منذ سنة ١٩٩٩م.
٤. عضو جمعية الناشرين العراقيين منذ سنة ٢٠٠١م.
٥. عضو جمعية الصحفيين العراقية منذ سنة ٢٠٠٣م.
٦. عضو جمعيتا الآداب والتربية الإسلامية/ بغداد.
٧. عضو جماعة الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية/ كربلاء.
٨. عضو جماعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ بغداد.
٩. عضو التجمع الدستوري العراقي/ بغداد.
١٠.عضو في المنتدى العالمي للوسطية/ عمان.

المصـادر

١- القرآن الكريم.
٢- الأحكام السلطانية/الماوردي،أبو الحسن علي بن محمد، ط.القاهرة١٢٩٨م
٣- الأخبار الطوال/ احمد بن داود الدينوري الأمامي، ط. القاهرة ١٩٦٠م.
٤- الاختصاص/الشيخ المفيد،محمد بن النعمان العكبري،ط.طهران١٣٧٩هـ.
٥- أراء الخوارج/ د. عمار الطالبي.
٦- الإسلام والدعوات الهدامة/ أنور الجندي.
٧- أصول الإسماعيلية/ برنارد لويس، ط. مصر.
٨- أضواء على السنة المحمدية/ محمود أبو رية.
٩- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط. مصر ١٩٣٨م.
١٠- أعيان الشيعة/ محسن الأمين، ط. بيروت ١٩٦٠م.
١١- الأغاني/ أبو الفرج الأصفهاني، ط. بيروت ١٩٥٥م.
١٢- الإمامة في الإسلام/ عارف تامر (اسماعيلي)، ط. بيروت.
١٣- الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)/ ابن قتيبة الدينوري،ط.مصر ١٩٦٧م.
١٤- الأمة الوسط/ علاء الدين المدرس، ط. بغداد/ القاهرة ٢٠٠٥-١٩٩٨م.
١٥- أمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع /المقريزي، ط. القاهرة ١٩٤١م.
١٦- الأنساب/ السمعاني، عبد الكريم بن محمد التميمي، ط. الهند.
١٧- أنساب الأشراف/ البلاذري،أبو الحسن احمد بن يحيى، ط.القاهرة١٩٥٩م.
١٨- الإيمان/ ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم الحراني، ط. مصر.
١٩- البيان والتبيان/ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ط. القاهرة ١٩٥٦م.
٢٠- تاريخ دمشق/ ابن عسكر.
٢١- تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)/ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي، ط. القاهرة.
٢٢- التاريخ الإسلامي ومذاهب التفسير المادي/ محمد فتحي عثمان.
٢٣- تاريخ الأمامية/ عبد الله الفياض، ط. بغداد ١٩٧٠م.

٢٤- تاريخ المسعودي(مروج الذهب)/أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، ط.مصر.
٢٥- تاريخ الأمم الإسلامية/ محمد الخضري بك.
٢٦- تاريخ البشرية/ جزءان/ ارنولد توينبي، ط. بيروت ١٩٨٨م.
٢٧- تاريخ الخلفاء/ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ط. القاهرة ١٩٣٢م.
٢٨- تاريخ المذاهب الإسلامية/ محمد أبو زهرة.
٢٩- تاريخ الشعوب الإسلامية/ كارل بروكلمان، ط. بيروت ١٩٦٨م.
٣٠- تاريخ الطبري(الرسل والملوك)/ ط. القاهرة ١٩٦٠م.
٣١- تاريخ سقوط واندحار الإمبراطورية الرومانية/ أدوارد جين.
٣٢- تاريخ اليعقوبي/ احمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ط. بيروت ١٩٦٠م.
٣٣- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام/ إسرائيل ولفنسون، ط. مصر ١٩٢٧م.
٣٤- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين/ الاسفرايني، ط. القاهرة ١٩٥٥م.
٣٥- التشيع العلوي والتشيع الصفوي/ د. علي شريعتي.
٣٦- تعريف الشيعة/ السيد عبد الرزاق الحسني، ط. النجف.
٣٧- التفسير الإسلامي للتاريخ/ د. عماد الدين خليل، ط. بغداد.
٣٨- تلبيس إبليس/ ابن الجوزي، أبو الفرج قدامة بن جعفر ط. مصر ١٣٤٧هـ.
٣٩- تلخيص الشافي/ الطوسي، ط. النجف ١٩٦٣م.
٤٠- التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة/ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، ط. القاهرة ١٩٤٧م.
٤١- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان/ المالقي، محمد بن يحيى بن ابن بكر الأشعري الأندلسي، ط. قطر ١٩٨٥م.
٤٢- التنبيه والإشراف/ المسعودي، ط. مصر.
٤٣- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع/ الملطي، أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن، بيروت ١٩٦٨م.
٤٤- تنقيح المقال في علم الرجال/ المامقاني.
٤٥- تهذيب تاريخ دمشق/ ابن عساكر علي بن الحسن الدمشقي، ط. دمشق ١٣٤٩هـ.

٤٦- تهذيب التهذيب/ ابن حجر العسقلاني، ط. حيدر آباد – الدكن ١٣٢٥هـ.
٤٧- جمهرة انساب العرب/ ابن حزم الأندلسي – تحقيق: عبد السلام هارون، ط. مصر ١٩٦٢م.
٤٨- الحور العين/ الحميري، ط. القاهرة ١٩٤٨ م.
٤٩- ابن سبأ حقيقة لا خيال/ د. سعدي الهاشمي.
٥٠- خزانة الأدب ولب لسان العرب/ البغدادي، عبد القادر، ط. القاهرة.
٥١- الخطوط العريضة/ محب الدين الخطيب.
٥٢- الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية/ د. محمد عمارة.
٥٣- خمسون ومائة صحابي مختلق/ مرتضى العسكري.
٥٤- الخوارج في العصر/ د. نايف محمود معروف.
٥٥- الخوارج والشيعة/ يوليوس فلهاوزن، ط. القاهرة ١٩٦٨م.
٥٦- دفاع عن أبي هريرة/ عبد المنعم صالح العلي.
٥٧- الدولة الأموية/ د. يوسف العش، ط. دمشق ١٩٦٥م.
٥٨- الدولة العربية وسقوطها/ يوليوس فلهاوزن، ط. دمشق ١٩٥٦م.
٥٩- الرسول القائد/ محمود شيت خطاب، ط. بغداد.
٦٠- رجال الطوسي/ تحقيق محمد صادق بحر العلوم، ط. النجف ١٩٦١ م.
٦١- رجال الكشي/ أبو محمد بن عبد العزيز الأمامي، ط. كربلاء.
٦٢- رسالة الأرجاء/ الحسن بن محمد بن الحنفية.
٦٣- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية/ فلوتن، غيرلوف فان، ط. القاهرة ١٩٣٤ م.
٦٤- السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني/ وليد الاعظمي، ط. مصر.
٦٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ ابن العماد عبد الحي احمد الحنبلي، ط. القاهرة ١٣٥١هـ.
٦٦- شرح نهج البلاغة/ ابن ابي الحديد، عزا لدين عبد الحميد المدائني، ط. القاهرة ١٩٦٧م.
٦٧- الشيعة والسنة/ إحسان الهي ظهير، ط. باكستان.
٦٨- صبح الأعشى في صناعة الانشا/ القلقشندى، أبو العباس احمد بن علي، ط. القاهرة ١٩٦٣م.
٦٩- الصلة بين التصوف والتشيع/ د. كامل مصطفى الشيبي، ط. بغداد.

٧٠- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة/ الهيثمي، أبو العباس احمد بن حجر، ط. القاهرة ١٣٧٥ هـ.
٧١- عائشة والسياسة/ سعيد الأفغاني.
٧٢- عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى/مرتضى العسكري، ط.القاهرة ١٩٦٢م.
٧٣- عبدا لله بن سبأ في كتب المؤرخين والمستشرقين/ مرتضى العسكري.
٧٤- عبدا لله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام/ سليمان حمد العودة.
٧٥- العبر في خبر من غبر/ الذهبي، محمد بن عثمان، ط. الكويت ١٩٦٣م.
٧٦- العقد الفريد/ ابن عبد ربه احمد بن محمد الأندلسي، ط. القاهرة ١٩٥٣م.
٧٧- عقيدة الشيعة/ دوايت رونلدسن، ط. مصر.
٧٨- العقيدة والشريعة في الإسلام/ جولدزيهر، ط. مصر ١٩٥٩.
٧٩- العواصم من القواصم/ القاضي ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله، ط. القاهرة ١٣٧١ هـ.
٨٠- الغلو والفرق الغالية/ د. عبد الله سلوم السامرائي، ط. بغداد.
٨١- الغيبة/ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ط. النجف ١٣٨٥هـ.
٨٢- الفتنة الكبرى/ د. طه حسين، ط. مصر ١٩٦٨م.
٨٣- فجر الإسلام / احمد أمين، ط. مصر ١٩٦٥م.
٨٤- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية/ ابن الطقطقي، محمد علي بن طباطبا، ط. أوربا ١٨٩٤م.
٨٥- الفرق الإسلامية/ محمود البشبيشي، ط. مصر ١٩٣٢ م.
٨٦- الفرق بين الفرق/ البغدادي، أبو منصور عبد القادر بن طاهر، ط. القاهرة ١٩٢٤م.
٨٧- فرق الشيعة/ النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (إمامي)، ط. اسطنبول ١٩٣١م.
٨٨- الفهرست/ ابن النديم، محمد بن إسحاق، ط. بيروت ١٩٦٤م.
٨٩- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة/أبو حامد الغزالي،ط.القاهرة ١٩٠١م.
٩٠- الكافي/محمد بن يعقوب الكليني:(الأصول والفروع)،ط.طهران ١٣٨٨هـ
٩١- الكامل في التاريخ/ ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، ط. بيروت ١٣٨٥هـ.
٩٢- الكامل في اللغة والأدب/المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد،ط. مصر١٩٣٧.
٩٣- كتاب الإبانة (الرسائل السبع في العقائد)/ أبو الحسن الأشعري علي بن

إسماعيل، ط. حيدرأباد – الدكن ١٩٤٨م.
٩٤- كتاب الإصابة في تمييز الصحابة/ابن حجرالعسقلاني،ط.مصر ١٣٢٥هـ
٩٥- كتاب البدء والتاريخ/ المقدسي، مطهر بن طاهر، ط. باريس ١٩١٩م.
٩٦- كتاب الخطط المقريزية/ المقريزي، أبو العباس احمد بن علي، ط. القاهرة ١٣٢٦ هـ.
٩٧- كتاب دول الإسلام/ الذهبي، ط. الهند –دكن ١٣٣٧هـ.
٩٨- كتاب سليم بن قيس العامري، ط. النجف.
٩٩- كتاب الطبقات الكبرى/ ابن سعد (محمد)، ط. بيروت ١٩٦٠م.
١٠٠- كتاب عيون الأخبار/ ابن قتيبة ابن مسلم الدينوري، ط. القاهرة ١٩٣٠م.
١٠١- كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد الظاهري الأندلسي، ط. مصر ١٣٢١ هـ.
١٠٢- كتاب المحبر/ابن حبيب البغدادي، ط. حيدرأباد (الهند) ١٣٦١هـ.
١٠٣- كتاب المعارف/ ابن قتيبة الدينوري، ط. مصر ١٩٦٩ م.
١٠٤- الكتاب المقدس/ ط. بيروت.
١٠٥- كشف الجاني محمد التيجاني/ أبو محمد عثمان بن محمد آل خميس الناصري التميمي ط. القاهرة ١٩٩٧م.
١٠٦- كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ محمد قطب.
١٠٧- لأكون مع الصادقين/ محمد السماوي التيجاني.
١٠٨- لسان الميزان/ ابن حجر العسقلاني، ط. دكن ١٣٣١ هـ.
١٠٩- مجلة المجمع العلمي العراقي/ د. علي جواد/ عدد ٦/ ١٩٥٩م.
١١٠- المتنبي/ محمود محمد شاكر، ط. القاهرة.
١١١- مذاهب الإسلاميين/ د. عبد الرحمن البدوي.
١١٢- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة (قسمان)/ د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري. ط٢ الرياض ١٤١٣هـ.
١١٣- مسائل الإمامة/ الناشئ الأكبر، (إمامي)، ط. بيروت ١٩٧١م.
١١٤- المشتبة في أسماء الرجال/ الذهبي، ط. ليدن ١٨٦٣م.
١١٥- معجم الأدباء/ ياقوت الحموي، ط. القاهرة ١٩٣٨م.
١١٦- معجم البلدان/ ياقوت الحموي، ط. بيروت ١٩٥٧م.
١١٧- معجم رجال الحديث/ السيد أبو القاسم الخوئي، ط. النجف.

١١٨- مع الشيعة الأمامية/ محمد جواد مغنية، ط. بيروت ١٩٥٦م.
١١٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/ الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ط. القاهرة ١٩٦٩م.
١٢٠- المقلات والفرق/ سعد الأشعري القمي الأمامي، ط. طهران ١٩٦٣م.
١٢١- مقاتل الطالبين/ أبو الفرج علي الأصفهاني، ط.القاهرة ١٩٤٩م.
١٢٢- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام/ عبد العزيز الدوري، ط. بيروت١٩٦٠م.
١٢٣- الملل والنحل/ الشهرستاني، أبو الفتح ابن عبد الكريم، ط. مصر ١٩٦١م.
١٢٤- مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب المازندراني، ط.النجف١٩٥٦م.
١٢٥- فقيه من لا يحضره الفقيه/ الصدوق القمي، ط. النجف.
١٢٦- منهاج السنة النبوية/ ابن تيمية، ط. مصر ١٣٢١ هـ.
١٢٧- منهج أهل البيت/ أبو الحسن محي الدين الحسني، ط٢.الأردن ١٩٩٧م.
١٢٨- المؤامرة الكبرى على الإسلام/ أنور الجندي، ط.بيروت.
١٢٩- مؤتمر النجف/ عبد الله السويدي، تحقيق:محب الدين الخطيب، ط.مصر.
١٣٠- النبوءة والإعجاز في القرآن والسنة/ علاء الدين المدرس، ط. بغداد.
١٣١- النص والاجتهاد/ عبد الحسين شرف الدين، ط. بيروت.
١٣٢- نصوص الردة في تاريخ الطبري/ محمد حسن آل ياسين، ط. النجف.
١٣٣- نهاية الأرب في معرفة انساب العرب/ القلقشندى، ط. بغداد ١٣٧٨هـ.
١٣٤- وعاظ السلاطين/ د. علي الوردي، ط. بغداد ١٩٥٤م.
١٣٥- وقعة صفين/ ابن مزاحم نصر المنقري/ تحقيق : عبدالسلام هارون، ط. القاهرة ١٣٨٢ هـ.
١٣٦- وقعة النهروان (أو الخوارج)/ الهاشمي الخطيب، علي بن الحسين، ط. طهران ٣٧٢ هـ.
١٣٧- اليهود والدولة العثمانية/ د. احمد النعيمي، ط. بغداد ١٩٩٠م.
١٣٨- يهود الدونمة/ د. احمد النعيمي، ط. عمان، دار البشير ١٩٩٥م.

المحتويات

نبــذة تاريخيــة ٨
القـرآن وغلبـــة الـروم ١٠
انتصار الإسلام في ظل الدولة الإسلامية العظمى ١٥
رد الأعداء باغتيال عظماء الإسلام ١٧
اغتيـال عمـر ﷺ ١٩
اغتيال عثمان ﷺ.. ٢١
اغتيـال علـي ﷺ.. ٣٣
اغتيـال الحسـين ﷺ ٣٥
التحالف الرباعي لهدم الإسلام ٤٣
ابن سبأ ودوره في الفتنة ٤٥
ترجمة عبد الله بن سبأ.. ٤٥
موقف السبئية من خلافة علي.. ٥٣
إجماع علماء المسلمين على وجود ابن سبأ ودوره في الفتنة ٥٥
عبد اللّه بن سبأ في كتب المتقدمين الشيعة والسنة ٥٥
أ- عند الشيعة: ٥٥
ب- عند أهل السنة: ٥٨
مَنْ وَراء فكرة التشكيك بشخصية ابن سبأ؟............................ ٦١
عبد اللّه بن سبأ في كتابات المستشرقين ٦١
عبد الله بن سبأ في كتابات المسلمين المعاصرين: ٦٧
أولاً: ابن سبأ في كتابات المسلمين المعاصرين الشـيعة: ٦٧
الوردي وفرضية عمار بن ياسر.. ٦٨
العسكري وفرضية سيف بن عمر.. ٧٥
سيف بن عمر مؤرخاً لا محدثاً.. ٧٩
ثانياً: ابن سبأ في كتابات المسلمين المعاصرين السنة: ٨٨
طه حسين والتشكيك بابن سبأ.. ٨٩

خلاصة القول في ابن سبأ ٩٧
السبئية طائفة واعتقاداً ١٠١
– نشأة السبئية: ١٠١
عقيـدة السبئيـة من كتب المتقدمين الشيعة ١٠٤
أهم العقائد السبئية المعروفة الأخرى: ١٠٨
١– عقيدة عدم ختم النبوة عند السبئية: ١٠٨
٢– عقيدة سب الصحابة: ١٠٨
٣– عقيدة الحلول والتناسخ: ١٠٩
٤– عقائـد أخرى: ١١٠
إحراق الإمام علي للسبئية: ١١١
نماذج من السبئية في صدر الإسلام ١١٣
الخوارج وعلاقتهم بالسبئية ١٢٩
نشأة الخوارج في صدر الإسلام ١٢٩
ذو الثدية وحرقوص التميمي: ١٣٠
السبئية ونشأة الخوارج ١٣١
قادة الخوارج الأوائل ١٣٣
رأس الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي ١٣٤
الإمام علي والخـوارج ١٣٧
يــوم النهروان ١٤٠
خروج الخرّيت الناجي: ١٤٣
خارجون آخرون في عهد الإمام علي ﷺ والأمويين: ١٤٥
أشهر أسماء الخوارج في صدر الإسلام ١٥٠
عقائد الخوارج العامة: ١٥٢
مقارنة بين السبئية والخوارج ١٥٨
الخوارج ١٥٨
المؤامرة الـكبرى بين الأمس واليوم ١٦٢
خاتمة الـكتاب ١٦٦

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين........................... ١٦٧
المؤلف في سطور.. ١٦٨
المصـــادر.. ١٧٠
القرآن الكريم. ١٧٠
المحتويات ١٧٦